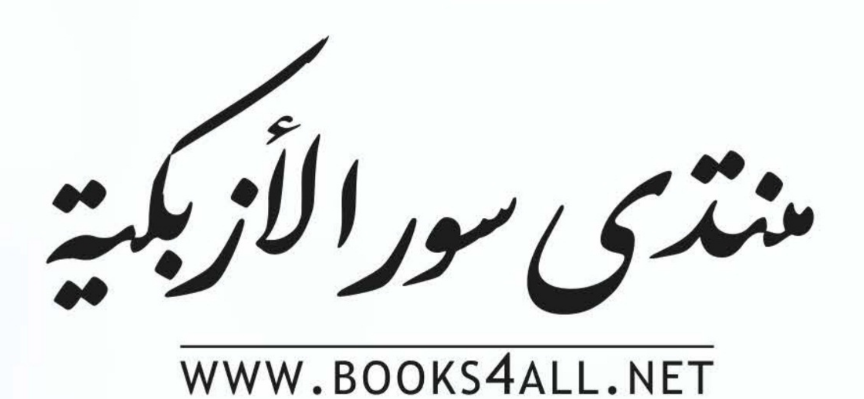
# شعراء الفكاهة المعاصرون

الدكتور

مصطفى رجب




منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

# شعراء الفكاهة المعاصرون

الأستاذ .الدكتور

مصطفى رجب

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

| البيــــانــــات | |
| --- | --- |
| عنوان الكتاب - Title | شعراء الفكاهة المعاصرون |
| المؤلف - Author | الأستاذ . الدكتور/ مصطفى رجب |
| الطبعة - Edition | الأولى . |
| الناشر - Publisher | العلم والإيمان للنشر والتوزيع . |
| عنوان الناشر Address | كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة.<br>تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١<br>فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١ |
| بيانات الوصف المادي | عدد الصفحات Pag.: ٢٧٦ — مقياس النسخة Size: ١٧,٥ x ٢٤,٥ — التجليد: مجلد |
| المطبعة - Printer | الجلال . |
| عنوان المطبعة Address- | العامرية إسكندرية. |
| اللغة الأصل | اللغة العربية . |
| رقم الإيداع | ٢٠٦٤٥/ ٢٠٠٧م |
| الترقيم الدولى .I.S.B.N | 977- 308 -144 - 3 |
| تاريخ النشر - Date | 2008 |

# إهداء

إلى روح صديقنا الكبير/ الشاعر الفنان عبد الله أحمد عبد الله " ميكي ماوس " الذي قضينا معه أحلى سنوات حياته الأخيرة في مجلة البعكوكة .

وإلى أستاذي وشيخي ومعلمي الجليل الأستاذ / عشرى خضراوي الذي تعلمنا منه اللغة الإنجليزية والثقافة العامة وخفة الظل وسعة الأفق وكيف نكون مصريين حقيقيين

مصطفى رجب

# الفهرس

# الفهرس

# مقدمة

يتضمن هذا الكتاب فصولاً عن جوانب مجهولة لدى شعراءنا المعاصرين شوقى - العقاد - محمود غنيم - محمد الأسمر - عبد الحميد الديب- طاهر أبو فاشا - هاشم الرفاعى - طاهر الجبلاوي - إبراهيم ناجي وغيرهم . كما يضم الكتاب مقاله عن جريده نادره من جرائدنا الفكاهيه المجهولة كان اسمها " جريدة الكلب " وكانت تصدر في بيروت بخط اليد وكانت كل أبوابها تصاغ شعرًا عموديًا

كذلك يضم الكتاب عدة مقالات عن شخصيات فكاهيه مثل أمير الشعراء المزيف " البرنس حسين " ومؤلف الآجرومية الإنجليزية - وكذلك يضم مقاله عن فكرة النقل إلى الصعيد بوصفه عقوبة كما تناوله شعراؤنا المعاصرون وقد نشرت معظم فصول هذا الكتاب فى المجالات الأدبية وقد رأيت جمعها فى كتاب حرصًا عليه وتلبية لرغبة كثير من أصدقائنا الذين نصحوا بنشره فى كتاب لأن المكتبة العربية تعانى من ضحالة عدد الكتب التي تغطى هذا الجانب من جوانب أدبنا العربي

ونأمل أن تضم الطبعة القادمة من الكتاب مجموعة أخرى من الشعراء العرب والمصريين الذين كتبنا عنهم وضاع بعض ما كتبناه فلم نتمكن من ضمها فى هذا الكتاب ونأمل أن يكون فى الكتاب ما يفيد الباحثيين ومحبي الفكاهة و... و...

وتضحكوا على " خير " !! .

الدكتور

مصطفى رجب

# الفكاهة في شعر شوقي

قد يبدو هذا العنوان تقليدياً ، ولكن التناول التالي ليس تقليدياً بالتأكيد لسببين على الأقل :

**أولهما** : أن الدراسات التي تناولت شعر شوقي - على تعددها - لم تقف كثيراً عند الفكاهة في شعره ، ومرت بها مروراً سريعاً في سياق تعدادها لأغراض شعره لا أكثر .

**ثانيهما** : أن معظم الدراسات التي تناولت شعر شوقي كانت تقتصر على ديوان الشوقيات بأجزائه ، ولم تكن تتعدى ذلك لدراسة شعره المسرحي ، تاركة ذلك لتلك الدراسات المتخصصة التي اقتصرت على دراسة مسرحياته وهذه بدورها لم تتوقف كثيراً عند الأبيات الفكاهية إلا بقدر ضئيل لأن جل اهتمامها كان ينصب على الدراسة الفنية للعمل المسرحي أو لفنه أو لشخصيته - إلخ .

من هذا المدخل سوف نقف بالقاريء عند جانبين من جوانب الفكاهة في شعر شوقي وهما :

**محجوبيات أحمد شوقي :**

المحجوبيات هي تلك القصائد التي قالها شوقي في صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو طبيب ونقابي وسياسي معروف كانت له لوازم صوتية وحركية مضحكة أو هكذا شاء له أصدقاؤه كشوقي وحافظ .

وقد كان الدكتور محجوب ثابت من أشهر الأطباء في عصر شوقي . وكان ميالاً إلى تشجيع النشاط العمالي من خلال التجمعات العمالية التي تحولت إلى نقابات فيما بعد . وكانت شخصيته مثيرة للشعراء بسبب عاداته الغريبة التي يتمسك بها ومنها تدخينه الغليون ( البيب ) واستعماله حصاناً في التنقل في ميادين القاهرة وشوارعها يركض به بين السيارات المارقة . وقد أطلق أصدقاؤه على هذا الحصان اسم " مكسويني " وهو اسم بطل ايرلندي مشهور انتحر جوعاً وفي هذه التسمية غمز للدكتور محجوب ثابت بأنه كان يُجيع حصانه وقد استبدل به صاحبه فيما بعد سيارة نالت هي أيضاً نصيباً وافراً من سخرية شوقي . كما كان من لوازم محجوب ثابت ذلك الكم الوافر من القافات التي تتخلل عباراته . وسط شارب كثيف من الشعر . ولحية لا تقل عنه كثافة .

وقد كتب شوقي في " مكسويني " حصان الدكور محجوب ثابت قصيدة جعل هذا الاسم "مكسويني " عنواناً لها قال فيها :

تـفُدِّيك - يا مكسُ - الجيادُ الصلادم ... وتفدي الأساةُ النُّطْسُ مَن أنتَ خادمُ

كأنـك - إن حاربـتَ - فوْقـكَ عنـترٌ ... وتحـتَ ابـنِ سـينا أنـت حـين تسـالِمُ

سـتُجْزَى التماثيـلَ التـي لـيس مِثلُها ... إذا جـاءَ يـومٌ فيـه تُجـزَى البهـائمُ

فإنـك شـمسٌ ، والجيـاد كواكـبُ ... وإنـك دينـارٌ ، وهـن الـدراهمُ

[ الأساة النُّطس : الأطباء المهَرة . جمع آسٍ : طبيب . ونطاسي : ماهر في الطب ]

فهو يتخيل محجوبا فارسا يصول ويجول بحصانه كأنه عنترة بن شداد أما إذا ركبه وسار به إلى العيادة أو المستشفى فهو يتخايل في مشيته كأنه ( ابن سينا ) أشهر أطباء العرب.

ويتصور شوقي الحصان " مكسي " وقد أقيمت له تماثيل مختلفة تمثل وقفته حين يكون صاحبه جالساً في الأماكن التي يرتادها عادة وهي مقهى (البرلمان) ومقهى ( بار اللواء ) ومقهى (الأهرام ) ، وكان محجوب ثابت إذا ارتاد أحد هذه الأماكن اتخذ مكانه بين رفاقه . وأوقف حصانه على مقربة منهم فأصبح ذلك من علامات وجوده في تلك الأماكن :

مثالٌ بِساحِ البرْلمانِ مُنَصَّبٌ ... وآخرُ في ( بار اللِّوا ) لك قائمُ

ولا تظفرُ ( الأهرامُ ) إلا بثالثٍ ... " مزاميرُ " داود عليه نواغِمُ

وكم تَدَّعي السُّودانَ يا مكس هازلاً ... وما أنت مُسْودٌّ ، ولا أنت قاتمُ

وما بك مما تُبصرُ العينُ شُبهةٌ ... ولكن مشِيبٌ عَجَّلَتْهُ العظائمُ

كأنك خيْلُ التركِ شابَت مُتونهُا ... وشابت نواصيها ، وشاب القوائمُ

فيا رُبَّ أيامٍ شهدْتَ عصيبةٍ ... وقائعُها مشهورةٌ والملاحِمُ

ومرة أخرى يتوجه شوقي بالخطاب إلى الحصان ( مكسويني ) في قصيدته التي سخر فيها من سيارة محجوب ثابت والتي جعل عنوانها (بين مكسويني والأوتومبيل ) فقد قال فيها يخاطب الحصان وقد استخدم في ندائه إياه ما يسمى

عند اللغويين بـ " الترخيم " وهو إسقاط بعض حروف الاسم تدليلاً أو تعظيما أو تقرباً من المخاطب . فقال شوقي :

أدُنيا الخيلِ ( يا مكيِي ) كدنيا الناس غدّارة ؟!

لقد بَدّلك الدهر من الإقبال إدباره

فصبراً يا فتي الخيلِ فنفسُ الحرِّ صبَّاره

أحقٌ أن ( محجوباً ) سلا عنك بفخّاره ؟

وباع الأبلقَ الحرَّ بـ ( أوفرْلاندْ ) نعّاره ؟

و"الأوفر لاند" هي ماركة السيارة التي اقتناها محجوب ثابت وقد وصفها شوقي بانها نعَّارة أي ذات صوت مزعج . ثم انتقل في قصيدته إلى لوم صديقه الذي تنكر لحصانه فتخلى عنه متناسياً ماضيه في الجهاد مع صاحبه . وهو جهاد ليس له أساس في الواقع . بل هو من خيال شوقي الذي تصور مروق الحصان وسط الصبية . الذين كانوا يتصايحون إذا رأوه . جهاداً وحرباً ضروسا فيها رايات و غارات وكر وفر . ورشاشات وبنادق [ الغدارة : اسم قديم للبندقية ] ومع ذلك فإن محجوبا لم يحفظ للحصان هذا التاريخ وذلك البلاء فشَلّحَه ( طرده ) أي فرط فيه تفريط الكاره المبغِض غير النادم على الفراق . مع أنه لم يكن يكلفه تغذية فقد عاش معه جائعا محروما من البرسيم الذي لم يره ولم ير زهوره ونواره في حياته مع محجوب :

ولم يعـــرفْ لـــه الفضـــلَ ولا قـــــدَّرَ آثـــــاره
قـــد اختـــار لـــك الشَّلْـــحَ ومـــا كنـــت لتختـــاره
كـــأنْ لم تحمـــل الـــسرا يـــة يـــوم الـــروع والشـــارة
ولم تركـــب إلى الهـــول ولم تحمـــل عـــلى الغـــارة
ولم تعطـــف عـــلى جرحـــى مـــن الصـــبية نظَّـــارة
فـــمضروب برشَّـــاش ومقلـــوب بغـــدَّاره
ولا والله مـــا كلَّفـــتَ محجوبـــا ولا بـــارة
فسـلْه : مـــا هـــو الشـــلحُ ؟ عســـى يُنْبيـــك أخبـــاره
فـــلا البرســـيم تدريـــه ولا تعـــرف نـــوَّاره !!!

وأما سخرية شوقي بصاحبه محجوب - بعيداً عن الحصان - فقد أخذت أربعة مسارات :

**الأول : التهكم من سيارته :**

فقد جعل منها شوقي أضحوكة يتندر بها الجيران فهي ضعيفة لا تقوى على السير با تنهار من جانبيها إذا أراد تحريكها . وهي عجيبة الطبع تقف إذا شاءت وتمشي إذا شاءت من تلقاء نفسها وهي مثار سخرية الصبية في الشوارع يتصايحون إذا رأوها مثلما يتصايحون عندما تمر فوقهم طائرة يقول شوقي

لكـــم في الخـــط سيـــارة حـــديث الجـــار والجـــارة

| | |
|---|---|
| ( أوفرْلانــــدْ ) يُنبِّيـــــك | بهـــا القنصـــل ( طـــمَّاره ) |
| كســـيارة ( شـــارْلبوت ) | عـــلى الســـواق جبـــارة |
| غـــذا حرَّكهـــا مالـــت | عـــلى الجنبـــين مُنهـــارة |
| وقـــد تحـــرن أحيانـــاً | وتمشي وحـــدها تـــارة |
| ولا تشـــبعها عيـــنٌ | مـــن البنـــزين فـــوَّارة |
| ولا تُـــروَى مـــن الزيـــت | وإن عامـــت بـــه الفـــارة |
| تـــرى الشـــارع في ذعـــر | إذا لاحـــت مـــن الحـــارة |
| وصـــبياناً يضِجُّـــون | كـــما يلقـــون طيَّـــارة |
| وفي مَقْـــدَمها بـــوق | وفي المـــؤخر زُمَّـــارة |
| فقـــد تمشي متـــى شـــاءت | وقـــد ترجـــع مختـــارة |
| قضى الله عـــلى السَّـــوَّا | قِ ، أن يجعلهـــــا داره |
| يُـــقضيَّ يومـــه فيهـــا | ويلقـــى الليـــل مـــا زاره |

**الثاني : التهكم من بخله :**

ويبدو تهكم شوقي من بخل صاحبه في قصيدته التي جعل عنوانها ( ذخيرة ) ويتحدث فيها شوقي عن ( ألفين ) من الجنيهات كان محجوب ثابت قد أودعها مصرفاً يمتلكه حسن باشا سعيد وقد قيلت هذه القصيدة إبان ثورة ١٩١٩م وكان محجوب ثابت من المشاركين فيها . ولم يكن لديه أية رغبة في المساس بهذا المبلغ

فعيره شوقي بهذا الحرص الشديد على كنزه الثمين . يقول شوقي مخاطبا محجوب ثابت الذي كان يلقبه دائماً بابن سينا . أو " الرئيس " وهو لقب ابن سينا الطبيب العربي الشهير ويعرِّض شاعرنا بمبلغ ألفين من الجنيهات يبدو أنهما كانا وديعة أودعها الدكتور محجوب في أحد البنوك آنذاك :

قل لابن سينا : لا طبيـ ... ـب اليوم إلا الدرهم

هو قبل بقراط وقبـ ... ـلك للجراحة مرهم

والناس مذ كانوا عليه ... دائرون وحُوَّم

وبسحره تعلو الأسا ... فلُ في العيون وتعظم

يا هل ترى الألفان وقـ ... ـفٌ ، لا يُمَسُّ ومُحَرَّم ؟!

بنك " السعيد " عليهما ... حتى القيامة قيِّم

لا " شيك " يظهر في البنو ... ك ولا " حوالة " تُخصم

وأعف من لاقيت يلقـ ... ـاه فلا يتكرم !

**الثالث : التهكم من البراغيث المحجوبية :**

وفي قصيدته الشهيرة ( براغيث محجوب ) يتهكم شوقي على صديقه الذي ملأ البراغيث عيادته ، وتستقبل زائريه من على باب العمارة ، بل هي تستقبلهم من الطريق فترافقهم إلى باب العمارة في صفوف متراصة راقصة ، فإذا دخل الضيف أبصر هذه البراغيث في شارب الطبيب ولحيته وداخل غليونه الذي يدخنه ، بل وبين أسنانه تروح وتغدو باحثة عن بقايا طعام والقصيدة آية من آيات السخرية

والفكاهة العذبة . وفي الأبيات يقول شوقي إنه - بفضل تلك البراغيث - استغنى عن عادة كانت تلازمه وهي الاحتجام بين الصيف والخريف نظرا لتغير الجو . فترك تلك العادة لأن البراغيث كفته مؤونة الحجامة لكثرة ما امتصت من دمائه فيقول شوقي فيها :

| | |
|---|---|
| براغيث محجوب لم أنسها | ولم أنس ما طعمت من دمي |
| تشق خراطيمها جوربي | وتنفذ في اللحم والأعظم |
| وكنت إذا الصيف راح احتجمْت | فجاء الخريف فلم أحجم |
| ترحب بالضيف فوق الطريـ | ـق ، فباب العيادة فالسلم |

وهذه البراغيث تتراقص كما تتراقص الأمواس الحداد [ جمع موسي ] وهي تقد الجلد قدا . وقد اعتادت هذه البراغيث أن تخرج من مكانها مبكره في مطلع فصل الشتاء . وقد يكون من مكامنها فم صديقه الطبيب فهو إذا تنخم وألقى بالبلغم خرجت هذه البراغيث من البلغم المقذوف :

| | |
|---|---|
| قد انتشرت جوقة جوقة | كما رُشت الأرض بالسمسم |
| وترقص رقص المواسي الحداد | على الجلد ، والعلَق الأسحم |
| بواكير تطلع قبل الشتاء | وترفع ألوية الموسم |
| إذا ما " ابن سينا " رمى بلغماً | رأيت البراغيث في البلغم |
| وتبصرها حول " بيبا " الرئيس | وفي شاربيه وحول الفم |
| وبين حفائر أسنانه | مع السوس في طلب المطعم |

الرابع : التهكم بحرف ( القاف ) عند محجوب ثابت :

وكان من لوازم محجوب ثابت الإكثار من استخدام حرف القاف في كلامه كما كان معروفاً بخطبه الطويلة التي كان يلقيها في جموع العمال وأكثرهم عنه غافلون . وحدث ذات مرة شقاق بين محجوب ثابت وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول وأراد شوقي أن يصلح بينهما فرفض محجوب ثابت الصلح فقال شوقي على لسانه هذه القصيدة التي تفيض سخرية لتعمده الاستكثار من ذكر حرف (القاف ) فيها :

| | |
|---|---|
| يميناً بالطلاق وبالعتاق | وبالدنيا المعلقمة المذاق |
| وكل فقارة من ظهر " مكسي " | بصحراء الإمام وعظم ساق |
| وتربته وكل الخير فيها | ونسبته الشريفة للبراق |
| وبالخطب الطوال وما حوته | وإن لم يبق في الأذهان باق |

وبعد أن أقسم محجوب ثابت بالطلاق والعتاق وفقرات ظهر حصانه "مكسويني " وقبر حصانه المدفون في مدافن صحراء الإمام الشافعي بالقاهرة . يأتي جواب ذلك القسم استنكاراً للشتيمة التي نالته من صديقه سليمان فوزي . وكيف يُشتم وهو ذو غليون وطباق وله رهط من العمال ينصرونه إذا حُمَّ الوغي :

| | |
|---|---|
| وكسري الشعر إن أنشدت شعراً | ونطقي القاف واسعة النطاق |
| أيشتمني سليمان بن فوزي | و" بيبي" في يدي ومعي " طباقي " |
| وتحت يدي من العمال جمع | يشمر ذيله عند التلاقي |

ولسنا في البيان إذا جرينا لأبعد غاية فرسي سباق

تقاقي ذقنه من غير بَيْض ولي ذقن تبيض ولا تقاقي

[ تقاقي : أي تكاكي وهو الصوت الذي يصدر عن الدجاج ] وكأن الشاعر تخيل لحية صاحبه دجاجة تصيح ولا تبيض على حين لحيته هو دجاجة تبيض ولا تصيح . وهو تصوير فكه ليس له دلالة إلا السخرية من صديقه الذي يحلق شاربه ولحيته . والكلام هنا - كما هو واضح - يجريه شوقي على لسان محجوب ثابت

وحلاق اللحى ما كان رأيي ولا قص الشوارب من خلاقي

ألا طز على العيهور طز وأن أبدى مجاملة الرفاق

بقارعة الطرق ينال مني ويوسعني عناقاً في الزقاق

وليس من الغريب سواد حظي وبالسودان قد طال التصاقي

الم ير أنني اعرضت عنه وصار لغير طلعته اشتياقي

وسبحان المفرق : حظ قوم قناطير وأقوام أواقي

وعيش كالزواج على غرام وعيش مثل كارثة الطلاق

ويستخدم شوقي في الأبيات السابقة كلمتين من العامية المصرية شديدتي السخرية . وهما كلمة "طز" بمعنى : أن هذا الشيء أو ذلك الشخص لا يهمني أو هو عديم الأهمية . وكلمة "العيهور" وهي توحي بما توحيه كلمة المغفل أو الأحمق والإشارة إلى السودان في الأبيات إشارة إلى مدوة طويلة كان الدكتور محجوب

ثابت قد قضاها بالسودان الذي كان في ذلك الوقت جزءا من المملكة المصرية ويختتم الشاعر قصيدته على لسان محجوب ثابت بهذا البيت الهازل :

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي البلشفي والاشتراقي

[والاشتراقي هي الاشتراكي ولكن بلغة سيد الثقافات : محجوب ثابت !!!]

**الفكاهة في المسرح الشعري عند شوقي**

على الرغم من كثرة الدراسات التي قدمت عن أحمد شوقي وادبه وشعره فإننا لا نجد دراسة واحدة من بين هذا الكم من الدراسات تخصصت في دراسة الفكاهة في شعره بصفة عامة . فضلاً عن أن نجد دراسة تخصصت في الفكاهة في مسرحه الشعري . ذلك الفن العظيم الذي يدين بوجوده كجنس أدبي استمر في أدبنا العربي المعاصر لمؤسسه أحمد شوقي . وفي السطور التالية سوف نتلمس بعض مواقف الفكاهة في مسرحيتين فقط من مسرحياته الشعرية :

**الفكاهة في مسرحية " البخيلة " .**

تتلخص هذه المسرحية في أن امرأة عجوزاً اسمها نظيفة - لاحظ دلالة الاسم - كانت تعيش مع خادمتها ( حُسنى ) وحفيدها ( جمال في بيت قديم ويعانيان معها اشد المعاناة مما هي عليه من تقتير وإمساك . ويحاول سمسار اسمه ( رشاد ) التغرير بجمال ليزوجه فتاة من أحد البيوتات التي أخنى عليها الزمن فيوافق جمال . متجاهلاً الحب الصامت الذي تكنه له الخادمة ( حُسنى ) وعندما تموت السيدة البخيلة يتسامع الجيران بنبأ خطير مؤداه أن السيدة العجوز أوصت

بكل ثروتها لخادمتها . فيفاجأ جمال بأن خطيبته تفسخ خطبتها منه . وفي اللحظة نفسها تصارحه ( حُسنى ) بأنها تتنازل له طواعية عما ورثته لأنه الأحق بهذا فيسعد بهذا الدليل القوي على حبها إياه . ويرضى بها زوجاً . وتكتمل سعادته عندما تصارحه الفتاة بأنها اتفقت مع العجوز على هذا ( المقلب ) لكي تعيد للفتى الطائش عقله ليحافظ على ثروته .

وفي المسرحية شخصيات أخرى هامشية مثل الطبيب عبد السلام مرتضى المعروف بجهله وعلاجه لمرضاه على النواصي والطرقات .

ومن مواقف الفكاهة في المسرحية ذلك الحوار الذي يدور بين رشاد ( السمسار ) وعزيز ( وهو أحد أبناء الذوات التافهين ) وكانا يجلسان على المقهى وقد جاء جمال فدار بينهما هذا الحوار :

رشاد : هذا جمال وحيد جَدَّة بخيلة يا عزيز ، جِلْـدة !!

عزيز : وعمرها يا رشاد ؟

رشاد : يربو على الثمانين

عزيز : تلك مدة !!

وبعد أن يغري رشاد السمسار صديقه عزيزاً ابن الذوات بتزويج اخته من جمال الذي سيرث أموال جدته البخيلة . يستمر الحوار بينهما فيمارس السمسار أسلوب التزيين الزائف والكذب والغش ليصل إلى هدفه . ومرة أخرى يدور الحوار بينهما بهذا الشكل الذي تبدو فيه براعة الفكاهة عند شوقي :

عزيز : لم تقل عن الفتى . ما أبــوه ؟

رشاو: كان فخر الرجال ...كان مديرا

[ ثم لنفسه ]

كــان والله يســكع الصــبح والليــ ـــلَ إلى كـــل حانـــة، سِكِّيـــــرا

عزيز: والفتى . كيف شغله ؟

رشاو : في الدواوين

عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيــرا

رشاو : لم لا ؟

[ ثم لنفسه ]

إننــي قلتهــا ومــن أيــن أدري ؟ ربــما صــار حاجبــاً أو غفيـــرا

[ ثم لعزيز ]

لا تســلني مــن أبــوه يــا أخـــي أو مــن الأم وســل مــا جدتــه ؟

لا ولا مــا شــغله ؟ مــا جاهــه ؟ في الـــدواوين ولا مـــا رتبتـــه

فجـــمال في غـــد أو بعـــــده بـــوزيرين تُســـاوَى ثروتـــــه

( بعد لحظة )

ولِمْ لا وجدَّتُـــــه نمــــــلةٌ إذا وقفــتْ أو مشــت حَصَّلــتْ

وتــدخل في بيتهــا مـــا تصـــيب ولا يخـرج الـدهرَ مـا أدخــلتْ

لــو انقلبــت مــن جميــع الجهــات عــلى القــش في فمهــا مــا انفلــتْ

تـرى المـال في بيتهـا في اللحـاف وتحـت الـبلاط وحشـو الشِّلَـتْ

وتقدم لنا المسرحية حواراً بين شخصين مجهولين كانا يجلسان على المقهى فيما كان الطبيب الجاهل عبد السلام مرتضى يجلس بالقرب منهما منغمساً في قراءة صحيفة وقد أعطاهما ظهره فدار بينهما هذا الحوار الفكه :

**الأول** : من ذلك المُطِـــلُّ مـن لحيتـــه كالبغل من وراء مخلاةٍ رنا

**الثاني** : تسأل عن ذاك الذي انحنى على صحيفة يقرا وولانا القفا ؟

**الأول** : أجل . أجل هذا القفا

**الثاني** : هذا هو الدكتور

**الأول**: من ؟

**الثاني**: عبد السلام مرتضى

يقـرأ مـا صـادف مـن جريـــدةٍ من سـطرها الأول حتـى المنتهـى

وتستوي صحف الصباح عنـــده وصحفُ ظَهَرن مـن عـام مضـى

تـــذاكر الـــدفن التـــى يكتبهـــا في الشـهر أضـعاف تـذاكر الـدوا

ويصف أحد الرجلين لصاحبه بخل هذا الطبيب وصفاً دقيقاً فقد كان ضيفه يوماً ورآه وهو يقسم البيضة بين أربعة ضيوف ويأمر برفع اللحم من على المائدة بحجة انه غير ناضج . وهو يطوف بالمقاهى لا يطلب لنفسه غير ( شيشة ) يظل يدخنها طوال مدة بقائه التي قد تستمر الليل كله أو النهار كله . فهو يعالج مرضاه على المقهى :

**الأول :** وذلك الدكتور ؟

**الثاني :** هذا " مادر"

الجوع يا أخي ولا الأكل معه

لقد دعاني للغداء مرة فقسَّم البيضة بين أربعة

وجيء بالشواء

**الأول :** قل ماذا جرى ؟

**الثاني :** أوما إلى خادمه أن يرفعه

رأى فيه عيباً وإن لم نجد على اللحم عيباً سوى قلته

فقد كان أنضج لحم رأيت وقد كان كالمسك في نكهته

ومن بخله تفتح القهوات وتغلق وهو على " شيشته "

يقضي بها طرفي يومه ويمضي بها طرفي ليلته

**الأول :** ومرضاه ؟

**الثاني :** يلقاهمو في الطريق حيناً ، وحيناً على قهوته

ومن مواقف الفكاهة الطريفة في هذه المسرحية ذلك الموقف الذي تأمر فيه البخيلة خادمتها ( حُسنى ) بأن تطبخ لها طبيخاً فإذا بها تطبخ لها (البامية ) لأنها جديدة في السوق . وبعد أن تزأر المرأة العجوز وتتحسر لأن ثمنها - ما دامت جديدة - لابد أن يكون غالياً .تقنعها الخادمة بأنها بامية مهداة لها من أحد

أقاربها فتسر العجوز وحينئذ يظهر ( جمال ) حفيد البخيلة فيدور بين السيدة (نظيفة) وخادمتها هذا الحوار:

نظيفة : عندي " جمال " يتغدى معي　　هاتي حديث " الباميا " هاتي

حسنى : سوف ترى يا سيدي صنعتي　　وسوف تنسى " كفتة الحاتي "

نظيفة : حُسنى بذلت كثيراً　　وما رفقت بمالـي

أكفتة بيميـــن　　وباميا بشمـال ؟

حُسنى :

سيدتي لا تغضبي لا لحم في الـ　　ـمطبخ لا كفتـة لا كبـابـا

العظم لا غير ملأت " الباميا "　　منه ...فطابت نكهة وطابـا

نظيفة :

يسلم فوك يا ابنتي

( ثم لجمال ) : اسمع لها

" جمال " .. كيف تحسن الجوابا

وبعد موت البخيلة تتحدث الخادمة إلى نفسها عن سيدتها الفقيدة وعن معاناتها معها فتقول :

ســـــــيدتي وبخلهـــــــــا　　في " الخـــط " ســـارا كالمثـــل

وانتقلـــــــت وذكرهـــــــا　　بالبخـــل فيـــه مـــا انتقـــل

يرحمهـــــــا الله فمـــــــا　　أنســـى لهـــا تلـــك الجمـــل

في غضـــب عنـــد الحـــوا ر واضـــطراب و " زعـــل "

ومـــا اختلفنـــا مـــرة في حَمَـــل ولا جمـــل

لكـــن لأجـــل الثـــوم كـــا ن الخلـــف ، أو حـــول البصـــل

ولم نكـــن مـــن الدقيـــ ـــق نتهـــي ولا العســـل

يرحمهـــــــا الله وإن لم تـــأت يومـــاً بحســـن

عاشـــت بشـــوب واحـــد كالميـــت عـــاش بكفـــن

## الفكاهة في مسرحية " الست هدى " ،

تدور أحداث هذه المسرحية في بيت يقع في حي الحقيقي في منطقة السيدة زينب بمدينة القاهرة وزمنها عام ١٨٩٠م . وقد اختار شوقي الزمان والمكان بعناية ليقدم لنا من خلالهما فكرت هالتي تتلخص في وصف حياة نساء ذلك العصر وكيف كان الرجل اللعبة المفضلة لديهن فبطلة المسرحية هي الست هدى وهي امراة مزواج لديها ثروة ضخمة من الأطيان الزراعية والأموال وليس لها حظ من الجمال أو الجاه ولكنها تستمد قوتها من ثروتها فهيي تتزوج وتطلق حتى تنتهي المسرحية بموتها بعد أن وقفت كل أموالها لجارتها أو بنات جارتها وبنت زوجها الأول . وهكذا يصطدم آخر أزواجها واسمه السيد العجيزي وكان قد منى نفسه بأن يرثها وبدأ يتصرف مع أصدقائه النادمين . والمسرحية من أولها لآخرها مسرحية فكاهية ، فمن الصعب أن نرصد ظواهر معينة للفكاهة في تضاعيفها ، ولكننا سنختار لقطات فيها روح شوقي الشاعر الفكه .

ففي بداية المسرحية تتحدث الست هدى لإحدى جاراتها عن سر اهتمام جاراتها وجيرانها بأمور زواجها فتقول :

يقولون في أمري الكثيرَ وشُغلهم حديثُ زواجي او حديث طلاقي

يقولون إني قد تزوجت تسعة وإني واريتُ التراب رفاقي

وما أنا " عزريل " وليس بها هم تزوجت ، لكن كان ذاك بسهالي

وتلك فدادينى الثلاثون كلما تولى رجال جئنني برجال

وتستعرض الست هدى أزواجها واحداً واحداً فلا تثني خيراً إلا على زوجها الأول - الذي ستوصي قبل وفاتها ببعض مالها لابنته - أما بقية ازواجها فكلهم تزوجوها طمعاً في مالها . فهي تقول عن ( علي ) زوجها الثاني :

وزوجيَ الثاني " علي " لم يكن يصلح لي

يا ليتني لم أقبل

ذاك ، لمالي اختارني واخترتُه لماله

ما كان إلا مفلساً وقعت في حباله

يرحمه الله ، وكان ذا بَخَرْ وكان إن يقعد وإن يقم نَخَرْ

وإن مشى تخرج أصوات أُخَرْ

يرحمه الله لقد عشنا معاً من السنين الصاخبات أربعا

ثم مضى لربه لا رجعا

رحمــــــــة الله عليـــــــــه — جـــنّ بالنســـل جنونـــــا

ثـــم لمـــا مـــات ، مـــا — خلـــــف لي إلا ديونـــــا

وتقول عن زوجها الرابع وكان أديباً :

ولسـت أنسـى زوجـي الرابعـا — لا نافعـا كـان ولا شافعـــا

قـالوا : أديـب لم يـروا مثالـه — ولقبـوه الكاتـب البارعـــا

قـــد زينـــوه ليَ ، فاخترتـــه — مـا اخـترت إلا عـاطلاً ضـائعا

ثم تزوجت الست هدى بنقيب ( يوزباشي ) اسمه " قمر" ولم يكن حظها معه بأسعد من حظها مع سابقيه فهي تذكره بكل شر وتدعو عليه بألا يرتقي إلى رتبة رائد ( صاغ ) فتقول عنه :

لا عفا الله عنه ، لا غفر الـــ — ـله له ، لا ارتقى ارتية " صاغ "

لا عفا الله عنه ، قد كان لصاً ، — لم يردني لكن أراد " مصاغي "

وتحكي هدى لصديقتها عن سبب كراهيتها للنقيب " قمر " . فقد أحبته من جانبها حباً حقيقياً . ولكنه كا سكيراً مقامراً فلم يكن يهمه منها إلا أن يأخذ من مالها ليشبع نزواته :

لحاه الله كان منى فؤادي — وفاكهتي وريحاني وراحـــي

وكنت أحبه ويحب طيني — ويحلم بالقلادة والوشـــاح

وكان مقامراً شرِّيبَ خمر — يجيء البيت في ضوء الصباح

يكاد إذا تورط في قمار — يقـامر بالنجوم وبالســلاح

ثم تحكي الست هدى عن زواجها بأحد الموظفين وتصفه بأنه كان " نظيف الجيب " كناية عن فقره :

وعشـــت عـــامين دون زوج | ثـــم تزوجـــت بالموظَّـــف
لم أنســـه منـــذ مـــات يومـــا | ما كان أبهى ! ما كان أظرف !
كـــان خفيفـــاً وكـــان حلـــواً | ومـــن نسـيم الربيـع ألطـف !
مـــا كنـــت أدري إذا تولـــى | أجيبـــه أم قفـــاه أنظـــف ؟؟

وقد كان إلى جانب فقره مغروراً يحلم بأن يكون يوماً وزيرا كبيراً

رحمـــــــة الله عليـــــــه | كـــــان "جخَّاخـــاً "كبـــيرا
كـــل يـــوم يـــدع البيـــ | ـــت رئيســـاً أو وزيـــرا
ثـــم لا يرجـــع لي إلا | كـــما كـــان صغـــيرا

[ جخَّاخاً = كذاب فشَّاراً ]

وتنتقل الست هدى إلى زوجها الآخر (الشيخ عبد الصمد) ثم إلى زوجها من بعده وكان مقاولاً اسمه " مبدي " ... إلى أن تصل إلى زوجها الحالي وهو " عبد المنعم المحامي " وهو رجل سكير لا يكاد يفيق .

وفي نهاية حديثها عن كل زوج تختم قصتها عن كل منهم بهذين البيتين

عشـت مـع الشـيخ نصـف عـام | وكـان عمـري عشريـن عامـا
ومـــات واختـــارني ســـواه | مـن ذا يـرى فعلتـي حرامـا ؟

أو بمثل هذين البيتين :

عشـــنا ثلاثـــاً ثـــم افترقنـــــا　　　وكـــان عمـــري عشريـــن عامـــا
طلقنـــــي فالتمســـــت زوجـــاً　　　مـــن ذا يـــرى فعلتـــي حرامـــا ؟

وهكذا كانت في كل مرة من مرات فراقها لأحد الأزواج بالموت أو الطلاق بنت عشرين عاماً لا تزيد . وترد عليها جارتها زينب في نهاية كل قصة :

أجـــل تعيشـــين وتدفنينـــــا　　　حتـــى تصـــيبي مـــنهم البنينـــا

# الفكاهة في شعر "حافظ إبراهيم"

لم يكن "حافظ إبراهيم" من المكثرين في نظم الشعر الفكاهي، على الرغم مما عُرِف عنه -في حياته الخاصة- من نوادر كثيرة تنمّ عن خفة ظل مطبوعة. ولا نعرف سبباً لقلة الفكاهة في شعره -إذا ما قورن بنظيره "أحمد شوقي"- إلا أن يكون الشعر في نظره أرفع قدراً من أن يُساق للتفكّه، والتندر. فالقارئ إذا تأمل ديوان "حافظ" لم يكد يعثر إلا على تلك الأبيات أو القصائد الإخوانية التي تمثل أقل جزء من أجزاء الديوان.

ولكن حافظاً -على أية حال- كان إذا أراد الفكاهة أبدع، شأنه في ذلك شأنه في شعره الجادّ الهادر الذي كان يجلجل في أمسيات القاهرة في الثلث الأول من القرن العشرين.

فمن تصويره الفكاهي البديع هجاؤه لرجل عظيم البطن، فهو يصفه بأنه يعطل سير أسلاك الكهرباء التي تحار إذا أرادت أن تتخذ لها طريقاً في (كرشه) الضخم مع أنها غالباً لا تعوقها أية حواجز:

| | |
|---|---|
| عطّلت فنّ الكهرباء فلم تجد | شيئاً يعوق مسيرها إلاكا |
| تسري على وجه البسيطة لحظةً | فتجوبها،وتحار في أحشاكا |

ويهجو بائع كتف فيصف وجهه بأنه: صفيق سميك، لا تستطيع العنكبوت أن تتخذ لها بيتاً فوقه؛ لأنه أملس بارد. كما أنه من برودته لا يكاد يحترق إذا مسته النار. فهو يقترح على صاحبه أن يقدّ من وجهه أغلفة للكتب التي يبيعها. فيقول

أديم وجهك يا زنديق لو جعلت　　　منه الوقاية والتجليد للكتب

لم يَعْلُها عنكبوتٌ أينما تُركتْ　　　ولا تخاف عليها سطوةُ اللهبِ

ومن روائع فكاهات حافظ إبراهيم تلك القصيدة التي ألقاها في حفل تكريم أقامه نادي طنطا للشاعر القاضي حفني بك ناصف عام ١٩١٢ بمناسبة نقله من القضاء إلى وظيفة مفتش بوزارة المعارف. وكانت آنذاك من كبريات الوظائف

وكانت روح الدعابة والفكاهة عاملاً مشتركاً يجمع بين حافظ بك وحفني ناصف بك. ولعل هذا ما شجع حافظاً على أن ينطلق في هذه القصيدة على سجيته كما يبدو من مطلعها حيث يقول مخاطباً يوم تكريم صاحبه فيقول : إنك أيها اليوم السعيد قد شحذت همتي، وأرهقت مشاعري:

يا يوم تكريم حفني　　　أرهفتَ للقول ذهني

فيا قريض أجبني　　　ويا بيان أَعِنِّي

وبعد أن يمدح صاحبه بما يلائم المناسبة، ويصفه بأنه عالم جهبذ ضرب في كل علم بسهم، ويمتدح شعره الرقيق، ونثره الدقيق، وفكره الثاقب، ينتقل إلى روح

المرح فيقول إنه لولا مسكة من حياء وعقل ودين لدعا حضور إلى تناول الخمر احتفالاً بهذا اليوم السعيد في خمّارة (يني) الشهيرة:

لـــولا الحيـــاء ولـــولا    دينـي وعقـلي وسـني
لقمــت في يــوم حفنـــي    أدعـو لسـكرة (ينّـي)
ولا أقـــول لحفنـــي    مـا قيـل قـدماً لمعـن

وهو في هذا البيت الأخير يشير إلى قصة مشهورة في كتب التراث مفادها أن شاعراً عربياً أراد أن يختبر حلم معن بن زائدة الشيباني. وكان مشهوراً بحلمه فجاءه مادحاً فلما أدخل عليه وسُمع له بالإنشاد قال:

أتَذْكُرُ إذْ لحافُك جلد شاةٍ    وإذ نعلاك من جلد البعير؟

فقال معن: نعم . أذكر ذلك يا أخا العرب!!

فقال الشاعر:

وفي يمنــاك عكـاز طويـل    تذود به الكلاب عن اهرير؟

فقال : نعم ، وإنه كعصا موسى.

فقال الشاعر :

وتأوي كل مصطبة وسوقٍ    بلا عبد لدنك ولا وزير

فقال معن : نعم . أذكر ذلك.

وظل الشاعر يعدد لمعن أيام فقره وجوعه، ومعن يتقبل ذلك بحلم وأدب جم، حتى انتهى من أبياته مادحاً وأثابه معن ثواباً حسناً.

ولكن حافظاً لم يبر بوعده، بل ذكّر صاحبه حفني بك ناصف بماضيه في الأزهر، حين كان مجاوراً يعاني من مشقة دروس الأزهر فيقول مشيراً إلى كتب المجاورين التي تفيض بالشروح والمتون والحواشي:

لا تــنس عيشـاً تــولى ... مـا بـين شرحٍ ومـتن
ولّى شـــبابك فيـــه ... مـا بـين مـدٍّ وغـنٍّ
وذقـت مـن (جـاء زيـدٌ) ... ومـن شروحـج (الشُّـمنِّيِّ
ومـن حـواشي الحـواشي ... عـلى متـون (ابـن جنـي)
مـا لم تـذقك الليـالي ... قلـبن ظهـر المجـن

[المد والغن: من الطرق الشائعة في نطق الحروف عند طلاب الأزهر و(جاء زيد) من أشهر الأمثلة في تعلم النحو العربي، والشمني فقيه حنفي توفي عام ١١٠٢هـ ممن تدرس مؤلفاتهم في الأزهر، وابن جني (ت٣٩٢هـ) من علماء اللغة القدامى المشهورين]

ثم يذكّر حافظ إبراهيم صاحبه بأيام مجاورته في الأزهر مع صديقه سلطان محمد [الذي أصبح فيما بعد صاحب لقب بكوية أيضاً، بعد أن عين أستاذاً بدار العلوم التي تخرج فيها] ومعاناتهما من أكل المش وقصع القمل الذي أرعض حافظ عن ذكره فقال:

أيـــام ســـلطان يلهـــو بمِشِّـــــه ، ويغنـــــي
يبـــت يقصـــع مـــا لم أســــمِّه أو أكنِّــــي
يشـــكو إليـــك وتشـــكو إليـــه، عيشـــة جـــبن

ويصـور لنـا حـافظ كيـف كـان المجـاورون يعـانون مـن صداقة الجبن والمش ويتوقون إلى اللحم والدهن فلا يجدون إليهما سبيلا فيقول : إن سلطان محمد كـاد يدعو حفني ناصف لقتله يأساً من تذوق اللحم فيقول:

أيـــام يـــدعوك: "حفنـــي مـــــن . . أجــــرني"
هـــــات المســـــدس إني ســـئمت مشي وجبنــــي
مـــن لي بـــدرهم لحـــمٍ عليـــه حبـــة ســـمن
قرمـــــت والله حتـــــى صـــاحت عصـــافير بطنـــي
أيـــــام عيـــــدُك يـــــومٌ تفـــــوز فيـــــه بـــــدهن

ومـن إخوانيـات حـافظ الفكاهيـة مـا كتبـه إلى صـديقه حـامـد سرِّي وكـان موظفاً بوزارة الزراعة، ومن جيران حافظ بمسكنه بالجيزة. وقد أقـام حـامد سري حفلاً تناول فيه ضيوف الحفل طعاماً شهياً. ونسي أن يدعو صديقه حـافظ إبراهيم فكتب إليه عاتباً مهدداً بأنه سيشكوه لوزير الزراعة، ولمستشار الـوزارة. لأنـه اهـتم بدعوة صهره المدعو مصطفى الخولي ونسي جاره حافظاً فقال جافظ:

أحامـد كيـف تنسـاني وبينـي وبينـك يـا أخـي صـلة الجـوار

سأشكو للوزير فإن تواني ... شكوتك بعده للمستشار

أيشبع مصطفى الخولي وأُمسي ... أعالج جوعتي في كِسْرِ داري

وبيتي فارغٌ لا شيء فيه ... سواي وإنني في البيت عاري

ومالي جزمةٌ سوداء حتى ... أوافيكم على قرب المزار

وعندي من صحابي الآن رهط ... إذا أكلوا فآسادٌ ضواري

وفي نهاية القصيدة يهدد حافظ إبراهيم صديقه وجاره بأنه ينتظر منه تكفيراً عن نسيانه - مائدة حافلة بأطايب الطعام يزينها خروف صغير متبل محمّر مغطاة بصنوف من الحلوى الشهية. ولئن لم يفعل فلينتظر هجاء قاسياً وتنديداً عنيفاً ببخله وتصيره في حق جاره وصاحبه:

فإن لم تَبْعَثَنَّ إليّ حالاً ... بمائدة على متن البخار

تُغطِّها من الحلوى صنوف ... ومن حمل تتبل بالبهار

فإني شاعرٌ يخشى لساني ... وسوف أريك عاقبة احتقاري

وهناك قصيدة شهيرة لحافظ إبراهيم مطلعها:

لي كساءُ أنعم به من كساء ... أنا فيه أتيه مثل الكسائي

امتدح فيها حافظ كساءه الجديد، وعدّد مزاياه، ووصف أناقته ورقته وفخامته، وتأثيره في عيون الناس، ودعا لكسائه الجديد بطول العمر والوقاية من الحسد فقال:

لا أحالتْ لك الحوادث لوناً | وتعدتك ناسجات الجواء
غفلت عنك للبلى نظراتٌ | وتخطتك إبرة الرّفّاء

ثم وصف بدلته القديمة التي صاحبته قبل هذا الكساء الجديد، وكيف طال عليها الأمد فتغيرت ألوانها كما تغير الحرباء ألوانها، حتى كانت تذكيراً مستمراً لأصدقائه بطيلسان ابن حرب الذي وصفه شعراؤنا القدامى وقالوا عنه الكثير ويختتم حافظ رثاءه لبدلته الهالكة بأبيات خرجت من حلاوة الفكاهة إلى مرارة العتاب للمصريين الذين يقيسون المرء بمظهره لا بمخبره، فيقول:

صحبتني قبل اصطحابك دهراً | بدلةٌ في تلون الحرباء
نسبوها لطيلسان (ابن حرب) | نسبة لم تكن بذات افتراء
كنت فيها إذا طرقت أناساً | أنكروني كطارق بن وباء
كسف الدهر لونها واستعارت | لون وجه الكذوب عند اللقاء
يا ردائي جعلتني عند قومي | فوق ما أشتهي وفوق الرجاء
إن قومي تروقهم جدة ثو | ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب | باهرٍ لونه وبين حذاء
فعد الفضل بي وقمتَ بعزي | بين صحبي، جزيت خير الجزاء

وكان حافظ مدعواً لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بحديقة الأزبكية. وعند دخوله أراد أن يداعبه، فطلب منه التذكرة، فقال له إنه حافظ

إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة، فزعم المشرف أنه لا يعرفه، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما.

فضحك حافظ وقال له: لم أر أخبث منك مشرفاً . . وارتجل هذين البيتين

رياض الأزبكية قد تحلت بأنجابٍ كرامٍ أنت منهمُ
فهبها جنة فُتحت لخيرٍ وأدخلْنا مع المعفوّ عنهم

وضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك . .!!! .

ولما تولى السيد/ محمد الببلاوي رياسة نقابة الأشراف بمصر، ذهب إليه "حافظ إبراهيم" يزوره عام ١٩٢٠ فلم يُسمح له بالدخول إلى نقيل الأشراف الذي كان إلى عهد قريب زميلاً لحافظ في دار الكتب المصرية.

فكتب إليه "حافظ" أبياتاً يعاتبه فيها ويذكره بزمالتهما القديمة في العمل ويقول له إنه لو زار (البابا) -رئيس النصارى- أو (الباب) -رئيس طائفة من الفرق الشيعية- لانفتحت له أبوابهما، فلما يُحال بينه وبين لقاء الحسيب النسيب نقيب السادة الأشراف، ويذكر "حافظ" لصديقه أنه شريف فلا تجوز عليه الصدقة خوفاً من أن يكون صاحبه قد ظن أنه جاء يطلب صدقة. ويهدد صاحبه في آخر الأبيات بأن هذا آخر العهد بينهما فيقول حافظ:

قد كان بابك مفتوحاً لقاصِدِهِ واليوم أوصد دون القاصد الباب
هلا ذكرت (بدار الكتْبِ) صحبتنا إذنحن رغم صروف الدهر أحباب

لـو أننـي جئـت (للبابـا) لأكرمنـي وكـان يكرمنـي لـو جئتـه (البـاب)

لا تخـش جـائزة قـد جئـت أطلبهـا إني شريـف ولـلأشراف أحسـاب

فاهنأ بمانلت من فضـل وإن قطعـت بيـني وبيـنك بعـد اليـوم أسـباب

على أن أروع ما نظم "حافظ" في الفكاهة -في رأينا- تلك الأبيات التي قالها في صديقه الدكتور محجوب ثابت الطبيب السياسي الشهير، وكان ذلك في منزل الزعيم سعد زغلول باشا.

وكان محجوب ثابت معروفاً بلوازمه الغريبة مثل حصانه الذي أطلق أصدقاؤه عليه اسم (مكسويني) -وهو اسم بطل أيرلندي شهير مات منتحراً جوعاً كناية عن أن صاحبه يقسو عليه بتجويعه، وكان يجوب به شوارع القاهرة، ويغشى به المنتديات الأدبية والسياسية والمقاهي.

على أن أغرب لازمة من لوازمه كانت تلك (القافات) الكثيرة التي تشيع في كلامه، والتي اتخذ منها "شوقي وحافظ والأسمر" وغيرهم من شعراء عصرهم أسلوباً للسخرية من صديقهم "محجوب ثابت". قال "حافظ إبراهيم":

يُرغِـي ويُزبِـدُ بالقافـات تحسـبها قصـف المـدافع في أفـقِ البسـاتين

مـن كـل قـافٍ كـأن الله صـوّرها من مـارجِ النـار تصوير الشـياطين

قد خصه الله بالقافات يـعلِكُهـا واختص سُبحانه بالكاف والنونِ

ويتحدث حافظ عن غرائب محجوب ثابت حين يخطب في جمعٍ من الناس فينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن فكرة إلى أخرى، ومن بلدٍ إلى بلدٍ؛ حتى يرهق

مستمعيه. وهو لا يفعل ذلك عن غباء أو سكر؛ وإنما هي العبقرية الفذة، والإبداع الغريب:

يغيبُ عنه الحِجَا حِيناً ويحضُرُهُ ... حيناً فيخلط مختلاً بموزون

لا يأمنُ السامعُ المسكين وثبته ... من(كردفان)إلى أعلى(فلسطين)

بينا تراه ينادي الناس في (حلبٍ) ... إذا به يتحدى القوم في (الصين)

ويذكر حافظ تلك الرؤى والأحلام التي كان محجوب ثابت يعيش فيها دائماً، فقد كان معروفاً عنه أنه يرى دائماً احلاماً وردية، ولا يملّ من تكرارها على مسامع أصدقائه. وكانت أحلامه تتراوح بين عضوية البرلمان، وكرسي الوزارة، أو الزواج من فتاة بكر لعوب غنية، فيقول حافظ:

يبيت ينسج أحلاماً مذهّبة ... تغني تفاسيرها عن(ابن سيرين)

طوراً وزيراً مشاعاً في وزارته ... يصرف الأمر في كل الدواوين

وتارةً زوجَ عطبُولٍ خُدجَّةٍ ... حسناء تملك آلاف الفدادين

يُعفَى من المهر إكراماً للحيته ... وما أظنه من دنيا ومن دين

# الفكاهة في شعر عبد الحميد الديب

عبد الحميد الديب (١٨٩٨-١٩٤٣م ) الذي لقب حياً وميتاً بشاعر البؤس هو واحد من أشهر الشعراء الصعاليك في القرن العشرين ، إذا أخذنا الصعلكة بمفهومها الحديث وهو : يعني التشرد وعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي ، وضنك العيش ، والتصادم المستمر مع الحياة والأحياء .

أما المفهوم القديم للصعلكة الذي يعني قطع الطريق واغتيال ثروات الأغنياء لتوزيعها على المحتاجين كما كان يفعل الشعراء الصعاليك الأقدمون مثل عروة وتأبط شراً وغيرهم فلم يعد لها وجود .

على أن صعلكة عبد الحميد الديب وتشرده وحياته النكدة التي عاشها لا تعود إلى سبب واحد ، بل إلى سببين ، أولهما تلك النشأة الاجتماعية الخشنة التي جُوبه بها في طفولته ، فقد كان أبوه حزاباً قروياً فقيراً يعول أسرة كبيرة ، فلم يظفر شاعرنا بشيء من الاهتمام ولا ذاق طعم النعيم الذي كان يراه في حياة أثرياء قريته ( كمشيش بالمنوفية ) فهذا سبب خارج عن إرادته ، لأنه نشأ مرغماً في هذه الأسرة الفقيرة التي لابد له في اختيارها ، وإنما هي قدره الذي شاء له الله تعالى أن ينشأ فيه.

أما السبب الثاني لصعلكته فهو متعلق به هو ، فقد كان أبوه على الرغم من ضيق يده ، حريصاً على تعليم ابنه فلما أتم صاحبنا حفظ القرآن وتجويده في سن مبكرة أرسله – على عادة أهل الريف في ذلك الزمان – إلى المعهد الديني بالإسكندرية

حيث نال منه شهادته المتوسطة ثم أرسله أبوه إلى القاهرة بعد ذلك عام ١٩٢٠م ليستأنف تعليمه العالي في الأزهر. وهنا بدأ انحراف عبد الحميد الديب عن الطريق السويّ الذي سلكه نظراؤه من الذين سارت بهم مواكب الحياة سيرتها التقليدية فأتموا تعليمهم والتحقوا بوظائف حكومية كفلت لهم حياة كريمة.

ويبدو أن لنفسية الديب المتمردة، وشخصيته الثائرة، أثراً في تغيير مسار حياته، فقد قضى شطراً من عمره في الأزهر ثم يمم شطر دار العلوم التي كانت آنذاك قبلة الأدباء ومحط رحال الشعراء والمبدعين، غير أنه أكبّ على كتب الأدب والتراث في دار الكتب يلتهمها التهاماً، وأهمل دراسته، حتى التقى ذات يوم بالمطرب الشهير سيد درويش الذي أعجب بعبقرية صاحبنا فأخذه ليعيش معه في قصره الفخم ويشاطره حياته المترفة إلى أقصى حدود الترف.

وعاش صاحبنا مع سيد درويش لاهياً عن كل شيء إلا الفن والحياة الصاخبة، فضيّع دراسته، ومستقبله. ولم يطل به العهد بالنعيم فقد مات سيد درويش فجأة وهو في عنفوان الشباب عام ١٩٢٣م وطُرد صاحبنا من القصر الفخم إلى الشارع فاستأجر لنفسه غرفة حقيرة في حي الحسين الشعبي بالقاهرة وبدأت حياته مع التسكع والكدية والصعلكة على نحو استمر حتى وفاته عام ١٩٤٣م.

وقد يبدو التماس جوانب للفكاهة في حياة كئيبة كهذه الحياة ضرباً من المستحيل، لكنّ ذلك في الحقيقة ليس مستحيلاً إذا استعان الباحث في شعر الديب بشيء من الصبر والأناة، فمثل هذا الشاعر البائس المتمرد لا تخلو روحه من الدعابة والسخرية، بل لعل السخرية من لوازم التمرد والتصعلك وهذا ما نلمسه في شعره

حين يصور لنا حياته البائسة في غرفته تلك الحقيرة التي عاش فيها والتي كانت تشبه جحراً بل كان يسميها ( جحر الديب ) وفيها يقول :

أفي غرفتي يا رب أم أنا في لحد ؟ ... ألا شدّ ما ألقى من الزمن الوغد

لقد كنت أرجو غرفة فأصبتها ... بناءً قديم العهد أضيق من لحدّي

فأهدأ أنفاسي يكاد يهدّها ... وأيسر لمس في بنايتها يُردي

أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجله أمضى من الصارم الهندي

تساكنني فيها الأفاعي جريئة ... وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدي

ثم يصف أثاث هذه الغرفة وصفاً مضحكاً . فهذا الأثاث ليس في حقيقته إلا شاعرنا نفسه !!

فهو لا يملك إلا معطفاً يفترشه صيفاً ويتغطى به شتاءً . ويتخذ لنفسه وسائد من أوراق الصحف يغطي بها حجراً صلداً حتى يلين قليلاً ليصلح وسادة وهو في حياته هذه يشبه المهاتما غاندي الذي عزف عن متاع الدنيا الزائل وعاش زاهداً يقول الديب :

تراني بها كل الأثاث ، فمعطفي ... فراش لنومي أو وقاء من البرد

وأما وساداتي بها فجرائد ... تُجدَّد إذ تبلى على حجر صلد

تعلمت فيها صبر أيوب في الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من غاندي

وعلى الرغم من هذه الحالة المزرية التي يقدم لنا فيها الشاعر صورة غرفته القذرة فإنه يحكي لنا عن تلك المعارك الضارية التي تشتعل أول كل شهر بينه وبين صاحب البيت بسبب أجرة البيت التي كانت ثمانين قرشاً هي بالنسبة لشاعرنا نكبة النكبات وأزمة الأزمات يقول الديب .

ثمانــون قرشـــاً أهلكتنـــي كأنهـــا ... ثمانــون ذنبــاً في ســجل عــذابي

طويـت لهـا الـدنيا سـؤالاً وكُديـة ... فـما ظفـرت نـفسي بـرد جـواب

لُعنتَ كِـراءَ البيـت كـم ذا أهنتنـي ... وأذللـت كـبري بـين كـل رحـاب

لأجلــك إمــا أن أبيــع كرامتــي ... وإمــا أفــديها ببيــع ثيــابي

ففـي كـل شـهر لي عـواء بموقـف ... يباعــد عنــي أسرتي وصــحابي

وطول ليالي الشهر يهتاج مضجعي ... مخافــة رب البيــت يغلــق بــابي

يطـــالبني في غلظـــة فأجيبـــه ... إجابــة مــن يرجــو يــدا ويحــابي

ألا ســكن ملكــي ولــو بجهنــم ... وأكفـي مـن الأيـام شر حســابي

ويصور لنا عبد الحميد الديب كيف كان صاحب البيت يهينه إذا تأخر في دفع كراء الغرفة ، ويعيره بفقره وبأن غرفته خالية من أي أثاثات يمكن الحجر عليها إذا ما شكاه صاحب الدار إلى الشرطة . فلا شيء يملكه الشاعر يمكن احتجازه رهناً مقابل الإيجار الضائع . وهذه المعايرة تتكرر أول كل شهر وشاعرنا لا يقف ساكناً ذليلاً ، وإنما يرد الكيل لصاحب الدار فيعيره بأن بيته حقير لا فرق بينه وبين القبر . وإذا كان في جيبه مال تعمد أن يضع يده في جيبه فيضرب بعضه

ببعض فما أن يسمع صاحب الدار رنين النقود حتى تنقلب حاله . ويخف من غلوائه ويتودد إلى شاعرنا في لطف وحنو فيذكّره بحب اليهود للمال وتكالبهم عليه يقول الديب :

صحوت على قصف الرياح وصوته — وما أحدث الطرق الخليع من الجرس
يطالبني بالأجر في غيظ دائن — تصيده المحتال بالثمن البخس
وقال يداري ظلمه : أي ضامن — لسكني تعرت عن سرير وعن كرسي؟
أراك بها كل الأثاث ولا أرى — سوى قلم ثاو على الأرض أو طرس
فقلت له : هذي جدودي كما ترى — فما سكني في البيت بل أنا في رمس
وقلت معاذ الدين ما كنت مرة — غريباً ولا أذللت يومي ولا أمسي

ويغوص الديب في النفس الإنسانية القذرة التي أعماها حب المال فسلبها الحس المرهف والإنسانية الشاعرة . فإذا هي أما المال تنقلب من حال الذئب الضاري إلى حال الحمل الوديع :

وأخضع فقري كبره وثراءه — وأي غنًى للمرء غير غنى النفس
إذا كانت السكنى بأجر مذلة — فما أرحب المجان في غرف الحبس
فإني أرى فيها الطعام ، ولا أرى — غريما يلاقيني بعارضة النحس
وإن لم أجد فيها الطعام ميسراً — فإني رخي البال ...أطعم من حسي

وتأبى أقدار الحياة إلا من السخرية من شاعرنا فتسوق إلى غرفته تلك المتهالكة لصّاً يسرقها ، فلا يجد إلا لحافاً ممزقاً هو كل ما يملك شاعرنا من أسباب

النعيم . فيبكي شاعرنا لحافه الوحيد فيقول ساخراً أنه لا يحزن على فقد اللحاف بقدر حزنه على هلهلة سمعته فاللحاف في حال لا تسر عدواً ولا حبيباً . فهو يخشى الفضيحة إذا قيل : هذا لحاف إنسان !! . ويعتب صاحبنا على اللص الذي يعتبره أخاً في المحنة . وصديق شدة كان حرياً به - والحال كذلك - أن يرأف به ويترك له لحافه يقول الديب :

| | |
|---|---|
| لحافي ،وهل غير الهباء لحافي ؟ | بقية نسج دارس ونداف |
| أطاف به لص فقير كعيشتي | فيها بؤسها من هجرة ومطاف |
| ولم أخش من ذا الرزء إلا فضيحتي | بأني قد مُلِّكْتُ شر لحاف |
| فليتك يا لصي الجريء وجدتني | غنياً وسعدي في الحياة موافي |
| ويا ليتني ما كنت صيدك إنما | سرقت لحافي جاهداً وشغافي |
| ويا ليتني دون اللحاف ضحية | فإني صديق في الحياة موافي |

ومن ألطف نماذج الفكاهة في شعر عبد الحميد الديب . تلك المقطوعات التي هجا فيها بعض أصدقائه هجاءً مقذعاً استلهم فيه قول جرير : ( إذا هجوتم فأضحكوا ) . فها هو ذا يصور لنا صديقه اللدود الشاعر الصحفي كامل الشناوي ببدانته المعروفة وهو يجلس جلسة صفاء وبجانبه غادة حسناء يحاول تقبيلها فتنفر منه لأنها أكرهت على مجالسته طمعاً في ماله أو في كأس تنالها في صحبته فيقول الديب واصفاً كامل الشناوي :

| | |
|---|---|
| يصـــول عـــلى زجـــاج عبقـــري | يكـــاد ببطنـــه الكـــبرى يـــلالي |
| وبـــين يديـــه واحـــدة العـــذارى | شرى يـــدها بكـــأس أو بـــمال |
| تغمغـــم إذ يقبلهـــا استيـــاءً | لأن الفيـــل يعبـــث بالغـــزال |

ويشجر خلاف بين شاعرنا وبين شيخ معمم أمام ( بار اللواء ) ينتهي بمعركة حامية بينهما يشتبكان فيها بالأيدي ثم تتمخض هذه المعركة عن قصيدة يهجو فيها شاعرنا ذلك الشيخ ويتخذ من العمة ( = العمامة ) التي يرتديها الشيوخ وسيلة للغمز في ذمة صاحبه فهو يتهمه بأنه فاسد الذمة . يتخذ هذه العمامة مظهرا من مظاهر النفاق والنصب على الأبرياء بالرياء فهو يتكسب منها بالغش والزور وقد تبدلت بها حاله من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش :

| | |
|---|---|
| عِمـــة تحتهـــا ضـــلال ولـــؤم | وهـــي عـــش الخنـــا وبيـــت الـــداء |
| نســـجت مـــن ســـفاهة وفســـوق | وعـــلى الخســـة انطـــوت والريـــاء |
| أطعمـــت ربهـــا زجاجـــاً حنيـــذا | وســـقته " الكونيـــاك " بعـــد المـــاء |

ويدافع صديقاه الشاعران كامل الشناوي وعلى محمود طه عن ذلك الشيخ بقصيدة يشتركان في تأليفها وينشرانها فيرد الديب عليهما ويمعن في وصف ذلك الشيخ وصفاً تهكمياً بليغاً فيقول :

| | |
|---|---|
| خلـــيليَّ لم أظلـــم وإن بـــت ظـــافراً | وقد تضعف الأضغان من كان قادراً |
| ألم تريـــا ذا الشـــيخ في طـــول نخلـــة؟ | عـــريض القفـــا فينـــان كـــالفرع نـــاضراً |
| ألا لا تلومـــاني عـــلى صـــفع وجهـــه | فـــذلك وجـــهٌ يقبـــل الصـــفع صـــاغراً |

فقـــدمًا رأينـــاه وللعـــين أختهـــا   فأمسى مكان العين بالضرب شاغراً

على أن شاعرنا إذا هجا لم يكن في جميع الأحوال مضحكاً بل كان هجاؤه يصل أحياناً إلى حد من الغلظة كبير . فقد حدث أن زار أديباً كان وزيراً معروفاً في الأربعينيات ، وكان مشهوراً بعطفه على الأدباء والشعراء . فلم يتمكن من مقابلته بسبب صاحب له غليظ القلب ساءه أن يدخل رجل زريّ الهيئة مثل الديب على سيده الوزير فاشتد ذلك على الديب فقال يهجو الوزير وخادمه في شعر لخفة الظل فيه :

قصـــدت إلى بابـــك الموصـــد   فطـــوردتُ بالخـــادم الأســـود

غـــلام يمثـــل حظـــي لـــديك   وقلبـــك في البيـــت والمعبـــد

كـــأني حـــين طلبـــت النـــدى   إليـــك طلبـــت يـــد المعتـــدي

لقـــد عشـــت يـــا رب حتـــى رأيـــ   ـــت من النـاس أقسى من الجامد

فخـــذني إليـــك وأنـــت الكريـــ   ـــم فقـد ضقت بـالزمن الأنكـد

ولســـت أرى البـــؤس عـــاراً إذا   رأيـــت إبـــائي بـــه مُسعـــدي

ومن المواقف الفكهة الطريفة في حياة شاعرنا ذلك الموقف الذي صار فيه شاعرنا موضع سخرية ماجنة من صديقه الفنان سيد العقاد الذي وعده بسهرة ممتعة فسار معه في الطريق وفجأة تعلق العقاد بالترام بجواره فانطلق به . وترك شاعرنا مذهولاً فتلقفه صديقان له . فحكى لهما ما صنع به سيد العقاد فأخذاه ليطعماه ويسقياه . فلما وصلا إلى حجرة أحدهما ادعي الإفلاس وجمع له زجاجات

خمر فارغة ليرهنها عند ( كركور ) وهو صاحب خمارة كان معروفاً لهم . ويشتري بالرهن طعاماً وشراباً . ودسّ صديقه بين تلك الزجاجات زجاجة زيت خروع فارغة وقد اكتشف ( كركور ) الخدعة ومع ذلك فقد أعطى الديب ما أراد من مال فقال شاعرنا يذكر هذا الموقف :

| | |
|---|---|
| وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها | لنظفر من أثمانها بكؤوس |
| فيوماً شربناها بعين وفضة | ويوماً شربناها ببيع نفوس |
| وشِمنا من " العقاد " أنذل باخلٍ | يضن لدى البلوى بنفل فلوس |
| جزى الله " كركوراً " معيناً فإنه | أضاء ببشر الخمر ليل عبوسي |
| وبدل ماء الخلد حزني بشاشة | ففارقني كربي وشدة بوسي |

وهكذا عاش الديب بائساً . ومات بائساً . ولم يرحم أصدقاؤه هذا البؤس بل كانوا يتخذونه مادة للسخرية . ووسيلة للاستهزاء . وكان شاعرنا يبادلهم احتقاراً باحتقار ويرد على بذاءاتهم ببذاءات أشد لا نستطيع ذكر نماذج لها في هذا المقال ...

# السخرية السياسية في شعر محمد الأسمر

تميز الشاعر "محمد الأسمر" ( ١٩٠٠ - ١٩٥٦م ) من بين شعراء جيله بقدرة فائقة على الإبداع في مجال الشعر الفكاهي الساخر وإن لم ينزلق إلى حد استعمال الألفاظ العامية كما فعل معاصروه ممن أبدعوا فن الشعر الساخر المسمى بالحلمنتيشي الذي اختلف عن غيره بهذا المزج المتعمد بين الألفاظ العامية والفصحى مع الحفاظ على الوزن سليماً، والقافية محكمة.

لكن شعر الشاعر الأسمر الفكاهي احتفظ بالمهابة التاريخية للقصيدة الخليلية ممثلة في جزالة الألفاظ، وقوة المطلع، والعناية بالمحسنات البلاغية التقليدية وإلى جانب ذلك، التزم الشاعر "الأسمر" ما التزمه معاصروه الشعراء من عدم التبذل الخلقي، واختار لشعره الفكاهي موضوعات ذات مضمون اجتماعي خلقي، وحتى في أشعاره الشخصية التي مثلتها تلك المداعبات الإخوانية بينه وبين أصدقائه لم يزل قلمه إلى الإسفاف والابتذال وكانت سخريته دائما "نظيفة" إن جاز هذا الوصف.

ومن روائع الشعر الفكاهي عن "الأسمر" ما خص به الحياة السياسية المصرية في عصره من سخرية مريرة، ونقد لاذع ، لما كان يسود تلك الحياة السياسية من تزييف وتزوير ومهاترات وسنختار منها مثالين:

الأول، انتخابات البرلمان،

تشكك الأسمر في جدوى الانتخابات النيابية . وكان في مصر آنذاك مجلسان : مجلس للنواب وآخر للشيوخ . وكان الأسمر يرى أن ما يجري في انتخابات المجلسين هو في الواقع "تمثيل" من السلطات الحاكمة على الشعب بدعوى اختيار "ممثلين" للشعب!! فليس هناك مجال لنجاح مرشح جاد يستطيع أن يعارض معارضة قوية، فالأمر لا يعدو كونه "تعييناً" مقنعاً، وإن تم في شكل انتخابات فهو يقول:

| | |
|---|---|
| وقيل انتخابٌ قلتُ في الشكل وحده | ( كشوفُ) و(أصوات) وكلًّ مُعَيَّنُ |
| فما ناجحٌ إلا المرادُ نجاحهُ | ولو أنَّهُ كَلٌّ على الناس هَيِّنُ |
| لقد بات وادي (النيل) نَهْبا مقسَّما | ولا تَطْلبوا البرهانَ فالأمرُ بيِّنُ |

هذه الانتخابات الزائفة تجر على البلاد بلاء كثيراً، وبخاصة إذا أدت إلى إثارة الفتن بين العائلات، وبث الشقاق الذي قد يتطور إلى نزاعات مسلحة يسقط فيها القتلى والجرحى والشاعر "الأسمر" يوجه خطابه في أبياته التالية إلى الأمة ساخراً من فهمها لمعنى الانتخابات ونتائجها، فالانتخابات غايتها اختيار نواب يتفقون ويختلفون حول قضايا مجتمعهم لكن اختلافهم لا يخرج عن حدود الكلام وتبادل الحجج ، أما أن يتحول الصراع إلى قتل وقتال فهذا مؤشر على سخف في تفكير الأمة، والتواء في فهمها للأمور، ودليل على انحدار مستوى الوعي السيا سي لدى الأمة ،

فيقول شاعرنا :

| | |
|---|---|
| دمـــاءٌ بـــين أهليهـــا تسـيلُ | فَقَـــاتلُهمْ وإن يســـلمْ قتيـــلُ |
| طريـــقُ البرلمـــان طريـــق سلمٍ | قُصـــارى أمــرِه قـــالٌ وقيـــلُ |
| وألفـــاظٌ يــدبِّجُهَا خطيـــبٌ | وتصــــفيقٌ كثـــيرٌ أو قليـــلُ |
| ففـــيم تخـــذتموهُ طريـــقَ حـــربٍ | وفـــيمَ القتـــلُ والهـــمُّ الطويـــلُ؟! |
| فيالـــك أمـــةً ســـارت فضـــلَّتْ | وقـــد وضـــحتْ لســـالكها السـبيلُ |

ولم يكن مثقفو مصر وأدباؤها وصحفيوها في تلك الأيام- الربع الثاني من القرن العشرين- بمعزل عن الحياة السياسية، فقد نجح الأستاذ عباس العقاد في دخول البرلمان ممثلاً للأمة وسجن تسعة شهور حين دافع عن الدستور في مواجهة الملك فؤاد في قصة مشهورة، كما كان الصحفي اللامع الأستاذ "فكري أباظة" برلمانياً مرموقاً لعدة دورات. وحدث ذات مرة أن رشح أربعة من مشاهير الصحفيين أنفسهم ونجحوا في الفوز بعضوية البرلمان وهم الأساتذة. "مصطفى أمين" وشقيقه "على أمين"، و"جلال الحمامصي"، و"كامل الشناوي". وكانوا جميعاً أصدقاء لشاعرنا "محمد الأسمر" فأرسل إليهم تهنئة شعرية ضمنها تحذيراً شديداً من التقصير في أداء واجباتهم في البرلمان ، وطالبهم بالوفاء بما وعدوا به ناخبيهم أثناء دعايتهم. وبأن يحذروا الكسل والخمول فقال مخاطباً إياهم:

| | |
|---|---|
| تهنئـــاتي: ثـــم كونـــوا عنـــدما | قلـــتمُ قبـــل دخـــول (المجلـــسِ) |
| واحـــذروا (الكـــرسيَّ) كـــم مـــرَّ بـــهِ | مـــــعشرُ غـــــيرُكمُ ثُـــــمَّ نُسي |

لا تكونـــوا فوقــهُ مثـــل الـــذي | يحضرُ (الجلســةَ) مثــل الأخـــرس
أو كَمَــــن يهتـــفُ للــــزور به | فــــإذا الحـــق بـــدا لم يَنْـــبسِ
أو كَمَــــن ثروتُـــــهُ تصــــفيقُه | وهـــي عنـــدي رأسُ مـــال المُفْلـــسِ
أو كَمَـــن قيـــل لَـــهُ كُـــنْ فوقـــهُ | صـــنماً، جئـــتَ هـــذا فـــاجسِ
أو كَمَـــنْ يشـــتمُ قومـــاً ظالمـــاً | فهـــو يَعـــوِي كعُـــواء الأطلـــسِ
أو كــــرهطٍ فوقـــــه سِـــيماهُمُ | عَـــدمُ الفهـــمِ، وهَـــزُّ الأرؤسِ!!
أو كَمَـــنْ نـــام بـــهِ لـــيس لـــهُ | مـــن وجـــودٍ فيـــه غـــيرُ الـــنَّفَسِ!!
أو كعُرْيــــــان رآهُ متجـــــــراً | فهـــو فيـــه قاعـــدٌ كـــي يكـــتسي

**ثانياً: كرسي الوزارة:**

وقد وقف الأسمر من مقاعد الوزارة موقفاً متشدداً، كما فعل معاصره الشاعر الفكه " محمد مصطفى حمام" في قصيدته الشهيرة التي قالها على لسان وزير يخاطب الكرسي الذي "التصق" به حيناً من الدهر ومطلعها:

تقبلتنـــي بـــالرغم منـــك نـــزيلاً | فلا ترجُ مني – الدهر – عنك رحيلاً
نشـــدتك يـــا كـــرسيُّ إلا صـــحبتني | طـــويلاً ولم تخطـــب ســـوايَ خلـــيلا
ولم تتـــبرم بالـــذي أنـــت حامـــلُ | فـــإني لأخشـــى أن تكـــون ملـــولا
وإني لأخشــــى أن يُفَـــرَقَ بيننـــا | فتـــورثني حزنـــاً عليـــك طـــويلا
وتشـــمت بي خصـــماً يُـــروِّي نفوسَـــهم | هـــواني ويشـــفي للصـــدور غلـــيلا

أما "الأسمر" فلم يسلك مسلك حمام الشديد السخرية من نفسية الوزير المتشبث بكرسيّه، وإنما جاءت سخريته ذات طابع وطني عام، فلم يشغله أمر الوزراء بقدر ما شغله هذا التقلب المستمر والتغيير المتوالي للوزارات إرضاءً للقصر الملكي أو السفير البريطاني ولكنه لم يستطع الإفصاح عن كل ما كان يختلج في صدره من مشاعر فقال متحسراً على أحوال مصر آنذاك:

| | |
|---|---|
| تَــرُوحُ وزارة وتجــيءُ أخــرى | ومصرُ تُقلِّــبُ النظــراتِ حــيْرى |
| تَشِــيمُ فــلا تــرى إلا بروقــاً | كــواذبَ ربــما أمطــرنَ جمــراً |
| فيــا وزراءَ مصرَ بكــل عهــدٍ | لقــد مــلَّ الروايــةَ شــعب مصرا |
| أُجَمْجِــمُ بالمقــال وإن أشــفى | لــنفسي أن أقــول القــول جهــرا |
| أروني شــاعراً حُــرَّاً يُغَنِّــي | بــها أهــوى فلســتُ اليــوم حُــرّا |
| تَعَشَّــقْنا وصــالحنا وهمنــا | بهــا ومصــالح الأوطــان أحــرى |
| فَــوَا حزنــا لمصرَ جَــرتْ رحيقــاً | لمعــتصرٍ يُجَرِّعُهَــا الأمــرّا |
| عَجِبــتُ لهــا، تفــيضُ بكــل خــيرٍ | ولا تَلْقَــى عــلى الأيــام خــيرا |
| بهــا مــا شــئتَ مــن قمــحٍ وقطــنٍ | ولكنّــا نجــوعُ بهــا ونعْــرى |

ولكننا نراه في قصيدة أخرى يبدو أكثر جرأة، وأشد صراحة فهو يصف مقاعد تلك الوزارات بأنها تحمل وزراء هم في الحقيقة دمى يحركها اللاعبون بها كيفما شاءوا، بحيث إذا تخلوا عنها سقطت وتحطمت والإشارة هنا تأتي واضحة

إلى تدخل بريطانيا السافر في تأليف الوزارات التي تأتي وتذهب وفق مشيئة المحتل الغاصب، فيقول الأسمر:

| | |
|---|---|
| وزراتٌ يُـــراحُ بهـــا ويُغـــدَى | فَثُقْـــلٌ للحـــاملين لهـــا رُوَيْـــداً |
| دُمـــىً خَـــزَفٌ، وألـــواحٌ زُجـــاجٌ | وإن لاحـــتْ حداتـــد أو أشـــدّا |
| إذا يـــدُ ســـانديها أغْفَلَتْهـــا | تَبـــدَّى أمرُهـــا فـــيها تبـــدى |
| هَـــوَتْ فـــإذا بهـــا مـــتحطهات | ولـــو لبســـتْ مـــن الفـــولاذ سَرْدا |

و يوجه الشاعر "الأسمر" خطابه صريحاً إلى السفير البريطاني ومن يقفون خلفه من سادته الذين يحكمون مصر من قصورهم في لندن. فيصف أولئك الإنجليز بأنهم لا عهد لهم وبأنهم لا يحفظون حقوقاً ولا يرعون عهوداً، ولا يرقبون في الموالين لهم إلاًّ ولا ذمة . بل إنهم يضربون بعضهم ببعض، ويؤلبون بعضهم على بعض كما فعلوا حين فرقوا بين سعد زغلول وعدلي يكن. وبين "النحاس " و"مكرم عبيد". وغيره من نجوم ذلك الزمان، فيقول:

| | |
|---|---|
| فيـــا أبنـــاءَ (لنـــدن) بعـــض هـــذا | كفـــى عبثـــاً بنـــا ، عهـــداً فعهـــداً |
| إذا شِـــدتُمْ هـــدمتمْ بعـــد حـــينٍ | فَمَـــنْ أحيَيْتُمُـــوهُ فَقَـــدْ تـــردَّى؟! |
| ولـــيس لكـــمْ صـــديقٌ أو عزيـــزٌ | ولكـــن تبتغـــونَ الكـــلَّ عبـــداً؟! |
| وقـــد تســـتبدلون بـــذاك هـــذا | ولا تَخْشَـــوْنَ مـــن أحـــدٍ مَـــرَدَّا |
| ولَســـتُمْ ذاكـــرينَ لـــذاك ودّاً | ولســـتُمْ حـــافظينَ لـــذاك عهـــدا |
| تُـــديرُ يـــداكمُ كأســـاً سَـــقَيْتُمْ | بهـــا مـــن قبـــلُ (عـــدليًّا) و(ســـعدا) |

إذا هيـــــأتُم مَهْـــــداً لقـــــومٍ طَـــوَيْتُمْ في ثنايـــا المهـــد لحـــداً!!

ثم يوجه خطابه إلى وزراء مصر، أولئك المذبذبين الذين يقبلون أن يكونوا قطعاً في رقعة شطرنج يحركها القصر أو تحركها السفارة. فهم يسيرون حسب ما تسير بهم أمواج السلطة التي جاءت بهم إلى مقاعدهم، فيقول:

فيـــا وزراء مصر بكـــل عهـــدٍ أرى عِقْـــدَ الـــوزارة صـــار قَيْـــدا

وكـــلُّ ســـفينةٍ نزلـــت ببحـــرٍ أطاعـــتْ موجَـــهُ، جَـــزْراً ومَـــداً!!

ولم يختلف الأمر كثيراً بعد ثورة ١٩٥٢م، فقد ظل أعضاء البرلمان "يعينون " في صورة منتخبين، فقال الشاعر الشاب "هاشم الرفاعي" يصف أولئك النواب في أول برلمان بعد الثورة مخاطباً عبد الناصر:

هـاهم ، كما تهوى ، فحركهم : دمى لا يفتحون - بغير ما تهوى - فما !!

فهل تغير الحال كثيراً بعد ٦٠أو بعد٥٠ عاماً من تلك الأحداث؟!! لا تظن. !!

# بين العقاد والجبلاوي

كان بين العقاد والشاعر طاهر الجبلاوي ( ١٨٩٨ - ١٩٧٩م ) صداقة حميمة، وعلاقة أخوية وثيقة ، تجلت أصداؤها في دواوين العقاد . وفي مذكرات طاهر الجبلاوي التي نشرها بعنوان ( ذكرياتي مع عباس العقاد ) . والتي ذيّلها بصور لمجموعة من الرسائل الشخصية التي كان العقاد أرسلها إليه في المحافظات المختلفة التي كان الجبلاوي يُنقل إليها من حين لآخر في عمله الحكومي وهي (الفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا ) . . ويبدو أنه كان مغضوباً عليه من رؤسائه إذ كان النقل إلى الصعيد في تلك السنين عقوبة من العقوبات التي ما كان أكثر ما توقع الموظفين بعامة والمدرسين بخاصة . وقد أشار إلى هذا الشاعر حفني ناصف في قصيدته الشهيرة :

قالوا : نُقلتَ إلى قنا ... يا مرحباً بقنا وإسنا

وعارضها الشاعر المعاصر عبد المجيد طه حين نقلوه . إلى مدينة طما وقرية مشطا بمحافظة سوهاج فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى طما ... يا مرحباً بطما ومشطا

قالوا : أكلتَ المشّ قلـ ... ـتُ وحبذا بالمشّ لهطا

ويبدو أن طاهر الجبلاوي كان قد طلب إلى العقاد التوسط له لدى كبار موظفي الوزارة ليعيدوه إلى القاهرة فينعم بمحافلها الأدبية وندواتها الثقافية وأمسياتها الشعرية التي عرفته شاعراً فحلاً في أواسط هذا القرن .

والذي يؤكد أنه طلب إلى العقاد التوسط تلك الأبيات التي أرسلها إليه وهو في أسيوط يقول فيها :

هل أنصفوا الجبلاوي ... وهْو بأسيوط ثاوي ؟
أعيش بين أناس ... هم آية في المساوي
مُصبَّحاً ومُمَسَّي ... منهم بذئب عاوي
واللؤم والشر فيهم ... أضعاف ما قال راوي
أنجد أخاك فإني ... على شفير هاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [ وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأه ] يقول العقاد :

كلمت في النقل قوماً ... منهم رشيد وغاوي
ومنهم مستقيم ... فيما يقول ولاوي
فما أفادوا بشيء ... إلا عريض الدعاوي
فاقعد "بَقَا" واصطليها ... في الحر والحر شاوي

وحين كان الجبلاوي في الفيوم امتدت يد أحد اللصوص فسرق حافظة نقوده ولم يترك له شيئاً . فاستنجد بصديقه العقاد ليرسل له نقوداً . فأرسل له العقاد " شيكاً " ومعه الأبيات التالية يتهمه فيها بانه ظلم اللصوص حين ادعى أنهم سرقوه ويصفه بأنه ( خيتعور ) وهي كلمة عامية لا معنى لها وإن حملت سمة التهكم فيقول :

| | |
|---|---|
| تتجنى على اللصوص من الظلم | فيا ليتهم تجنَّوا عليكا |
| إن يكن ضاع ما ضاع فاعلم | أن كفيك غالتا كفيكا |
| بين كأس شهية وكتاب | عبقري تجلو به عينيكا |
| فتقبل شيكاتنا ، ثم حاذر | أن تزوغ الشيكات من كفيكا |
| ثم هرول يا خيتعور من الفيوم | جرياً ولو على قدميكا |

وينقل الجبلاوي إلى سوهاج وينتقل طاهر الجبلاوي إلى محافظة سوهاج في الصعيد فيرسل إليه العقاد الأبيات التالية يدعوه فيها للحضور لقضاء أحد الأعياد في القاهرة . وهي في ديوانه ( ما بعد البعد ) الذي أصدره المرحوم الأستاذ عامر العقاد ابن شقيق العقاد بعد وفاة عمه . يقول العقاد :

| | |
|---|---|
| في العيد منتظروكا | فاحضر لنا يا ويكا |
| سوهاج أضيق من أن | تغنيك أو تحتويكا |
| فالعيش فيها ضنين | بكل ما يرضيكا |
| ولو أردت انتحاراً | لما وجدت (فِنِيكا) |

[ والفنيك هو نوع من الكيمياويات السامة ].

ويكاد العقاد في قصيدته هذه أن ينتهج نهج الشعر الحلمنتيشي الذي يزاوج – في بنائه الفني – بين الكلمات الدارجة والكلمات الفصحى ، فهو ينجت الفعل (يقيقهر) للدلالة على من يسكن القاهرة مقابل الفعل ( يسوهج ) للدلالة على من يسكن سوهاج . ويستخدم كلمتي ( جهركا ، وسيكا ) وهما مقامان موسيقيان مختلفان كما تختلف سوهاج عن القاهرة :

| | |
|---|---|
| ومـــن يقيهـــر خيـــر | ممـــن يســـوهج ديكـــا |
| هـــذا يغنـــي جهركـــا | وذاك ينشـــد سيكـــا |
| وذا يصـــيح فصـــيحاً | وذاك يهـــذي ركيكـــا |
| وجـــائز حـــين تأتـــي | ألا تعـــود وشيكـــا |

وذات مرة مات كلب لطاهر الجبلاوي فكتب العقاد رثاءً جميلاً في هذا الفقيد نعى فيه صديق صديقه نعياً مؤثراً . فقد كان هو وصاحبه مع الدنيا على أتم وفاق ، وكان يتبادلان الخبرات والأدوار ، فقد يقرأ الكلب ، وقد يخرج طاهر للصيد يقول العقاد :

| | |
|---|---|
| حزنـــاً عـــلى كلـــب طـــاهر | فإنـــه طـــاهر الكـــلاب |
| تشـــابها في خليقـــةٍ | واتفقـــا – شـــيمة الصـــحاب |
| كلاهمـــا يســـتفيد مـــن | صـــاحبه علمـــه العجـــاب |
| فكـــان للصـــيد طـــاهرٌ | وكلبـــه الفحـــل "للكتـــاب" |

ونـــم لحظأهمـــا عـــلى ... سرٍ في الصـوف في حجـاب
وربـــما عـــيّ طـــاهرٌ ... وكلبـه حـاضر الجـواب
فلـــيس يوفيـــه حقـــه ... في اكتئـــاب وانتحـــاب
إلا إذا بـــــات نابحـــاً ... نـبح المسـاعير في الخـراب
عوْعـوْ عَـووْوْ - بـلا ونـيّ ... ولا انقطـاع ولا اقتضـاب
لا تســـألوا رحمـــةً لـــه ... قـد رحـم الله واسـتجاب
لعلـــه مـــات قانطـــاً ... مـن قلـة الأكـل والشراب
منتحـــــراً في شـــــبابه ... وهكـذا يفعـل الشـباب
أراحـه المـوت مـن ضـنى ... أنقـذه القـبر مـن عـذاب
فليحمـــــد الله ربـــــه ... مـن جـاع فلـيرضى بـالتراب

وقد حاول الفنان صلاح طاهر - وهو صديق مشترك للعقاد والجبلاوي التسرية عن الجبلاوي بعد موت كلبه . فأهداه كلباً جديداً أطلق عليه الجبلاوي اسم ( ديوجين ) تيمناً باسم الفيلسوف اليوناني الكلبي ( ديوجنيس ) وذهب إلى صائغ فعمل له مصباحاً من الفضة علقه في رقبته . وأعد له جرة خاصة في منزله يعيش فيها مكرماً محترماً ، ولكنه كان يأبى إلا الاختلاط بكلاب الجيران . وذات يوم تفقده الجبلاوي فلم يجده فكتب عنه يقول :

هجرتنـــــي واختفيـــــت ... فـــأي بيـــت قصـــدت
مـــا كـــان حظـــك منـــي ... أقـــل ممـــا طلبـــت

اللحـــم والخبـــز عنـــدي ... والعطـــف والـــود فـــت
وحجـــرة لـــك فيهـــا ... مـــن الرغائـــب شـــتى
وشـــاعراً فيلســـوفاً ... ملبيـــاً إن غويـــت
كـــم مـــن كتـــاب نفـــيس ... بـــلا حســـاب قطعـــت
وكـــم صـــحيفة شـــعر ... خطفتهـــا وجريـــت
فـــما ضربـــت لـــذنب ... ولا بقـــول نهـــرت
لم يســـترد بعـــض وجـــد ... عـــلى عزيـــز خلفـــت
فقدتـــه طـــي لحـــد ... وأنـــت حيـــاً فقـــدت
وكـــان فيـــه عـــزاء ... مـــن رزئـــه لـــو أردت
فمـــن لرزأيـــي أبغـــي ... إذا مضى ومضـــيت
في كـــل حـــي تـــراني ... مســـائلاً أيـــن بنـــت
وكلـــما شـــمت كلبـــاً ... أقـــول هـــا هـــو أنـــت
وأرجـــع الـــدار علـــيّ ... أراك للـــدار عـــدت
فـــما اهتـــديت بســـعي ... ولا إليّ اهتـــديت
فيـــا ديـــوجين قـــل لي ... مـــاذا دهـــاك فغبـــت
وكلبـــة كنـــت تهـــوى ... خلفتهـــا وهجـــرت
فـــلا وداعـــاً جميـــلاً ... ولا ســـلاماً تركـــت
فهـــل خشـــيت ضـــلالا ... مـــن الهـــوى فارتحلـــت

أم اكتويــــــت بنـــــار ـــــ مـــن الغـــرام فهمــت
ســــيان في الحـــب هـــذا ـــــ وذلـــــك أني ذهبــــت
بــــالله قـــــل لي مـــاذا ـــــ بعـــد الفـــراق وجـــدت
وبــــين قـــــوم كـــرام ـــــ تعـــيش كيـــف أردت
لا يحرمونـــــك عطفـــــاً ـــــ ورأفـــة أن شــــكوت
أم أنـــت بـــين صـــغار ـــــ لا يرحمـــون وقعـــت
موثقـــــاً في حبـــــال ـــــ بغـــير ذنـــب جنيـــت
تجــــــر في كـــــل درب ـــــ فـــإن عصـــيت ضربـــت
وصرخـــــة لـــــك تمضي ـــــ مـــا بيـــنهم إن غضـــبت
مصـــباحك اليــــوم ينجــــي ـــــ مـــن كـــل شر رأيـــت
فاحملــــه وانشـــد صـــديقاً ـــــ مـــن الأنـــام ألفـــت
عليـــــك منــــي الســـلام ـــــ في أي دار حللـــــت

فكتب إليه العقاد مواسياً في مصيبة فقد ( ديوجين ) الغالي قصيدة ذكّره فيها بموت كلبه السابق ، وفرار كلبه الحالي . واستنتج من ذلك أن الجبلاوي بخيل ولولا بخله ما هجرته كلابه ، يقول العقاد :

أمســـت كلابــــك شـــتى ـــــ وأنـــت يـــا صـــاح أنـــت
كلـــب نجـــا وهـــو حـــي ـــــ وآخـــر فـــر ميتـــاً
مـــا بـــين تـــارك دينـــا ـــــ وتـــرك لـــك بيتـــاً

قـــل لي بربـــك مــــاذا ... عـــلى الكـــلاب جنيـــت
حتــــــى ديــــــوجين ولي ... يــا ســوء مــا قــد صـنعت
والله مــــا كـــــان يـــأبى ... لـــو صـــادف الخبــز بحتــا
أوجــــدت يومــــاً عليــــه ... فصــــادف الأدم زيتــــا
زعمتـــــه راح يهـــــوى ... مــــن قومــــه الغـــر بنتــاً
لا تلــــزم الحـــب ذنبـــاً ... مــــن الصـــيام تـــأتى
فاحمــــل رغيفـــاً تجـــده ... في أي صــــوب نظــــرت
مصـــباحه لـــيس يجـــدي ... فـــلا تضـــع فيـــه وقتـــاً
أنعـــم بـــه مـــن حكـــيم ... إلى ديــــوجين متـــــاً
رأي الســــلامة حقـــــاً ... ومـــن رأي الحـــق أفتـــى

رسائل شعرية متبادلة :

وكان الجبلاوي - وهو من محافظة دمياط - يفضل أن يقضي الصيف في مصيف رأس البر فكتب إليه العقاد رسالة شعرية على عنوانه برأس البر يقول فيها

إلى الأســـتاذ طـــاهرٍ الجبـــالي ... بـــرأس الـــبر أو بـــرِّ الرمـــال
ســـلامٌ مـــن نـــديوتكم بـــمصرٍ ... ومـــا التصـــغير إلا للجـــلال

ثم يذكر له بعض ندوة العقاد الدائمين كالأستاذ الأديب الشاعر محمد خليفة التونسي ، والأستاذ محمد الشوربجي ، والأستاذ عبد الحي دياب ، وغيرهم ويختتم العقاد رسالته الشعرية بقوله :

وســلِّم أنــت عنــدك يــا أخانــا ‏ ‏ ‏ ‏ عــلي الزيــات والزيــات قــالِ
" وقــالِ " هــذه : قَــلْيٌ وقــولٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ونظــم الشــعر في قيــل وقــال
ســـلام في ســـلام في ســـلام ‏ ‏ ‏ ‏ وشرط الــرد يُكتــب في ارتجــال

فهو في هذه الأبيات يهدي سلامه إلى صديقهما الصحفي الأديب المحامي عبد حسن الزيات ، ويسترسل في دعابته الشعرية مستخدماً التورية في كلمة ( قالِ ) فيقول أنها تحتمل أن تكون من القَلْي - بفتح القاف وسكون اللام - بمعنى إنضاج السمك في الزيت ، أن من القول . وقد كان الجبلاوي عند حسن ظن صديقه فكتب الرد ارتجالاً من رأس البر فقال

بعثــت إلى مــن وادي الظــلال ‏ ‏ ‏ ‏ بأبيــات مــن الســحر الحــلال
عــرائس مــن مــروج الشــعر جــاءت ‏ ‏ ‏ ‏ تــرود الفــن في شــط الخيــال
فأنســتني المصــيف ومــا حــواه ‏ ‏ ‏ ‏ مــن الفــتن المدلــة بــالجمال
تُــذَكِّرُ بالنــدىّ وزائريــه ‏ ‏ ‏ ‏ كــأني بالنــديّ عــلى اتصــال
وإن تســأل عــن الزيــات إني ‏ ‏ ‏ ‏ أراه محــيراً في كــل حــال
عــلى الغيطــان مشــغول وأنــا ‏ ‏ ‏ ‏ لــدودة قطنــه يــدعو نــزال
وهــذا الشــعر مرتجــل فعفــواً ‏ ‏ ‏ ‏ فشرط الــرد يكتــب بارتجــال

وقبل أن يعود الجبلاوي من مصيفه في رأس البر يكتب إليه العقاد رسالة شعرية أخرى تفيض عذوبة وخفة ظل . فهو يتخيل ما يعيش فيه في مصيفه ذاك

النعيم والتمتع بملذات الحياة ، ويذكِّره بأن يأتي إليهم حين يعود بالحلوى الدمياطي الشهيرة باسم ( المشبِّك ) فيقول العقاد :

| | |
|---|---|
| سلام في سلام في سلام | إلى الطيهور يقرأ كل عام |
| برأس البر مصطافاً وأنعم | برأس البر في طيب المقام |
| يطيل بها الصلاة مع الصيام | ويسكن في محاريب الإمام |
| ويرتاد الشواطئ بين عذب | وملح زاخر الأمواج طام |
| ويركب طفطفاً ويخاف جداً | من القفز السريع إلى الترام |
| ويأكل لحم طير يشتهيه | مع السمك المبطرخ في البرام |
| ولا ينسى الفطائر ذات حشو | أحب إليه من حشو الكلام |
| وقل ما شئت في عشرين صنفاً | من الحلوى تجئ مع الطعام |
| وحين نرى المشبك في يديه | يكون لقاؤه مسك الختام |

ويرد الجبلاوي على العقاد ملتزماً الوزن والقافية نفسيهما كما هو الحال في أية معارضة شعرية ، ويؤكد أنه سيحمل ( المشبَّك ) إلى أصحابه في طريق عودته إلى القاهرة ، يقول الجبلاوي مجيباً العقاد :

| | |
|---|---|
| وهذا فضل أستاذ كريم | فقل ما شئت في فضل الكرام |
| يجود بها فرائد كالدراري | تألق في دياجير الظلام |
| و هأنذا أغادر رأس بري | إلى رأس من العلياء سام |
| تجمل بالنهى وازداد حباً | إلينا بالمودة والوئام |

وفصـــل القـــول أني عـــدت تـــواً ... وفي يـــدي المشـــبك في ســـلام

الجبلاوي في أسيوط :

ويبدو أن حظ طاهر الجبلاوي مع الصعيد كان سيئاً للغاية فبعد أن سرقوه في الفيوم . وبعد أن نقلوه إلى سوهاج . نقلوه إلى أسيوط كما أشرنا سابقا فأرسل أبياتاً لصديقه العقاد يستعيث به ليتوسط له في النقل إلى القاهرة . ويصف له أهل أسيوط بأنهم آية في سوء العشرة فيقول الجبلاوي :

هـــل أنصـــفوا الجبـــلاوي ... وهـــو بأســـيوط ثـــاوي ؟

أعـــيش بـــين أنـــاس ... هـــم آيـــة في المســـاوي

مُصـــبَّحاً ومُمَسَّـــي ... مـــنهم بـــذنب عـــاوي

واللـــؤم والشر فيهـــم ... أضـــعاف مـــا قـــال راوي

أنجـــد أخـــاك فإنـــي ... عـــلى شفـــير هـــاوي

ويبدو أن الجبلاوي قد هفا هفوة مما يكون بين الأصدقاء . وعوقب فيها من العقاد وصحبه . فاعترف بخطئه ووصف نفسه بأنه ( وِحِش ) - بكسر الواو والحاء وهي كلمة عامية معناها : غير لائق - فكتب إليه العقاد وهو في أسيوط سنة ١٩٢٩م يقول :

قلـــت بهـــا معترفـــاً ... وكنـــت فيهـــا منصـــفاً

فأنـــت في الوحاشـــة ... بيـــك وقيـــل باشـــته

وأنـــت في الملاهـــي ... أعـــبط خلـــق الله

ومرة يكتب العقاد إلى الجبلاوي وهو في أسيوط يتنبأ له بالنقل بعد أسيوط إلى قنا وربما ينقل بعدها إلى قرية ( دراو ) المتاخمة لمدينة أسوان في أقصى الجنوب ، ويؤيسه من التفكير في العودة إلى مصر - أي القاهرة - فيقول :

| | |
|---|---|
| اليوم تدعى السيوطي | وسوف تدعى القناوي |
| وقد يجيئك يوم | فيه تسمى الدراوي |
| ما أنت والله آت | لمصر يا جبلاوي |

**الجبلاوي في الفيوم ،**

أما المدة التي قضاها الجبلاوي في الفيوم فقد شهدت كثيراً من المراسلات بينه وبين العقاد ، وقد يرجع ذلك إلى أن الجبلاوي كان ينتهز فرصة عطلة الجمعة وقصر المسافة من الفيوم إلى القاهرة فكان يحضر إلى أصدقائه بعد ظهر الخميس أسبوعياً . وربما يصادف أن يكون السبت عطلة لأية مناسبة فتزداد مدة بقائه مع صحبه في القاهرة كما يظهر من قصيدة العقاد التي بعث بها إليه يدعوه للحضور لاستغلال إجازة الجمعة والسبت وفيها يقول العقاد :

| | |
|---|---|
| إن يوم السبت القريب بطالةْ | فاركب القطر عاجلاً وتعالهْ |
| شوف تلقى إذا حضرت إلينا | أكلة حلوة تسيل الريالةْ |
| " مكروني " الطليان هيفاء بيضا | كومض الأشعة المختالةْ |
| وإذا ما الفيوم أبقتك فاقتنع | ؟؟؟؟؟ هناك أو بزبالةْ |
| وسلام على " ديوجين " منا | فهو نعم الزميل في كل حالةْ |

وهــو أولى مــن طــاهر بســلام | أو كتــاب مزخــرف أو رســالة

ويكتب إليه مرة يغريه بالحضور يوم الخميس القادم فيقول :

يــوم الخمــيس حضــور | وســـهرة وســـحور
وقــد يكــون غــداء | وقــد يكــون " فضــور "
وهكـــذا في جديـــد | كـــما تـــدور نـــدور
إن جئـــت أهـــلاً وســـهلاً | أو لا فأنـــت تغـــور !

وفي رسالة أخرى يهدد العقاد صديقه بأنه إن لم يحضر إليهم يوم الخميس فسوف تتغير نظرتهم إلى شعره وقصصه فيقول :

يــا جبــالي قــل لنــا هــل تجــئ | بعــد ظهــر الخمــيس أولا تجــئ ؟
لــك شــعر إن جئــتَ عــذبٌ بليــغ | فــإذا لم تجــئْ فشــعر رديء
والروايــات أنــت تحســن فيهــا | فــإذا لم تجــئْ فأنــت تسيء !
ولهــم عنــك قــول نــاس لطــاف | حــين تــأتي ، أو لا فقــول بــذيء

**الجبلاوي في قنا :**

وقد شهدت المدة التي قضاها الجبلاوي في قنا مراسلات شعرية من نوع خاص فأكثر تلك المراسلات إما يتعلق بالضغط على موضوع نقله إلى القاهرة . وإما يتعلق بالجوافة التي اعتاد الجبلاوي أن يبعث بها من قنا إلى صديقه العقاد فكانت تصل إليه في حالة يرثى لها من الضعف والاهتراء . فيكتب العقاد لصاحبه يقول :

أيهـا الخيتعـور قـد وصـلت جـو | افـة منـك تشـبه الجوافـة !!
وعلى الوعـد نحـن بالكتب شتى | والروايـات جمـةٌ ، والسـلامة
وعليهـا يـا حـظ حفلـة تكريـ | ـم كعهد النهى ، وعهد السخافة
فـانتظر في قنـا إذا خفـت يـا حـظ | وهيهـات أن تفيـد المخافـة

ويصف العقاد الجوافة التي وصلته ذات مرة بأنها ( موحوسة ) فيكتب إلى صديقه الجبلاوي ليصفه بأنه هو أيضاً ( موحوس ) فيقول مهدداً :

أنـت - والله - "برضُـهُ" موحـوسُ | بـل غريـقٌ في نحسـه مغمـوسُ
إن جوافـةً بعثـت بهـا لا | خـير فيهـا يأيهـا الملحـوسُ
ولعمـري يـا فـارس الكـون إني | منـك في كـل حالـةٍ مفـروسُ
فـانتظر حينـما تجـيء إلينـا | كـل خـير تصـبو إليـه النفـوسُ

# الفكاهة في شعر بيرم التونسي

على الرغم من الحس اللغوي والأدبي المرهف الذي تميز به عقل وقلم بيرم التونسي ، فإن صفة الزجال هي التي عرف بها حياً وميتاً فقد كان للمواويل والأغاني والأزجال التي عاشت في وجدان الشعب العربي بعامة والشعب المصري بخاصة ، أثر كبير في تلقيب بيرم بـ " شاعر الشعب " وإضفاء صفة الزجال عليه بصورة تلازمية .

وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة ، ضآلة إنتاجه الفصيح من جهة وإعراض النقاد ومؤرخي الأدب عن دراسة ذلك الإنتاج الفصيح الذي يتمثل في تلك القصائد القليلة التي نعرفها ، وتلك المقطوعات التي تتخلل مقاماته التي نشرت في جزأين حتى الآن عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفي تقديري أن الحياة الشخصية المضطربة التي عاشها بيرم التونسي وما شهدته من تقلبات وما عاناه من عذاب النفي والتشريد ثم انهماكه في عدة أعمال صحفية لضمان لقمة العيش ، ثم اندماجه فيما بعد في العمل الإذاعي والسينمائي والمسرحي . كل ذلك كان وراء قلة إنتاجه من الشعر الفصيح وغلبة اللغة الشعبية على فنه الشعري بدليل هذا الكم الكبير من المواويل والأزجال التي خلفها والتي كان كثير منها أجزاء من أعمال أوبرالية أو مسرحية أو إذاعية قدمها بيرم في مراحل مختلفة من حياته .

ويبدو أن سوء الحظ الذي عاشر بيرم معظم سني حياته ، قد حالف أعماله بعد وفاته ، فلم يحظ إنتاجه بالتقدير اللائق بها من جانب النقاد والدارسين . وظل معظم ما كتب عنه مجموعة من الكتيبات أو المقالات والبحوث التي قدمت في مؤتمرات أو في مناسبات مختلفة أحييت فيها ذكراه.

وإذا بحثنا في هذا الكم الضئيل مما كتب عنه عمن تناول أشعاره الفصيحة سنجد عملين اثنينهما :

1. كتيب في نحو ثلاثين صفحة متوسطة من تأليف الأستاذ عبد الفتاح غبن نشر ملحقاً للعدد ٢٠٧٨ من مجلة الإذاعة والتليفزيون المصرية الصادر في ١١ يناير ١٩٧٥م.
2. كتاب للشاعر عبد العليم القباني عنوانه " محمود بيرم التونسي " ١٨٩٣ ١٩٦١ " يقع في نحو ستين ومائة صفحة صدر عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

ومما يؤكد ما حدسناه من ملازمة سوء الحظ لإنتاج بيرم التونسي الفصيح أن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة أصدرت في مارس ١٩٩٦ كتاباً تذكارياً عن بيرم التونسي يقع في ثلاث وتسعين وماني صفحة ويضم اثنى عشر بحثاً ليس من بينها بحث واحد يتناول شعره الفصيح بل يدور معظمها حول أزجاله ومقاماته ونقده للمجتمع .

لم يخرج شعر بيرم الفصيح في قوالبه الشكلية عن الأطر التقليدية للبحور الخليلية على الرغم من قدرته التشكيلية الهائلة التي تبرز أكثر وضوحاً في أزجاله

فجميع شعره الفصيح أتى في البحور التقليدية وإن كانت هناك سمات خاصة بشعره فمن الممكن إجمالها في أنه أفاد كثيراً مما في تراثنا من محاولات تجديدية

فقد كان بيرم التونسي مستوعباً جيداً للتراث العربي . وينقل صديقه عبد الفتاح غبن على لسانه شهادته عن استيعابه للتراث حيث يقول بيرم.

" لقد حفظت القرآن الكريم ودرست ستة كتب في تجويده وتلاوته بقراءته الثابتة عند أئمة الشريعة والدين . . واستوعبت دراسة الأدب العربي القديم من أمهات مصادره وشربته من أصفى ينابيعه ودرست البلاغة وعلوم اللغة وفقهها وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم ".

فإذا حاولنا أن نرى أثر ذلك في شعره الفصيح - من حيث الشكل - فإننا نجد تلك القصة التي وردت في كتاب " إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس" والتي تقول إن الخليفة هارون الرشيد كان يسير يوماً بصحبة وزيره جعفر البرمكي فوجدا فتاة تتغنى على بئر ماء بقولها :

| | |
|---|---|
| قــــولي لطيفـــــك ينثنــــــي | عـــن مضــجعي وقــت المنــام |
| كــــي أســـــتريح وتنطفــــي | نــــار تـــأجج في العظــــام |
| دنـــــف تقلبــــه الأكـــــف | عـــلى بســـاط مـــن ســـقام |
| أمـــا أنـــا فكـــما علمـــت | فهـــل لوصــــلك مـــن دوام ؟ |

فسألها الخليفة : أهذا من مقولك أم من منقولك ؟ فلما قالت إنه من شعرها طلب إليها أن تمسك المعنى وتغير القافية فقالت :

قـــولي لطيفـــك ينثنـــي عـن مضـجعي وقـت الوسـن

كـــي أســـتريح وتنطفـــي نـــار تـــأجج في البـــدن

دنـــف تقلبـــه الأكـــف عـــلى بســـاط مـــن شـــجن

أمـــا أنـــا فكـــما علمـــت فهــل لوصــلك مــن ثمــن ؟

**فكرر الخليفة سؤاله وطلبه فقالت أبياتها نفسها جاعلة كلمات دالية ثم عينية القافية متكان الكلمات الأربع الأخيرة من الأبيات .**

**مثـل هـذا التكنيـك اسـتخدمه بـيرم في إحـدى مقاماتـه عـلى لسـان أحـد المجـاورين ( = طلاب الأزهر قديماً ) واسمه المتيم بن ولهان الذي يصف وقفته في محطة الترام نـاظراً إلى سـاق إحدى الفتيـات وقد مضى خلفهـا يقـول متغـزلاً في ساقها :**

أيهـــا الســـاق الـــذي قـــد دملجـــا وتحاشـــى حجلـــه أن يخرجـــا

يتهـــــــادى يمنـــــــة أو يسرة خلفـــه آو خفـــة لا حرجـــا

كلـــما ســـارت بـــه ربتـــه خلتهـــا عمـــدا تـــدوس المهجـــا

كيـــف يلقـــاك محـــب والـــه إن تمـــددت عليـــه ابتهجـــا ؟

**قال المتيم بن ولهان : فمرت ولم تفهم فقلت إلى جهنم . ورجع إلى مكانه من محطة الترام فلما جاءت أخرى ذات نهد عظيم تبعها متغزلاً في نهدها وهو يقول**

أيهـــا النهـــد الـــذي قـــد قبقبـــا وغـــدا كالكـــأس حـــين انقلبـــا

يتهـــــــادى يمنـــــــة أو يسرة فاتنـــــاً إفرنجهـــــا والعربـــــا

كلما سارت به ربته      أظهر الطيش وأبدى اللعبا

كيف يلقاك محب واله      قد تلظى قلبه والتهبا

وقد كرر بيرم هذا اللون من التشكيل الفني في مقاماته أكثر من مرة وهو ملمح تراثي ملحوظفي غالب نتاجه الفصيح . وهناك ملمح آخر وهو اللزوميات التي تفرد أبو العلاء المعري بالتوسع فيها في تراثنا الأدبي القديم حتى نسج على منوالها ديوانه الشهير المتفرد " لزوم مالا يلزم " وقد مارسها بيرم التونسي في شعره الفصيح ومن ذلك قوله ملتزماً قافية النون والكاف من قصيدته من شعره الجاد الذي يصف به سوء حاله ويتخيل نفسه يتحدث إلى محبوبة هي سليمى ويطلب منها أن توصل شكواه إلى طلعت باشا حرب مؤسس الاقتصاد المصري الحديث والذي اقترن اسمه ببنك مصر الذي أسسه في العشرينيات يقول بيرم :

سليمى لم يكن بعدي      لصد أو غنى عنك

ولكن لم أكن ألقى      بجيبي نصف افرنك

ولا قرشاً به أشري      لعيني قطرة الزنك

عسى أن تصل الشكوى      لطلعت صاحب البنك

هو الحرب الذي أضحى      بمصر هازم الضنك

ومن لزوميات بيرم الفكهة قوله في قصيدة ( بائع الكفتة والكباب ) يصف جلسة معهودة في الأسواق الشعبية حين يتحلق العامة حول باعة الأطعمة الذين لا

تعنيهم صحة الناس في شيئ فيبيعونهم الكفتة والكباب وما شاكلهما في ظروف صحية واجتماعية وأخلاقية يرثى لها :

| | |
|---|---|
| وقـدامهم حطـوا صـحون مخلـل | بحافات هاتيك الصحون هباب |
| ستصـبح في مصر وزارة صـحة | بها يسبح الصياع ، وهي عباب |
| وتركـب فيـه المركبـات سريعـة | شـيوخ تـردى تحتهـا وشـباب |
| أرى للفتى الجربان في السوق نصبة | يبـاع عليهـا كفتـة وكبـاب |
| محبشـة رقطـاء تحسـب نقطهـا | من الفلفل الهندي وهو ذباب |
| وحول الفتى رهط من الناس واقف | عليهم دخـان عـابق وضـباب |
| وقد جحظت أبصارهم من تلمظ | وعسر ازدراد بـين ذاك سـباب |

وكتب بيرم محاولاً الإضحاك فإذا به ينظم هذه الأبيات الرائعة في تأمل الحياة . تختلط فيه السماحة بالألم والسخرية

| | |
|---|---|
| الأرض عنـدي كلهـا أرض فـلا | باريسـها تمتـاز عـن بيروتهـا |
| والنـاس في نظـري سـواء كلهـا | وشريفها ما امتز عن عكروتها |
| ويغيظنـي أني رأيـت جماعـة | حملت لتعرفها الـدنى بكروتهـا |
| ولقد ضحكت من الجبابرة التي | زلت بهـا الأقـدام في جبروتهـا |

ومما يتصل بهذا أيضاً ولع بيرم التونسي بالمعارضات وهي من فنون التراث الأدبي القديم ، وقد جدد بيرم في هذه الناحية فلم يكن يعارض بالشكل الذي يعارض به معاصروه كشوقي وحافظ .

وإنما كانت موهبته الفنية تجعله يقلد أشعار معاصريه محاولاً تقمص شخصياتهم الفنية . فهي معارضة من نوع جديد لا نعم أحداً غير بيرم برع فيه

وقد تخيل بيرم أن مجموعة من شعراء عصره جلسوا يكتبون قصائد لهم عم زلزال قوي ضرب اليابان في الربع الأول من هذا القرن وكتب بيرم ما تخيل أن كل شاعر من هؤلاء كان سيكتبه ملتزماً الملامح الفنية الخاصة لكل منهم فقال على لسان خليل مطران:

تقطعت الأوصال من عزمة الفتى ... وما الخطب إلا أن تقطع أوصال

عجبت وأرجاء السماء عريضة ... عن الأرض أن يبقى على الأرض أثقال

تفجر صلصال الأديم وما درى ... على علمه أن البرية صلصال

أفي كل يوم للسماء صواعق ... وفي كل يوم للبسيطة زلزال ؟

ويتخيل بيرم التونسي ما يكتبه مصطفى صادق الرافعي عن الزلزال فيقول على لسانه - ساخراً من جنوحه إلى الإثارة العاطفية والتفلسف والإغراق في الفكر على حساب الحس والخيال الفني الذي يمنح الشعر بهاءه :

ما للورى ؟ هلك الورى ضل الورى ... أين الورى؟ ذهب الورى كهباء

والموت ليس الموت بل هو نفسه ... يفنى فناء قبل أي فناء

يا أمة الشرق قد أنزلت ... بين الطبيعة من ذرى العلياء

أجدر بشعبك أن يعيد فخاره ... بين الأنام بهمة قعساء

إن كان من فوق الطبيعة من يد ... ما خلتها غير اليد الصفراء

أما حافظ إبراهيم فإن بيرم التونسي يقول على لسانه مستخدما طريقة نظمه التي تفضل البنية الخطابية الجهيرة التركيب لكي تناسب جهورية صوت حافظ الذي كان يتفنن في إلقاء شعره بنفسه في المحافل والمنتديات

بلد الشمس أي خطب دهاها    فطغى سفلها على أعلاها

إيه يا مطلع الشمس لقد أظلمت    ما بين ليلة وضحاها

حتى إذا وصل الشاعر أحمد رامي التقط بذكاء ما يميز شعر رامي من أن معظمه عن الحب . وأن كثيراً من القصائد التي كتبها رامي نونية القافية . . بل إن بعض التعبيرات التي استخدمها بيرم في تقليد رامي ما زالت تتردد في قصائده :

في رياض الهوى وتلك الجنان    خلياني في سكرتي خلياني

واسقياني كؤوس ذكر حبيبي    واغلظا والحفا على السكران

خفق القلب وهو دار حبيبي    ولهذا أخشى من الخفقان

إن ما سألت عن خفق قلبي    لا تسل بعده عن اليابان

ويقول بيرم التونسي بأسلوب الشاعر إبراهيم عبد القادر المازني الذي يظهر فيه اهتمامه برسم الصورة الشعرية ساخراً أيضاً من بعض التعبيرات التي استخدمها المجددون الرومانتيكيون الذين عرف عن المازني ولعه بهم :

تزلزل وجه الأرض والظهر حقبة    غداة تولتها أكف العصائب

فألقت على صفر الوجوه غياهبا    أحاطت بلاد الصفر من كل جانب

تذوب خروق الدهر في مصنع الدجى    فتدمي بخطب قاتم اللون ذائب

فــلا يتــولى وصــفها غــير شــاعر ولا يتــولى سردهــا غــير كاتــبْ

أما من ناحية المضمون فإن شعر بيرم التونسي - وأزجاله كذلك - كان مثالاً للالتزام بقضايا عصره ومجتمعه وقد أغفلنا في هذا المقال قصيدته الشهيرة عن المجلس البلدي لكثرة ذيوعها . وتبقى كلمة نرجو فيها بحثينا الجادين في الجامعات أن ينهض أحدهم بعبء دراسة شعر بيرم الفصيح فما أجدره بالدراسة المتأنية الجادة .

# الفكاهة في شعر محمود غنيم

كان للفكاهة في حياة الشاعر الراحل محمود غنيم ( ١٩٠١ - ١٩٧٢ م ) وشعره جانب وافر.فقد عُرف عنه أنه سريع البديهة ، حاضر النكتة ، خفيف الظل وما يروى على ألسنة مخالطيه من الأدباء أكبر بكثير مما حوته دواوينه المطبوعة وديوان ( صرخة في واد ) هو أشهر دواوين محمود غنيم .فقد نال هذا الديوان جائزة الشعر الأولى في مسابقة المجمع اللغوي بالقاهرة ونشر عام ١٩٤٧م عن طريق لجنة البيان العربي - ويحتوي هذا الديوان على عدد لا بأس به من قصائد الفكاهة الراقية التي جمعها شاعرنا تحت عنوان ( مداعبات ) .

ومن قصائد الفكاهة المتعة في هذا الديوان تلك القصيدة التي داعب فيها محمود غنيم صديقاً شاعراً سلبه اللصوص سبعة جنيهات ، وكان لمثل هذا المبلغ في وقته شأن أي شأن وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة الرسالة في ٦ يونية سنة ١٩٣٨م ومطلعها آية في الإجادة وبراعة الاستهلال إذ يقول شاعرنا مواسياً صديقه المسروق :

هوِّن عليك وجفف دمعك الغالي     لا يجمع الله بين الشعر والمال

ويتجه شاعرنا إلى صديقه ساخراً مؤنباً فيقول وهو يمزج سخريته من صديقه الشاعر بالسخرية من نفسه أيضاً :

مـن أيـن أصـبحتَ ذا مـالٍ فتُسْـلَبُه     يا أشبه الناس بي في رقة الحالِ ؟

فيالهـا سـبعة مـن جيبـكَ انطلقـت     وأنـت أحـوج مخـلوق لمثقـالِ

وتأخذ مواساته لصديقه شكل النصح وصوت الحكمة . فهو يقول إن صديقه كاد يفقد عقله بفقده النقود ، ولعل ضياع النقود يكون وسيلة لسكون النفس فالذي لا يملك شيئاً ينام قرير العين رضيّ البال لأنه لا يخشى على شيء يملكه ويفخر بنفسه فهو أقوى من اللصوص بما هو فيه من فقر :

قالوا خلت يده من كل ما ملكت    فقلت بل رأسُه من عقله خالِ

لم يبق عندك ما تخشى عليه فنم    كما أنام قريراً ناعم البالِ

نفسي فداؤك ليت اللص صادفني    قد يغلب اللصَّ بالإفلاس أمثالي

وتبلغ سخرية الشاعر بصديقه أقسى درجاتها حين يتساءل كيف سيقضي هذا الصديق شهراً كاملاً بلا مال ؟ هل سيصوم ؟ أم سيعيش على شعره يقتات منه ويرتوي به ؟ كما يرتوي الظمآن بالسحاب من بعيد :

يا ليت شعريَ ماذا أنت صانعه    أتزمع الصوم حتى شهرك التالي ؟

عش من قريضك في رِي وفي شبع    إن كان ينتفع الظمآن بالآل ؟

وفي ختام القصيدة يتهم شاعرنا صديقه المسروق بأن النقود فرت من جيبه لأنه جيب ممزق في ثوب قديم لعبت به يد الزمن ، فهو في سوء حاله ورقة سرباله لا يختلف كثيراً عمن سرقوه :

أقسمتُ ما سَلَبَتْ تلك النقودَ يدٌ    لكنها أبَقَتْ من جيبك البالي

الذئب لا يشتهي لحم ابن جلدته    فكيف أوقع نشالٌ بنشالِ ؟

ومن مداعبات محمود غنيم الراقية أنه استمع ذات مرة لمحاضرة ممتعة ألقاها صديقه الأديب الكبير كامل الكيلاني عن فلسفة جحا ويبدو أن المحاضرة كانت جامعة شاملة مقنعة بسلوكيات جحا ذلك الفيلسوف الذي اشتهر في تراثنا العربي بذكائه وفطنته وبخله . فعقب محمود غنيم على هذه المحاضرة قائلاً :

إني حسبت جحا مُجَانَةَ ماجنٍ ... فإذا به رجلٌ جليل الشانِ

هو فيلسوف قام ينشرُ فَضْلَهُ ... بين البرية فيلسوفٌ ثانِ

مازال يُطريه ويُعلي قدره ... متحدثاً عنه بكل لسانِ

حتى حسِبتُ(جحا) ابنَ سينا عصرِهِ ... أو من أقارب كامل الكيلاني

ومن المساجلات الشعرية الفكاهية التي كانت كثيراً ما تحدث في تلك الحقبة بين الشعراء ، ما دار بين شاعرنا محمود غنيم وبين الشاعر محمد الأسمر رحمه الله وقد كان الأستاذ محمد الأسمر نشر كلمة نثرية في جريدة الأهرام يحث فيها الضيوف الذين يقلقون راحة الناس في منازلهم أن يراعوا مشاعر الناس وأوقات راحتهم واقترح الأستاذ محمد الأسمر على كل صاحب بيت أن يعلق على بابه بيتين للشاعر الأستاذ محمد الهراوي يخاطب فيهما الضيف فيقول

إن في الفندق مأوا ... ك ، وفي السوق غذاءك

ليس ذنباً لأناسٍ ... أن يكونوا أقرباءك

فكتب الشاعر محمود غنيم في الأهرام يوم ١١ يوليو ١٩٣٨م يرد على كلمة الأستاذ محمد الأسمر ويداعبه قائلاً إن عليه أن يصوم إذا كان عنده ضيوف ويقدم

ما عنده من طعام وغطاء لضيوفه ، فإن تمسك ببخله وحرصه ، فإن أصدقاءه من الشعراء سوف يتشككون في انتسابه إلى العروبة ، وسوف يقومون بتحليل دمه [وهي تورية لطيفة قد يقصد بها أنهم سيحللون دمه لمعرفة إلى أية فصيلة ينتمي وقد يراد بها أنهم سيستحلون دمه لبخله ].

وفي النهاية يقدم الشاعر لصديقه وصفة طبية لعلاج البخل تتمثل في أن يأخذ " نقيع " الجود فيشربه ليشفى من داء البخل . يقول غنيم لصديقه الأسمر

أنــت إن لم تَنْسَـخُ مثــل الـــ ـــعرب أنكرنــا إخــاءك

وشَــككْنَا فيـــك يـــا صـــا حِ وحلّلْنـــا دمـــاءك

لا أوَاك البيـــت والفنـــ ـــدقُ يـــأوي أقربـــاءك

فـــيم يخشـــى فقـــدَك النـــا سُ ويرجـــون بقـــاءك ؟

إن يهـــن عنـــدك ضـــيفٌ يكـــن الهـــون جـــزاءك

فـــدع الحـــرص وإلا عجِّـــل الحـــرص فنـــاءك

إنـــما يُفقـــرك الحـــر ص. ويُغنـــي وُرَثـــاَءك

رُبَّ يـــومٍ أنـــت فيـــه تـــارك المـــال وراءك

يـــا صـــديقي قـــد فَحَصْـــ ـــناك فكـــان البـــخلُ داءك

خـــذ نقيـــع الجـــود واشـــ ـــربْهُ تجـــدْ فيـــه دواءك

وينهي محمود غنيم قصيدته بتقديم واجب العزاء لصديقه الأسمر في فقيد عزيز هو " السخاء والكرم " الذي كان يتحلى به أمس ثم فقده فهو يعزيه في كرمه الذي كان فيقول :

كنـــتَ بـــالأمس ســـخياً رحـــم الله ســـــخاءك
ابـــكِ مـــا شـــئتَ عليـــه أَجْمَــــلَ الله عـــــزاءك

وقرأ الأستاذ الشاعر محمد الأسمر أبيات صديقه محمود غنيم فرد عليه في "الأهرام " بتاريخ ١٧ /٧/١٩٣٨م ووصف صديقه بأنه يحاول ادعاء الكرم مع أنه بخيل بطبعه ، وبأنه كشف ستر نفسه ولم يكن بحاجة إلى إجهاد نفسه في التزيي بزي غيره . قال الأسمر :

يـــا صـــديقي أنـــت في شعـــ ـــــرك لم تلـــبس رداءك
يـــا كـــريم الـــعصر مـــا أجـــ ـــمل في الجـــود ادعـــاءك
شـــــدَّ مـــا أتعبـــت شيـــ ـــطان قوافيـــك وراءك
قـــد عرفنـــاك صـــغيراً وتبيَّنَّـــا ســـخاءك
فاحمـــد الله عـــلى السَّتْـــ ـــر ولا تكشـــف غطـــاءك
لا أطيـــل القـــول أنـــت اليـــ ـــوم أصـــبحت ســـواءك
صرتَ محمـــوداً جديـــداً بعـــد مـــا داويـــتَ داءك
فأطـــال الله للجـــود الـــكلاميِّ بقـــاءك

ويتطاير شرر المعركة، ويستمر أوارها، فيرد محمود غنيم على صديقه الأسمر بقصيدة ينشرها الأهرام يوم ١٩٣٨/٧/٢٠ يذكر فيها أن له فضلاً على الشاعر محمد الأسمر، وأنه أطعمه وأكرمه عدة مرات، وأنه يريد أن يذكّره بهذا لولا خشيته من أن يقول الناس إنه يمنُّ عليه. ويناشد محمود غنيم صديق الأسمر أن يتوب إلى الله ويعترف بما لصديقه من فضل عليه ويسعى إلى تعلم الكرم والجود فيقول غنيم:

أيها المنكرُ جودي رحم الله حياءك
أنا لولا أن يقولوا: مَنَّ أظهرتُ افتراءك
هل تناسيتَ سخائي وتناسيتَ ثناءك ؟
كم نظمتَ الشعر في مد حي فأجزلتُ عطاءك
وعلى جوديَ - بعد اللـ ـهِ - علّقتَ رجاءك
أنت من يوم بعادي عنك لم تملأ وعاءك
عَرَفَ الرَّفَّاءُ يا أسـ ـمر من بعدي كساءك
وعجيب منك أن تهـ ـدم مَن أعْلى بناءك
رُبَّ شخص أنت أحسنـ ـت إليه فأساءك
صاح تُب أمنحك عفوي واذعُني أقبلْ دعاءك
وإذا شئتَ فكن ضيـ ـفي وَقُدْ جيشاً وراءك
تجد المنَّ شراباً لك والسلوى غذاءك

فتعـــــلم منِّـــــيَ الجـــــو دَ وعـــــلَّم أقربـــــاءك

لســـتَ بـــالمصريِّ أو تُعـــلنَ للنـــس ســـخاءك

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر بالأبيات الآتية وكانت ختام المداعبة

ويـــك يـــا محمـــود هـــل تنـــسى ردائـــي ورداءك ؟

يـــوم تمشي فيـــود الـــدهرُ لـــو قـــام فَقَـــاءَك

فـــاذكر الـــدار التـــي كنـــا بهـــا واذكـــر بكـــاءك

لم تَمُـــؤْ هِـــرةُ دار يـــوم أضربْنـــا مُـــواءك

طفـــتَ بـــالمطبخ ســـبعاً وتناولـــتَ حســـاءك

أنـــت لم تـــترك لمصرٍ يـــوم نادتـــك غـــداءك

أتـــرى تـــتركُ للضيـــفِ ذا جـــاء عشـــاءك

يـــا صـــديقي هكـــذا كنـــا فهـــل صرت ســـواءك ؟

يـــاكريم الـــعصر هـــل تبـــصر قلقـــاساً وراءك

مـــا هجونـــاك ولكنَّـــا ذكرنـــا لـــك داءك

والمقصود بالدار في هذه الأبيات دار مدرسة القضاء الشرعي التي كان الشاعران غنيم والأسمر زملاء دراسة بها أيام التلمذة .

وأما قصة القلقاس فتتلخص في أن تلامذة القضاء الشرعي أضربوا يوما عن دخول مطعم المدرسة احتجاجاً على تصرفات الإنجليز ضد الوطن . ولكن الشاعر

محمود غنيم لم يصبر على الجوع فدخل المطعم وحده وتناول الغداء وكان قلقاساً فالأسمر يعيره هنا بهذه الواقعة .

ويلاحظ من يقرأ هذه المساجلة :

١. أن الشاعرين التزما بحراً واحداً . وقافية واحدة . ومع ذلك فقد جاءت الصياغة الشعرية عند كليهما محكمة لا ضعف فيها ولا تكلف .

٢. أن المساجلة قامت على ادعاء من كلا الطرفين وقامت على تبادل الاتهام بالبخل وادعاء كل منهما أن له على الآخر فضلاً وأن الآخر لا يعرف الجود والكرم .

٣. أن الإطار الذي صيغت فيه أبيات كلا الشاعرين إطار أخلاقي يسيج بالأخلاق العالية الرفيعة فلا شتم ولا بذاءة ولا إسفاف وهذا هو شأن الفكاهة الراقية

٤. أن رد كل من الشاعرين على صاحبه كان يأتي سريعاً وقوياً في آن واحد

ومن فكاهات محمود غنيم ذات الوزن الثقيل ما وصف به شاعراً صديقاً له أغمي عليه عندما سمع صوت غارة جوية . وكان ذلك إبان الحرب العالمية الثانية وكان الشاعران في الإسكندرية . ومن عادة الناس في أثناء الحروب أن يستمعوا إلى بوق الإنذار . فإذا سمعوه لجأوا إلى اقرب مخبأ من تلك المخابيء التي تكون معدة تحت الأرض أو وراء ستائر رملية لتقي المدنيين من آثار القصف العشوائي

وقد لجأ الشاعر وأصدقاؤه فيما يبدو إلى أحد المخابيء . فلما حدثت الغارة أغمي على صديقه ذاك حتى إذا أفاق اكتشف أصدقاؤه أنه لوث نفسه . فقال غنيم هذه الأبيات التي نشرها "الأهرام" في ١٠/٩/١٩٤١م

أرأيـــــت صُـــنْعَ محمـــــدِ | في مخبــأ بالنـــاس حافـــلْ
ســـمع الصـــفير مدوِّيـــاً | فتفككــت منـــه المفاصـــلْ
مـــا كـــان أشـــجعَه فقـــد | لاقـى "القنابــل" "بالقنابــلْ"
ووهـــتْ عزيمتـــه فأفْلَـــتَ | يـــابسٌ منـــه وســـائلْ
ويحـــي عـــلى رفقائـــه | مـــن قاتـــلٍ هربـــوا لقاتـــلْ

وهكذا هرب أصدقاء ذلك الشاعر الرعديد من قصف القنابل خارج المخبأ فوقعوا فيما هو شر منها مما أحدث صاحبهم من جزع وهلع وتلوث بيئي وأصوات منكرة .

ومن أشهر أشعار محمود غنيم الفكاهية تلك الأبيات التي سارت بين أوساط المثقفين والأدباء وكررت الصحف والمجلات نشرها مرات ومرات لأنها ارتبطت بشاعر آخر هو ابراهيم ناجي . وقصتها أن الوزير الأديب دسوقي ابراهيم أباظة باشا وكان صديقاً لجميع أدباء عصره - دعا محمود غنيم مع آخرين إلى حفل رسمي وكان يتعين على من يحضر حفلاً رسمياً أن يرتدي الردنجوت [ بدلة رسمية للمناسبات الرسمية ] - فذهب غنيم بملابسه العادية فلما رآه الوزير سأله عن سبب عدم مجيئه بالردنجوت فتعلل الشاعر بأنه فكر أن يستعير واحداً من بعض أصدقائه - كما فعل ابراهيم ناجي - ولكنه تراجع عن ذلك خوفاً من أن يمنّ عليه من يعيره . ودلل على ذلك بأن جميع الحاضرين يرتدون أزياء ردنجوت مستعارة فأنت ترى القصير منهم يرتدي زياً طويلاً ، والطويل يرتدي زياً قصيراً يقول غنيم :

"الردنجوتُ" يا جناب الوزير ... ليس يقوى عليه جيب الفقير
رمتُ أن أستعيره مثل "ناجي" ... ثم أحجمت خوفَ مَنِّ المعير
كم رأيت القصير فوق طويل ... ورأيت الطويل فوق قصير
لست أرضى بثوب غيري وإن هم ... نسجوه من سندس وحرير

ولما اطلع الأستاذ الشاعر ابراهيم ناجي على تلك الأبيات أجابه مداعباً بقصيدة طويلة جاء فيها :

وأُقسم لو أن " الردنجوت " نِلْتَه ... وجاد به مَنْ جاد قهراً وسلَّفا
لقلَّبْتَه ظهراً لبطنٍ تحيُّراً ... به تحسبنَّ الوجهَ -مِنْ عَبَطٍ- قفا

فأجابه الشاعر بقوله هاجياً إبراهيم ناجي وكان طبيباً :

لنا طبيب يداوي الناس إن مرضوا ... بالفصل ما بين أرواح وأبدان
ومن تجرع كأس الموت من يده ... فلن يمر على جنات رضوان
ردّ " الردنجوتَ " موبوءاً لصاحبه ... فلم يطهره " محلول السليماني "

و " محلول السليماني " من محاليل التنظيف الشهيرة في ذلك العصر التي كانت ذات فاعلية في قتل الحشرات وعلاج الأوبئة .

وهكذا كانت حياة شعراء تلك الأيام : حباً متصلاً ، ووداً وثيقاً ، وفكاهة راقية على نحو ما نرى في دواوين طائفة كبيرة من هؤلاء الشعراء الذين يمكن أن نطلق عليهم شعراء الموجة الثانية الذين لم تتح لهم ظروف الحياة ما أتاحت لشعراء الموجة الأولى كشوقي وحافظ ومطران من شهرة وذيوع صيت ، فعوضوا ذلك بأن أسعدوا أنفسهم بالحب والتصافي بدلاً من الشهرة والتجافي .

# الفكاهة في شعر ابراهيم ناجي

على الرغم مما عُرف عن الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي من خفة الظل وجمال الروح . فإن ديوانه المطبوع لم يحفظ لنا نوادره وفكاهاته الشعرية إلا بقدر يسير لا يتفق وما كان يرويه عنه مخالطوه من خفة الروح التي كانت تبلغ أحيانا حدّا لا يصل إليه الا القليلون حيث كان يتندر بنفسه وقد شاعت عنه قصة كان يرويها في مجالسه . خلاصتها أن أحد مرضاه كان رجلاً فقيراً أزرى به البؤس وأنهك جسده المرض . وكانت زوجته ترافقه إلى عيادة الدكتور إبراهيم ناجي . وبعد أن كشف الطبيب . أدرك بفطنته وعلمه أن مريضه لا يشتكي إلا الجوع الشديد فانتحى بزوجة الرجل جانباً وأخرج لها من جيبه مبلغاً لا بأس به من المال وأعطاها إياه ونصحها بأن تشتري لزوجها منه لحماً ودجاجاً وأن تعتني بطعامه وتصادف أن رأى تلك السيدة بعد حين في أحد الشوارع فناداها وسألها عما فعلت بالمبلغ . فقالت له في براءة إنها أخذت المبلغ وأخذت زوجها وذهبت به إلى طبيب آخر ( يفهم في الطب ) على حد قولها . إلى آخر تلك النوادر التي كان ناجي يقصها لجلسائه .

وأول ما يطالعنا من فكاهاته الشعرية تلك المعركة التي دارت بينه وبين الشاعر محمود غنيم . فقد كانا مدعوين في حفل أقامه الوزير الأديب دسوقي باشا أباظه . وكان من شروط الحفل - كما اشترط الداعي - ارتداء " الردنجوت " وهو البدلة الرسمية التي تلائم المناسبات الرسمية . وحدث أن ذهب محمود غنيم بلباسه

العادي . فعاتبه دسوقي باشا أباظه لعدم ارتدائه الردنجوت - فقال غنيم إنه لا يملك الردنجوت لأنه فقير . وما كان ليستعيره كما فعل ابراهيم ناجي وكثير من الحاضرين . فهاهم أولاء يجلسون وقد تخبطوا في لباسهم لأنها ملابس مستعارة لا تلائمهم طولاً وقصراً كما قال غنيم

الردنجـوت ياجنـاب الـوزير ... لـيس يقـوى عليـه جيـب الفقـير

رمـت أن أسـتعيره مثـل "نـاجي" ... ثـم أحجمـت خـوف مَـنِّ المعـير

كـم رأيـت القصـير فـوق طويـل ... ورأيـت الطويـل فـوق قصـير

لستُ أرضى بثوب غيري وإن هُمْ ... نسـجوه مـن سـندس وحريـر

ولم يكن ابراهيم ناجي ليسكت بعد أن أضحك غنيم عليه المجلس . فنظم قصيدة طويلة في هذه المناسبة بدأها بمدح الوزير الأديب دسوقي أباظة باشا فقال

دعـوت قلبينـا ودارُك كعبـةٌ ... بها انعقد الإخلاصُ والحبُّ طوّفا

خميلتُـك تهفـو إليهـا قلوبنـا ... وأي فـؤادٍ لمحسيـنـة مـا هفـا

بنـوك الألى تحنـو عليـهم تعطفـا ... وترعـاهم . بـراً بهـم متلطفـا

إذا خلعـوا بعـض الوفـاء فسـعهم ... فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا

وبعد أن يتحدث ناجي عن ندوة أباظة وما تفيض به من كرم وأريحية وما يجده الشعراء فيها من راح وروح وطعام وشراب . ينتقل إلى أصدقاء الندوة فيسأل إن كان فيهم من يستطيع أن ينقل للآخرين أخبار واقعة الردنجوت التي دارت بين ناجي وغنيم :

فيا ندوة السمار هل من مسجل ... يدوّن إعجاز القرائح منصفا
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا ... مع الطبع جل الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلا ... مع النَّفَس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقل عني الغداة وناشر ... مقالة صدق قد أبت أن تحرّفا
حديث غنيم والردنجوت والذي ... جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

ويحكي ابراهيم ناجي كيف رأى محمود غنيم أمام أطباق المائدة المتجاورة وقد دارت رأسه . واستبدت به الحيرة . وأخذ يتلفت يمنة ويسرة مستنجداً بمن يجاورونه عسى أن يسعفوه . فهو لا يدري ما طبيعة اللحم الذي أمامه . أهو لحم ديوك أم لحم خراف ؟ وما إن رأى إبراهيم ناجي قريباً منه حتى أرسل إليه نظرة مستغيث حائر يسأله أن ينتشله من هوة الارتباك حتى يعرف ما الذي أمامه ؟ ففهم ناجي الإشارة وتقدم بشهامة ليقدم كلاً منهما للآخر . يا أيها الديك هذا أخونا محمود غنيم ، ويا غنيم هذا ديك يؤكل فتبادلا النظر ولم يتعرف أحدهما إلى الآخر إلا بعد جهد جهيد .

بصُرت به والصحن بالصحن يلتقي ... فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا
تراءى له لحم فلم يدر عنده ... تَدَيَّك من بعد الطوى أم تَخَرَّفا
وأومأ لي باللحظ يسألني به ... أتعرفه ؟ أومأتُ باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما ... يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم ! أخونا الديك! قَدَّمْتُ ذا لذا ... فهذا لهذا بعد لأي تعرفا

وما إن تعارف المتناكران . غنيم والديك . حتى أخذا بأسباب المودة وتبادلا الغزل العفيف . فارتفعت بينهما الكلفة . وما هي إلا لحظات فإذا بغنيم يصرع الديك ويمزقه إرباً إرباً بأسنان لا تعرف للرحمة اسماً . فأصبح الديك بين تلك الأسنان العتيقة نسيا منسياً :

وما هي إلا لحظة وتغازلا ... وقد رفعا بعد السلام التكلفا

فمال على الورك الشهي مُمَزِّقَا ... ومال على الصدر النظيف منظِّفا

جزى الله أسناناً هناك عتيقة ... ظللن على الصحن الأباظي عكّفا

ثم ينتقل إبراهيم ناجي إلى حديث الردنجوت فيخاطب صديقه غنيما فيقول : إنك تعيّر ناجي بأنه استعار معطف الردنجوت ، فلِمَ لَمْ تستعر أنت واحداً مثله ؟ إن سبب عدم استعارتك مفهوم وهو أنك لا تفهم كيف يرتديه من يرتدونه ولو أن أحداً أعارك إياه لتحيرت لا تدري كيف تلبسه ولم تعلم له ظاهراً من باطن ولا وجهاً من قفا وما ذاك إلا لما فيك من سذاجة و( عَبَط ) :

تُعير ناجي بالردنجوت جاءه ... معاراً فغامر واستعر أنت معطفا

وأُقسم لو أن الردنجوت نلته ... وجاد به من جاد كرها وسلّفا

لقلبته ظهرا لبطن محيرا ... به تحسبن الوجه من عَبَط قفا

ويعود ناجي بعد ذلك إلى نهم صديقه غنيم وجوعه . وما يلم به حين يرى العدس الأباظي الشهير وقد جيء به إلى المائدة . فإذا هو ينتفض انتفاضة المصاب

بالحمى إذا بشروه بالشفاء . وما إن يستوي الطبق أمامه حتى ينهال علبه ولا يتركه إلا قاعاً صفصفا :

رأيتك والعدس الأباظي قادم ... كما انتفض المحموم بُشِّرَ بالشفا

وناهيك بالعدس الأباظي منظرا ... عظيما كما هيأت للعين متحفا

على أنه ما جاء حتى رأيته ... توارى كطيف لاح في الحلم واختفى

فلله من لفظ ببطنك راسب ... قرير ومعناه برأسك قد طفا

وعلى غرار ما كان يفعل الشعراء القدامى حين يقولون (قفا نبكِ) - فقد كان لكل شاعر عربي رفيقان لا يفارقانه ، أحدهما خادمه ، والثاني راويته - ينادي إبراهيم ناجي رفيقيه ليقفا معه حتى يبكي الثلاثة إذا شاءوا البكاء ، أو يضحكوا إذا شاءوا الضحك من منظر صاحبهم غنيم العجيب الذي تتراءى له صحاف العدس كأنهن غيد يغازلهن بعينيه فإذا أقبلت إليه واحدة منهن أنكرته وتساءلت من يكون ؟ مع أن ما به من جوع وشوق إليها لا يخفى على أحد ( وهنا يُضمِّن إبراهيم ناجي البيت الشهير لأبي فراس الحمداني :

تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل بفتى مثلي - على حاله - نُكُرُ؟

مع تعديل طفيف فيقول ناجي :

قفا نبك أو نضحك على أي حالة ... قفا صاحبي اليوم من عجب قفا

كأن صحاف الدار في عين صاحبي ... غوان كستهن المحاسن مطرفا

أشار لإحداهن إذ برزت له ... وناجته عن بعد وأبدت تعطفا

" تسائلني من أنت وهي عليمة " وهل بفتى مثلي على حاله خفا؟
سأخبرها من أنت! انك شاعر قنوع إذا ما الخبز جاء تفلسفا
ومن أنت حتى ترفض النعمة التي أتيحت وتأبى مثلها متقشفا
فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى وخطته عريٌ ومشروعه الخفا

ومن فكاهات ابراهيم ناجي الشعرية الشهيرة تلك المقطوعة التي هجا فيها صديقا له دميماً . وصفه بأنه حشرة . وبأنه - بمنظره المشوه - يعتبر فخراً بداروين الذي قال بأن أصل الإنسان قرد . ويتخيل الشاعر أن أم صاحبه حين ولدته ونظرت إلى وجهه شعرت بأنها ارتكبت جرماً عليها أن تعتذر للبشرية عنه :

رجل أرى بالله أم حَشَرَةْ سبحان من بعبيده حشَرَهْ
يا فخر داروين ومذهبه وخلاصة النظرية القذرهْ
يا عبقرياً في شناعته ولدتك أمك وهي معتذرهْ

ويهجو ناجي شاعر سوء من أولئك الذين يرتكبون الشعر دون موهبة فإذا هم ينحتون من الصخر بيوتا لا روح فيها . فكأن ما ينظمونه حجارة يرجمون الناس بها إذا أنشدوها على مسامعهم . وها هو ذا ناجي يستمع إليه فيبلغ به اليأس مبلغاً عظيماً فيصرخ في وجه صاحبه : كفَّ أيها المتشاعر فأنت لا تصلح لأن تكون شاعراً . فشعرك يزهق الأرواح لما فيه من ركاكة وما يسببه من إزعاج فليتك تموت ليستريح الناس :

أيهــــا الحـــــي ومـــــا ضر ‏ الـــورى لـــو كنـــت مُتَّـــا

أوَ شــــــعرٌ ذاك ؟ لا بـــــــل ‏ حجـــــر ينحـــــت نحتـــــا

تلقـــــم النــــــاس وترميــــــ ‏ ـــــهم بـــــه فوقـــــا وتحتـــــا

صــــحت مـــــن يـــــأسي لــــا ‏ بركيـــــك الشـــــعر صــــحتاً

آه يـــــا قاتــــــل يـــــا سفــــــ ‏ ـــــاك ! حتـــى أنــــت حتـــى !

وهكذا يبدو أثر ثقافة ناجي في شعره الفكاهي ، فهو طبيب ثقافته علمية ومن ثم فهو يجنح إلى وصف دمامة مهجوه بأنها تطبيق لنظرية داروين ، ويتمنى لمهجوه الآخر الموت . والحياة والموت من المفردات الشائعة في لغة الأطباء لأنها ترتبط بطبيعة عملهم .

**أمير الشعراء... المزيف!**

في أواسط القرن العشرين، كانت المنتديات الأدبية، والسهرات الثقافية على المقاهي سمة بارزة من سمات الحياة الفكرية في مدينة القاهرة.

وكان جماعة من الشعراء قد اعتادوا في سهراتهم الأدبية أن يتبادلوا الدعابات والمرح، ولا تخلو لياليهم – بين حين وآخر- من متطفلين يفسدون عليهم متعتهم، فإذا بهم يوسعون أولئك المتطفلين هجاءاً وسخرية ونقداً.

وكان من أولئك المتطفلين شويعر خفيف الظل اسمه "حسين أفندي محمد" كان محبباً إلى الشعراء لخفة ظله التي تغفر له ركاكة شعره، ولكنه كان شديد الإيمان بأنه شاعر عظيم!! وأنه سيد شعراء عصره ولا فخر ، وقد لقّب نفسه بلقب

"البرنس" وهي بالإيطالية تعني الأمير، وذات ليلة من ليالي شهر رمضان. اقترح الشعراء إقامة حفل لمبايعة البرنس "حسين أفندي محمد" أميراً للشعراء بعد أن مر نحو ربع قرن على وفاة "أحمد شوقي بك" دون أن يخلفه أحد على إمارة الشعر العربي!!

وكان من بين هؤلاء الشعراء: "محمد الأسمر" و "أحمد الكاشف" و "السيد حسن القاياتي" و "محمد الهراوي" و "حسين شفيق المصري" و "كامل كيلاني"...وغيرهم.

وقد قال الشاعر "محمد الأسمر" في تلك الحفلة قصيدة في مبايعة أمير الشعراء البرنس "حسين أفندي" جاء فيها:

| | |
|---|---|
| يا أميرَ الشُّعراءْ | أنتَ أوْلَى باللواءْ |
| سيدي فلتهنإ اليو | مَ بمُلْكِ الأدباء |
| ( امرؤُ القيس ) على با | بكَ بعضُ ( الأُمَنَاء)!! |
| و (أبو الطيِّب ) في الدو | لةِ بعضُ الوزراءْ!! |
| و (النُّواسيُّ ) و(ها | رونُ )معاً في النُّدماء؟! |
| و ( المعريُّ ) لَدى الشُّ | دَّةِ يجبو للعَلاء!! |
| سيدي رجِّعْ لنا شِعْ | رَكَ، واهتِفْ ما تشاء |
| حيثُ لا تسمعُكَ الأرْ | ضُ، ولا تُصغي السماء |
| سيدي مولايَ يا مَوْ | لَى جميع الشعراء |

ثَبَّتَ اللهُ لك (العَرْ شَ) وإن كانَ هواءْ!!

وقال الأستاذ "أحمد الكاشف":

إمارةُ الشعر خُذْها يا حسينُ فقد ... أتى يبايُعكَ الإخوانُ والصَحبْ

وأدركْ اللقب المضْنَى سواكَ بهِ ... ليطمئنَّ إلى غالي اسمك اللقب

يا منْ يُدَبِّرُ سلطانًا ومملكة ... وليسَ فيها لهُ بيتٌ ولا نَشب

ومن يُحَيِّيه اتباعٌ وحاشية ... وقد يُقام لهُ التمثال والنُّصُب

وحسبُكَ اليوم دار الكتب عاصمة ... لدولتيك، وإيواناً كما يجب

من لي بسدتك العليا أُقَبِّلُهَا ... ودون سدتك الأستار والحجب

هذا نصيبي من الفوضى ظَفرتُ به ... من بعد ما خانني في غيرها الأدب

لم يغنني الجد في قول وفي عمل ... وقد لعبتُ عسى أن ينفع اللعب!!

وقال الأستاذ "محمد الهراوي":

إلى العرش فاصعدْ وامض بالأمر واقطعِ ... ومُر، وانهَ، وامْنح ما بدالك، وامنعِ

وصرِّفْ أمور الشعر في الأمة التي ... تُميتُ رجال الشعر فيها ولا تَعي!!

فأنت أمير الشعر غير منازع ... وكل أمير غير شخصك مُدّعِ

وقال الأستاذ "السيد حسن القاياتي":

يا حسين يا عزيزي يا أميري ... يا أمير الشعر في اللب الغرير

سد كما ساد صرير شد ما ... أمَّرَ الأقلام في وادي الزئير

وقال الشاعر " حسين شفيق المصري":

يا حُماةَ القريضِ حولَ البرنس ... أصبحَ الشعرُ دولةً ذاتَ كُرْسي

وهل الحكم والإمارة إلا ... لبرنس يُضحي برأي ويُمسي

يقرض الشعر مثلما يقرض الفا ... ر حبالا قد تلت من دمَقْس

كان من قبله القريض بجلبا ... ب فأضحى ( ببنطلون ) ( وجرس )

أيها الشاعر الكبير رضينا ... ك أميراً، فكنه تفديك نفسي

وقال الشاعر" كامل كيلاني":

تِه بالإمارة لا تعدل بها بدلاً ... وقم بأعبائها - إن شئتها - بطلا

قد ارتضاكَ حُماةُ الشعر قاطبةً ... أميرَهُمْ فلتكنْ في عصرنا مثلا

عابوا المقلد في الأشعار ينظمها ... وأنكروا أن يروه نادباً طللا

قلنا "صدقتم. فهاتوا من روائعكم ... فجمجموا القول مسروقاً ومنتحلا

قلنا " أبينوا، خسئتم، لا أبالكم ... وأفصحوا هبلتكم أمكم هَبَلا

فأجفلوا، ثم قالوا:" ما لمثلكم ... أبداعُنا، فرأينا جدهم هزلا

قد جَدَّدَ العصرُ في وزنٍ وفي لغةٍ ... فلست تعرفُ شعراً قال أم زجلا!!

رطانةٌ لستَ تدري حينَ تسمعهُا ... أقالَ مُحتَفلا أمْ قال مُرتَجلا

فكن أميراً لهذا العصر مضطلعاً ... بثقلهِ واحتملْ أعباءهُ رجلا

إن يركب الجحشَ شُعرورٌ لغايته ... فما رأيناك إلا راكباً جملا

وإن يكنْ شعرُهم من سَخْفِهِ بصلاً ... فإن شعرك يحكي الشهدَ و العسَلا

( مُرْ وادع وانه وسل وأعرض لحضهم ... تمــن وارج كــذاك النفــي قــد كمــلا)

وقال الشاعر الخطاط الشهير "سيد إبراهيم":

مـن حيـثُ إنَّ الفنـونَ أضـحتْ ... في مركـــزٍ تـــاعسٍ خســـيسِ

وصـــارَ أمـــرُ القـــريضِ فَـــوْضى ... ولـــيسَ للشـــعر مـــن رَئـــيس

****

وحيـــث إن الـــبرنسَ أهـــل ... لـــذلك المنصـــبِ الخطـــيرِ

قـــد قـــرر المحتفـــون جَمْعـــاً ... تقليـــده منصـــب الأمـــيرِ

****

فيـــا أمـــيرَ القـــريض أقـــدم ... وبـــدّل الفـــنَّ مـــن أساسِـــه

ومَـــنْ يُخـــالف فامنحـــه عفـــواً ... وإن تشـــأ فلـــتطع براســـهْ

****

واقبـــل إذا شـــئتَ بعـــد هـــذا ... إمـــارة الخـــطِّ مُسْـــتَقِلاَ

فقـــد غـــدا الفـــنُّ لا يســـاوي ... قلامـــة الظفـــر أو أقـــلاَ

****

والشـــعر في مصر يـــا أمـــيري ... مســـتفعلن فاعـــل فعـــول

فكـــن أمـــيراً عـــلى القـــوافي ... فالنـــاس ليســـت لهـــم عقـــول

وقال الشاعر" عبد الجواد رمضان ":

دَعتْـكَ وقـد تَـوَافَر طالبُوهـا ... وهـل يَحْـوي العُـلاَ إلاَّ بَنُوهـا

أمـيرُ الشـعر أنـتَ وإن تَغـالَى | وأسرفَ في الدّعايـة مُـدَّعُوها
جِيـاعٌ تـاجروا باسـم القـوافي | وقـد ربحـوا الحيـاةَ و أخْسَرُوهـا
سـأحمي عَرْشَـها وأذودُ عنهـا | زعـانفَ للرذيلـة سَـخَّروها
وهـل خُلِقـتْ جلالتُهـا لغـيرِي | وشِـعْرِي أمُّهـا وأنـا أبُوهـا

وقال الشاعر" عزيز بشاي ":

على العرش فاجْلس أو على النجم فاحللِ | فـدونك هـذا منـزلاً بعـد منـزلِ
بلغـتَ سـماءَ الشـعرِ وحـدك عاليـاً | عـلى النـاس فـالبس تاجَـهُ وتقبَّـل
وصِرْتَ أمـير العـرشِ فـارفع لـواءهُ | على مصرَ واجلس في الإمارةِ وانجـل
أمـيرٌ إذا هـزَّ اليراعـة أقبلـتْ | ملـوكُ النُّهـى تسعى إليك وتجتلي

وفي نهاية الحفل ألقى أمير الشعراء المزيف قصيدتين اثنتين. وفيما يلي القصيدتان اللتان أنشدهما ( البرنس ) في هذا الحفل الدُّعابي.

القصيدة الأولى :

عـلى الشـعراء قـد صرتُ الأمـيرا | وإن كنـتُ الحَبَعْشَنَـة الصـغيرَا
أنـا ( المتنبـي ) في نظمـي ونثـري | أقـول الشِّـعر مختـالا فخـورا
وإني للـرَّئيس بكـلِ نـادٍ | أحـاكي الشـمس في الـدنيا ظهـورا
بـدار الكتـب قـد قضيت عمـري | نقـي الجيـب أسـتاذاً حصـورا
تـلاني الشـاعر المتنبـي قـدما!! | وجبـت قريضـهُ سـبحاً بحـورا
لـوائي قـد سـما فـوق الثريـا | لـه القِـدح المُعـلَّى هـدىً ونـورا

لــه القــدح المعــلى في المعــالي    لــوائي مــا بــدا يســمو البــدورا
عــلى الشـعراء قـد صرتُ الأمـيرا    عــلى الشــعراء قــد صرتُ الأمــيرا

## القصيدة الثانية :

رجــال المجــد دُمْــتُمْ للمعــالي    مَــدى الأيــام في تَحســين حــالي!!
فــأنتم ســادةُ الأدبــاء طــراً    وأنــــتم كالفرائــــد في الجــــهال
فهــذي حفلتــي بكــمُ أقيمــتْ    بــرغم حواســدي، آلَ العــوالي
أدام الله ســـعيكمُ إلينــــا    بحــاء قبــل مــيم قبــل دال؟!
بكــم نلــت الإمــارة في قــريضي    بكـــم جـــزت الأواخـــر والأوالي
لشــاعركم بــرنس المجــد كونــوا    لــه نعــم الــشِّمال مــدى الليــالي
برنســكم لكـــالمتنبي شــعرا    وفي هـــذي الإمــارة فهــو تــالي
أدام الله عليـــاكم جميعـــاً    لإحيــــاء المــــروءة كــــالخوالي
وأبقــى أنســكم في كــل نــادٍ    وأجلســكم عــلى الســبع الطــوال
وأحيــاكم حيــاة لي وعــزاً    وأبقـــاكم لنـــا دونَ انفصـــال
وأبقــاكم طــوال الـعصر حصـناً    وجاهـــاً لي بَـــدا دونَ الـــزوال
بكـم تبـدو المواسـم وهـي تشـدو    رجَــال المجــد دمــتم للمعــالي

# الفكاهة في شعر العقاد

ليس في عنوان هذا المقال خطأ من أي نوع . فقد كان العقاد شاعرا ما في ذلك شك . وإن أنكر ذلك كثيرون . وكان العقاد فكهاً مرحاً ما في ذلك شك . وإن جهل ذلك الكثيرون . والذين عاصروا ندوة العقاد سجلوا . ورووا في مجالسهم الكثير من " قفشات " الأستاذ - كما كان يلقب بحق - التي تنم عن خفة ظل مطبوعة ودعابة مركوزة في هذه النفس العظيمة التي كانت تتخفى دائماً وراء قناع من الهيبة والوقار .

والذي يتابع روح الفكاهة في دواوين العقاد يجد كثيراً مما يؤيد ما نذهب إليه من غلبة روح الفكاهة على نفسية العقاد كما تبدو في شعره .

ولم يكد ديوان من دواوين العقاد يخلو من قسم مخصص لأشعاره الفكاهية وعلى سبيل المثال ففي ديوانه الأول ( هدية الكروان ) نجد قصيدة فريدة في بابها عنوانها ( البيلا ) وهي منظومة في طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقداراً قليلاً جداً من الجعَّة ( البيرة ) يشربه بين حين وآخر . فألف الطفل الجعَة واستطابها وأصبح يؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفي هذه القصيدة يتحدث العقاد على لسان الطفل الذي لا يكاد يحسن نطق كلمة ( البيرة ) فينطقها ( البيلا ) ويقول ما أحلى شرب البيلا ! ويكتبها العقاد على لسان الطفل ( ما أحلى سُلْب البيلا ) ومن هذه القصيدة :

البـــيلا ، البـــيلا ، البـــيلا     البـيلا مـا أحـلى " سُـلْب البـيلا "
هـــاتوا البـــيلا واســـقوني     هـــــاتوا البـــــيلا داووني
الطـــب " وديـنـــي " يوصـــيني     بـــالبيلا ، تحيـــا البـــيلا
البـــيلا ، البـــيلا ، البـــيلا     مـــا أحـــلى البـــت البـــيلا
مـــالي ومـــا الشـــكولاتا     تمشي لي تاتـــــا تاتـــــا
بطـــلٌ مـــثلي هيهاتـــــا     بـــالحلوى ينســـى البـــيلا
البـــيلا ، البـــيلا ،البـــيلا     أبـــدًا لا أنســـى البـــيلا

وفي ديوانه الثاني ( أعاصير مغرب ) تتراجع الفكاهة المباشرة لتطل برأسها في ثنايا قصائد أو مقطوعات جادة الفكرة ولكنها لا تخلو من مفارقة كما في قوله

مــن جانــب القــبر لســانٌ بــدا     يكــذب مــا شــاء ولا يستحـــي
هــذا هــو التــاريخ لــو أننــي     صـــورته يومـــاً عـــلى المسرح

ويضم هذا الديوان قصيدة العقاد الخالدة في رثاء كلبة الوفي " بيجو " الذي قدم لها بمقالة ضافية نشرها في مجلة الرسالة في ١٩٣٧/١٠/٣م عدد فيها مزايا كلبة الفقيد وخصاله وحلل نفسيته أيما تحليل وأتبعاها بقصيدته في رثاء الكلب والتي مطلعها :

حزناً على بيجو تفيض الدموع     حزناً على بيجو تثور الضلوع

وفي ديوانه الثالث ( بعد الأعاصير ) نجد قسماً خاصاً بشعره الفكاهي نقتطف منه تلك الأبيات التي بعث بها إلى الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباظة

الذي كان قد دعاه عدة مرات إلى ندوته التي كان يحضرها الكثيرون من أدباء مصر في الأربعينيات ، وكانت تنتهي دائماً بوجبة من "العدس الأباظي " الشهير . وحدث أن اعتذر العقاد مرة بعد مرة عن تلبية الدعوة حتى إذا استشعر الحرج من كثرة الاعتذارات أناب عنه صديقه الشاعر العوضي الوكيل وبعث إلى ابراهيم دسوقي باشا يقول :

يـــا مطعـــم الأدبـــاء مـــن ... خـــير الـــذبائح والبقـــول
مـــا طـــاب مـــن ضـــأن ومـــن ... طـــير ، ومـــن عـــدس وفـــول
" عـــوضي الوكيـــل " إذا دعـــوا ... ثـــم دعـــوةً عـــوضي الوكيـــل
عـــوضٌ إذا مـــا شـــئتمُ ... عنـــي وأكَّـــال أكيـــل
بـــين الموكـــل والمؤكـــ ... ـــل ، فـــاز بـــالغنم الأصيـــل

ويسخر العقاد من الجاهل الذي يطرق ساكتاً فيخشى الجالسون بأسه ويظنونه على شيء من العلم . ويدلل العقاد على أن الإطراق والسكوت لا علاقة له بالفكر . فالحمار أخشع ما يكون حين يأكل الشعير مطرقاً :

لا تغرَنّـــك منـــه إطراقـــة الـــرأ ... س فليســـت برأســـه أفكـــار
أشـــبه الخلـــق بـــالمفكر إطـــرا ... قـــاً ، لـــدنْ يأكـــل الشـــعيرَ ، حمـــار
رأســـه مطـــرقٌ وفيـــه خشـــوع ... وهـــو للجهـــل رمـــزه المســـتعار

وفي ديوانه الرابع ( وحي الأربعين ) نجد العقاد يقتفي أثر صديقه الشاعر العربي القديم ابن الرومي الذي كان من أكابر الهجائين وأجملهم تصويراً . والدي

برع العقاد في تحليل نفسيته في دراسته التي كتبها عنه . يقتفي العقاد أثره فيهجو سيدة قبيحة فيبدع في هجائها فهي في دمامتها كأنها خلاصة مركزة تجمعت فيها دمامة سبعين قرداً لا قرداً واحداً يقول العقاد :

من رأى زهرة الجمال فهذي زهرة القبح أسفرت تتحدى !
طلعة الشؤم من رآها يخلها خُلقتْ من وجوه سبعين قردا

ويرثي العقاد - في الديوان نفسه - كلب صديقه الشاعر الأديب طاهر الجبلاوي فيقول إن الفقيد الكريم - الكلب - يشبه صاحبه في أخلاقه وصفاته . بل ربما فاقه أحياناً حين يصيب العيُّ طاهراً وينبح كلبه في لباقة حاضرة :

حزناً على كلب طاهرٍ فإنه طاهر الكلاب !
تشابها في خليقةٍ واتفقا - شيمة الصحاب
وربما عَيَّ طاهرٌ وكلبه حاضر الجواب
فليس يوفيه حقه من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحاً نبح المساعير في الخراب
عوْعوْ ، عَوَوْوَوْ، بلا وَنًى ولا انقطاع ولا اقتضاب

ويهيب العقاد بالباكين على الكلب ألا يطلبوا له الرحمة . فإن الله تعالى قد رحمه حين أرسل إليه الموت لينقذه مما أصابه من جوع عند صاحبه طاهر الجبلاوي ويستخدم العقاد تورية لطيفة وتضميناً شعبياً محكماً حين يقول ( من جاع فليرض

بالتراب ) وهي كناية عن الرضا بالقليل واستخدمت هنا تورية لأن الكلب لما دفن بالتراب فكأنه رضيه بديلاً عن الجوع الذي فر منه . يقول العقاد :

| | |
|---|---|
| لا تسألوا رحمة له | قد رحم الله واستجاب |
| لعله مات قانطاً | من "أزمة" الأكل والشراب |
| منتحراً في شبابه | وهكذا يفعل الشباب |
| أراحه الله من ضنىً | أنقذه القبر من عذاب |
| فليحمد الله ربه ! | من جاع فليرضَ بالتراب |

وينتقل طاهر الجبلاوي إلى محافظة سوهاج في الصعيد فيرسل إليه العقاد الأبيات التالية يدعوه فيها للحضور لقضاء أحد الأعياد في القاهرة . وهي في ديوانه ( ما بعد البعد ) الذي أصدره المرحوم الأستاذ عامر العقاد ابن شقيق العقاد بعد وفاة عمه . يقول العقاد :

| | |
|---|---|
| في العيد منتظروكا | فاحضر لنا يا ويكا |
| سوهاج أضيق من أن | تغنيك أو تحتويكا |
| فالعيش فيها ضنين | بكل ما يرضيكا |
| ولو أردت انتحاراً | لما وجدت (فِنِيكَا) |

[ والفنيك هو نوع من الكيمياويات السامة ]

ويكاد العقاد في قصيدته هذه أن ينتهج نهج الشعر الحلمنتيشي الذي يزاوج في بنائه الفني - بين الكلمات الدارجة والكلمات الفصحى . فهو ينحت الفعل

(يقيفهر) للدلالة على من يسكن القاهرة مقابل الفعل ( يسوهج ) للدلالة على من يسكن سوهاج . ويستخدم كلمتي ( جهركا . وسيكا ) وهما مقامان موسيقيان مختلفان كما تختلف سوهاج عن القاهرة :

ومـــن يقيهـــر خـــير ممـــن يســـوهج ديكـــا
هـــذا يغنـــي جهركـــا وذاك ينشـــد ســـيكا
وذا يصـــيح فصـــيحاً وذاك يهـــذي ركيكـــا
وجـــائز حـــين تـــأتي ألا تعـــود وشـــيكا
تظـــل في مصر نســـياً كـــما هنـــاك نســـوكا

وذات مرة كان طاهر الجبلاوي في الفيوم . فامتدت يد أحد اللصوص فسرق حافظة نقوده ولم يترك له شيئاً . فاستنجد بصديقه العقاد ليرسل له نقوداً . فأرسل له العقاد " شيكاً " ومعه الأبيات التالية يتهمه فيها بانه ظلم اللصوص حين ادعى أنهم سرقوه ويصفه بأنه ( خيتعور ) وهي كلمة عامية لا معنى لها وإن حملت سمة التهكم فيقول :

تتجنى على اللصوص من الظلم فيـــا ليـــتهم تجنَّـــوا عليكـــا
إن يكـن ضـاع مـا ضـاع فـاعلم أن كفيـــك غالتـــا كفيكـــا
بـين كـأس شـهية وكتـاب عبقـــري تجلـــو بـــه عينيكـــا
فتقبـل شـيكاتنا ، ثـم حـاذر أن تـزوغ الشـيكات مـن كفيكـا
ثـم هـرول يـا خيتعـور مـن الفيـوم جريـــاً ولـــو عـــلى قـــدميكا

ويبدو أن حظ طاهر الجبلاوي مع الصعيد كان سئاً للغاية فبعد أن سرقوه في الفيوم . وبعد أن نقلوه إلى سوهاج . نقلوه إلى أسيوط فأرسل أبياتاً لصديقه العقاد يستعيث به ليتوسط له في النقل إلى القاهرة . ويصف له أهل أسيوط بأنهم آية في سوء العشرة فيقول الجبلاوي :

هـــل أنصـــفوا الجـــبلاوي وهـــو بأســـيوط ثـــاوي ؟
أعـــيش بـــين أنـــاس هـــم آيـــة في المســـاوي
مُصـــــبَّحاً وممُسَّي مـــنهم بـــذئب عـــاوي
واللـــؤم والشر فـــيهم أضـــعاف مـــا قـــال راوي
أنجـــد أخـــاك فـــإني عـــلى شـــفير هـــاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [ وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأه ] يقول العقاد :

كلمـــت في النقـــل قومـــاً مـــنهم رشـــيد وغـــاوي
ومـــنهم مســـتقيم فـــيها يقـــول ولاوي
فـــما أفـــادوا بشيء إلا عـــريض الـــدعاوي
فاقعـــد بقـــا واصـــطليها في الحـــر والحـــر شـــاوي

وهكذا أظهرت النماذج السابقة - وما هي إلا أمثلة - كم كان العقاد يتمتع بروح مرحة أضفت على أشعاره ، ومن قبلها أضفت على علاقاته الاجتماعية جواً من الحب والود ، ولعل في تلك النماذج خير دليل على شاعرية العقاد من جهة وتقديره للفكاهة من جهة ثانية .

# المعنى في ( بطن ) الشاعر!!

شاع على الألسنة عند التوقف أمام بيت شعري غامض قولهم " المعنى في بطن الشاعر"!! أي في عقله ، وذهنه . ولكن المعنى في القصة التالية في " بطن " الشاعر الحقيقية : أي في معدته !! ويمكن أن نقول إن المعنى في القصة في " بط " الشاعر الكبير الدمياطي محمد مصطفى الماحي (١٨٩٥-١٩٧٦) .

فحين صدر " ديوان الماحي " في طبعته الثالثة عام ١٩٦٩م [ وكانت الطبعة الأولى منه قد صدرت عام ١٩٣٤ في العام ذاته الذي صدر فيه أول ديوان لكل من إبراهيم ناجي وعلى محمود طه ثم صدرت الطبعة الثانية من ديوان الماحي عام ١٩٥٧م] . احتفلت به الأوساط الأدبية في مصر ، وأقيمت عدة ندوات حول هذا الديوان في دار " جمعية الشبان المسلمين " بالقاهرة ، وفي دار " جمعية الشبان المسيحية " وفي دار " جمعية الأدباء " ، وفي دار " الرابطة الإسلامية " ورابطة الأدب الحديث وغيرها .

وفي إحدى هذه الندوات ألقى الشاعر الفكه عبد السلام شهاب قصيدة متميزة ، غمز فيها الشاعر الماحي غمزتين فكاهيتين ، أولاهما حين تحدث عن حجم الديوان الضخم فقال :

| | |
|---|---|
| ديوان " الماحي " الدمياطي | سبحان الوهاب العاطي |
| أرأيتم دفتر تليفونٍ | " معبوطاً " أو " تحت الباطِ "؟ |

ثم انتقل إلى الغمزة الثانية ليصنع منها المفارقة ، فهذا الشاعر الذي أنتج ديواناً بهذا الحجم الضخم الذي جعله أشبه بدليل التليفونات هو من أهل دمياط المعروفين بين المصريين بشدة حرصهم - أو بخلهم - فيقول شهاب :

هو من دمياط - لا عجب !!- يـــزن الـــدنيا بـــالقيراطِ

والـــــدمياطي بفطرتــــــه " لقَّـــاط " القـــرش بملقـــاط

ومع أنه من بلد معروف أهلها بشدة حرصهم ، وجمعهم المال والحفاظ عليه فإنه رجل كريم ، سمح ، يستمتع أصحابه إذا كانوا ضيوفاً عليه بما يأكلون وما يشربون :

واســأل مـــن زاروا منزلـــه عـــن ألـــف ســـاطٍ وســـاطِ

فلبســـتان المـــاحي صـــيتٌ في جمـــع الـــبط " الزغـــاطي "

وبالرغم من أن عبد السلام شهاب - فيما يبدو بعد ذلك من المعركة - لم يكن قد زار الماحي ولا ذاق طعم بطه ولا طعامه ، فإن حيلته قد نجحت ، وانطلت على الشعراء حاضري الندوة.

وكان الشاعر محمود غنيم واحداً من أبرز شعراء الفكاهة والمساجلات الإخوانية ، وكان مشغوفاً بالدخول في معارك " البطون " بصفة خاصة كما نرى في قصائده عن العدس الأباظي ، ولحوم الخراف ، والديوك . . وغيرها مما نجده في ديوانه .

وبعد انتهاء الندوة كتب محمود غنيم إلى صديقه الماحي يعاتبه لأن عنده مزرعة بط وأطعم منها عبد السلام شهاب وغيره من أصحابه ولم يدع غنيماً معهم مع شدة ما يرى من الغلاء الفاحش الذي يفتك بالناس . فقال يخاطب الماحي :

| | |
|---|---|
| قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا | فأكلنا بالأذن حتى شبعنا |
| غير أن الأفواه تنطق همساً: | ما عرفنا لذلك البط معنى!! |
| يا أبا مصطفى ، عليك سلامٌ | أفيُرضيك أن شبعتَ وجُعْنا؟ |
| وسع الناس كلهم بطك النا | ضِج دُهناً ، لكنه لم يسعنا |
| جُدْ علينا ولو بطيف جناح | لا تَدَعْنا نشكو الطوى،لا تدعنا! |
| نحن في عهد أزمة وغلاءٍ | قد رهنَّا فيه المتاع وبعنا |
| نحن قوم لنا العفاف شعارٌ | إن سُقينا حِسَاءَ بط قنعنا |
| وإذا نالنا كريم بإحسا | نِ ، شكرنَا صنيعه وأذعنا |
| ونذيق البخيل هَجْواً وبيلاً | مِثل حدِّ السلاح ضرباً وطعنا |
| صاح،لا عذر بعد هذا،فقُلْ لي: | قد سمعنا ما قلتَه وأطعنا |

وحين وصلت أبيات محمود غنيم إلى الشاعر الماحي ، أدرك أنه خاسر لا محالة . فإما أن يدعو غنيماً وصحبه إلى وليمة ضخمة تجور على ثروته من البط وإما أن يستعد لقصائد الهجاء المقذعة فيخسر سمعته ومكانته الرفيعة بين أدباء عصره . فلجأ إلى التحايل ورفع لواء المسكنة . والتشكي من الغلاء والبلاء وسوء الحال . وزعم أن عبد السلام شهاب لم يزره ولم يطعم عنده بطاً ولا دجاجاً . وإنما

قال ما قال تحت وطأة الجوع . وللجائع أن يحلم كيف شاء بما شاء فكتب إلى محمود غنيم يقول :

| | |
|---|---|
| يا أخي ، يا غنيم ، رفقاً بحالي | إن عبد السلام بات يُغالي |
| لا تصدق ما قاله ، يا صديقي | إنه شاعر رحيب الخيالِ |
| لم يزرني ولم أزره ، ولكن | هاجه الشوق للطعام الغالي |
| كان فيما مضى يُقدَّمُ بطٌّ | ودجاجٌ مُحَمَّرٌ في المقالي |
| يوم كان الزمان سهلاً رخياً | لا يمر الغلاء فيه ببالِ |
| فغدا البط والدجاج - كما تَعْـ | ـلم - ضربين من ضروب المحالِ |

ويبدو أن الماحي بعد أن كتب الأبيات السابقة خشي مما كان يعرفه من سلاطة لسان غنيم ، وتخيل ما ينتظره من سوء العاقبة إن لم تنطل على غنيم حيله السابقة، وشكاواه من الغلاء . فأردف يدعوه دعوة رقيقة لا جزم فيها ولا تحديد موعد فقال :

| | |
|---|---|
| غير أني - وقد تصوَّرتُ ما قا | ل صحيحاً - أراه سهل المنالِ |
| لك عندي وللصديق شهاب | أسمن البط في قريب الليالي |
| ولمن شئت من محُبيك طُراً | أنا والله لست بالبخَّالِ |
| فاقترح ، يا أخي - فديتك - يوماً | واختبر - إن شككتَ - صدق مقالي |

ومع ذلك فلم يسلم من لسان غنيم . الذي أرسل إليه يسخر مما جاء في قصيدته من ادعاء للفقر ، وشكوى من الزمان . مما كاد يدفع بمحمود غنيم إلى أن

يتبرع له بما يملك من قوت أولاده . وسخر من دعوته التي جاءت في آخر أبياته لأنها دعوة مذبذبة لا حسم فيها ولا تأكيد . فقد تلقى من محمود غنيم قصيدة حادة اتهمه فيها بالبخل ومحاولة التمسح بالغلاء، مع أن أصحابه لم يطلبوا منه ذبح عجل من الماشية ولا ذبح ناقة ولا جمل . لكنهم لم يجمحوا بخيالهم الطامح لأكثر من ذبح بطة هزيلة جائعة. فلماذا يصر على دعوتهم بهذا القلب الهلوع ؟ وتلك النفس الوجلة ؟

فقال غنيم للماحي :

| | |
|---|---|
| أيها الشاعر الرقيق الحال | أنا لم أدرِ أن جيبك خالي |
| أنت قد بِتَّ تدَّعي الفقرَ حتى | كِدتُ أهدي إليك قوت عيالي |
| ما طلبنا إليك ذبح فَصِيلَيْـ | ـن ، وفحلين من فحول الجمالِ |
| بل طلبنا جناح أنثى من البط | إلى الله تشتكي من هُزالِ |
| فعلام الأسى، وطول التشاكي | والتباكي على الزمان الخالي؟ |
| لستَ ممن يدعو الضيوف بقلبٍ | بل بقول ممزقِ الأوصال |
| لست ممن يدعو بطرف قريرٍ | بل بطرفٍ ذي مَدمَع سيَّال |
| مُومِئاً نحو باب دارك للضيـ | ـف بيُمناك ، طارداً بالشِّمال |
| والكريم الكريم يدعو بقلبٍ | ثابتٍ ثابتٍ ثبات الجبالِ |

ثم بدأ غنيم في تنفيذ ما هدد به من هجاء مقذع . فقال للماحي إنه ابن أصل لهذه المدينة التي اشتهرت بين المصريين بالحرص الشديد . مع ما عرف من أنها بلد الأدباء والشعراء . ونقض محمود غنيم - بهذا الهجاء القومي - يده من

فكرة دعوته إلى أكلة من بط الماحي ، وليستعد الماحي بعد ذلك لجولات أخرى من الهجاء في كل مناسبة فقال غنيم :

يـا ابـن دميـاط ، إنّ دميـاط إن عدّت بنيها تعدك ابن حلال !!

إن دمياط مهبط الشعر ، لكن هـي في الخـرص مضرب الأمثـال

إن أنجالهـا كثـير ، ولكـن أنت ، يا صاح ، أنجب الأنجال !!

بكرُهـا أنـت حكمـةً وبيانـاً وفتاهـا حرصـاً عـلى الأمـوال !!

صاح دعني من أكل بطك،دعني أوثـر الجـوع ؛ إن عِـرضيَ غـالي!

واستمرت المعركة سجالاً ، فرد الماحي مدافعاً عن نفسه ، متذرعاً بسوء الأحوال – مرة أخرى – والغلاء الفاحش ، واستغرب ألا يحس غنيم بوطأة هذا الغلاء لما حققه من ثراء وما جمعه من ثروة :

يـا صـديقي،لقد عهدتك عـدلاً منصـفاً في المقـال والأفعـالِ

أنـا لا أشـتكي-كـما قلـتَ- فقـراً لا،ولا البخـل خصلة مـن خصـالي

فلـم الجـور والتشـكك فـيما سُـقتَه باكيـاً لرقـة حـالي؟

فـيم نُكرانـك الغـلاءَ، وكـل الـ ـناس يشـكون مـن أذى مغتـالِ؟

فـإذا لم تحسـه، فهنيئـاً لـك مـا قـد جمعـت مـن أمـوالِ

أنـا عنـدي مـن القناعـة كَنـزٌ ومـن الله فضـله المتـوالي

ولم يجد الشاعر مصطفى الماحي بداً من الدفاع عن بلده ( دمياط ) فوصفها بأنها بلد الجد والاجتهاد والعمل ، وما شاع عنها إنما هو حقد من الآخرين عليها

لأنها تفرق تفريقا عميقا دقيقا بين " الحرص" بمعنى " الشطارة" أو الوعي الاقتصادي، وبين " البخل " بمعناه المذموم شرعاً وعرفاً. وعلى هذا الأساس من التفريق بينهما ،اضطر الماحي إلى تجديد دعوته إلى غنيم لكي يأتي - ومن شاء معه - إلى دمياط لتناول البط ليدرأ الماحي عن نفسه تهمة البخل :

إن دمياط ذات جد ، وقصدٍ ... لا لحرص، ولا لسوء فعالِ

تضع الحق في النصاب ولا تفـ ... ـعل فعل الأغفال والجُهالِ

هل أجاريك في دُعايتك الحر ... ى، وأنت المداعب المتغالي

لا، وحسبي أني أعود إلى دعـ ... ـوتك اليوم، صادقاً في سؤالي

مع من شئت من محبيك ، إني ... لا أماري، ولستُ بالبخَّال

فاقترح، يا أخي - فديتك - يوماً ... واختبر - إن شككت - صدق مقالي

ولما رأي محمود غنيم أن دعوة صاحبه الماحي لم تزد عن سابقتيها وما تزال دعوة هشة هزيلة مذبذبة كتب عشر مقطوعات ساخرة نال فيها من الماحي نيلاً عظيماً وجعل لكل منها عنواناً مستقلاً . وهذه المقطوعات آية من آيات الإبداع الفني فيما تجلى فيها من خيال ودقة تصوير وتنوع في معاني السخرية اللاذعة وهي :

١- دون الوصال

بالله،يا ذات المُحيّا الضاحي ... قد طال بي ليلي، وأنت صباحي!

قالت: أتطمع في الوصال ودونه ... قُبَلُ النجوم وأكلُ بط الماحي؟

٢- ليلى المريضة في العراق

ويلاه،لـيلى بـالعراق مريضـة    قـد أصَـبَحتْ في عـالم الأرواحِ!
كيـف السـبيل إلى الـدواء، وإنـما    هـو دِرْهـمٌ مـن دهـن بـط المـاحي؟

٣- حامل الأوسمة

قال الصديق: لقد وصلتُ، فزينوا    صـدري بـألفِ قـلادة ووشـاحِ
فسـألته: أوليـت عرشـاً؟ قـال: لا    لكـن لمحـت خيـال بـط المـاحي !!

٤- مصارع الآساد

سـاءلته مـن أنـت؟ قـال: أنـا الـذي    يـدري الكـماة المُغْلَمُـون كفـاحي
صـارعت آسـاد الشرى؛ فصرعتهـا    لكـن عجـزت أمـام بـط المـاحي !!

٥- الفرسان الثلاثة

لـو أن "هانيبـال" جـاء محاربـاً    في ألـف ألـف مـدجج بسـلاحِ
أو أن "نـابليون" عـاد، و "هتلـراً"    لم ينجحـوا في غـزو بـط المـاحي !!

٦- المستحيلان

لا شيء في دنيـاك غـيرُ متـاح    مـن يسـعَ، كُلُّـلَ سـعيُهُ بنجـاحِ
إلا طبيبـاً قـام يُحيـي ميتـاً    أو طامعـاً في أكـل بـط المـاحي!

٧- في زحل

لما تكَشَّـفت النجـوم، وأفلحـوا    في غزوهـا بـالعلم أيَّ فـلاحِ
سـاءلت عـن زُحـل: أفيـه خلائـقٌ؟    قـالوا: وجـدنا فيـه بـط المـاحي !!

٨- عفريت من الجن

أسمعت عن جن ابن داود الذي ... قد جاءه بالعرش فوق جناح؟
لو ظل يبحث ألف عامٍ كاملٍ ... لم يدر أين مكان بط الماحي!!

٩- محتضر يتمنى

شاهدت خِلِّي وهو يلفِظُ رُوحه ... فسألته: ما تشتهي يا صاحِ؟
فأجاب: أطلب من حبيبي قبلةً ... أو قطعةً من لحم بط الماحي !!

١٠- مهر الخطيبة

قال الخطيب: لقد فقدت خطيبتي ... وأطول حُزني بعدها ونواحي!!
كيف السبيل إلى الزواج، ومهرها ... هو ريشة من ريش بط الماحي؟

وقد أجاب الماحي على هذه الدعابات ملمحاً إلى ما جاء فيها بقوله .

يا أخي، يا غنيم سامحك اللـ ... ـه! فما كنتُ يا أخي بالشَحاحِ
كم قصيد دبّجته كنت فيه ... مَـثَلاً في براعة اللّمّاح
تحسب البط نعمة الله،حتى ... بِتّ ترضى بريشة من جناحِ
مرة تطلب الحساء، وأخرى ... تتغنّى بالبط في إفصاحِ
أتُرى: ليس في البسيطة شيءٌ ... يملأ البطنَ غير بط الماحي؟
إن ذكرت الغلاء يوماً تشككـ ... ـت، وبالغت في مقالة لاحي
ورفعتَ السياط حتى كأني ... جنت ذنباً فوق الرضا والسماح

ثم بدأ الماحي يجامل غنيماً ويشيد بأبياته في مقطوعاته ويجدد الدعوة له فقال واصفاً شعر محمود غنيم الساحر في تلك المقطوعات:

كم تأتي مستنفراً في حديث ... خَالِب للعقول والأرواح
في خيال مُجنَح، وبيان ... أين منه بلاغة الوضّاح؟
صغت فيه ملاحماً وحِكايا ... ت تجلت في أجمل الأوضاحِ
ولقد كدتُ أحْزَنُ اليوم حتى ... أتلقى العِتاب كل صباحِ
فهو عتب مُحبّب بل نكاتٌ ... مُسكراتٌ للنفس مثل الراحِ
غير أني أعود ألمحُ ما يسـ ... ـفر عنه البيان من إلحاحِ
يا أخي إنني دعوتك فاقبلْ ... واطعم البط في هنا وانشراحِ
وأقترح يا أخي - فديتك - يوماً ... واختبر - إن شككت - صدق الماحي

وأخيراً ذُبح البط؛ فقال الشاعر محمود غنيم شاكراً وذاكراً توقفه عن كتابة الشعر بعد أكل بط الماحي، ومهدداً بتجديد الهجاء إن لم تتجدد الدعوة إلى (عزومة) ثانية:

يقولون: ما للشعر غاض معينه ... وكنت تقول الشعر في البط محكماً؟
فقلت لهم: قد كان جوعي مُلهمي ... فلما أكلت البط؛ لم ألق مُلهما
فلا شكر للماحي إذا لم يُثنّها ... فإن هو ثَنّى كان أسخى وأكرما
وإلا فإنا قائلون لبطه: ... "إلى حيث ألقت رحلها أم قشعما"
وأهون من هذا الديّ: لو انني ... حفرت بظفري في الجنادل منجما

لـــه الله بطـــاً صِـــدته بقصـــائدٍ تكـاد تصـيد الـنجم مـن كبـد السما!

وهكذا ، أثبتت لنا هذه المعركة الطريفة أن المعنى يكون أحياناً في " بطن " الشاعر بمعنى معدته، ويكون أحياناً في " بط " الشاعر.. إذا كان مثل شاعرنا الكبير محمد مصطفى الماحي رحمه الله !!

# الفكاهة في شعر هاشم الرفاعي

يعد الشاعر الشاب الشهيد هاشم الرفاعي [ ١٩٣٢-١٩٥٩م] ظاهرة فريدة في تاريخ شعرنا العربي الحديث . فهو يشترك مع غيره مثل صالح الشرنوبي . وأبي القاسم الشابي في الوفاة المبكرة والنبوغ الفني ، ولكنه يمتاز عنهما بأنه فقد حياته في مؤامرة خسيسة ، فقد اغتيل غدراً في مساء يوم ٢ يوليو١٩٥٩م في النادي الرياضي في بلدته " أنشاص " إحدى قرى محافظة الشرقية على يد فتية حاقدين من أندا ده

وقد طبع ديوان هاشم الرفاعي مرتين ، الأولى نشرتها وزارة التربية والتعليم بمصر عام ١٩٦٠م بتحقيق وتقديم الأستاذ محمد كامل حته ، والثانية نشرت في أوائل التسعينيات بتحقيق الدكتور محمد حسن بريغش . كما قامت إحدى دور النشر بطبع قصيدته المطولة الشهيرة " رسالة في ليلة التنفيذ " في كتيب يحمل عنوانها . وما بين كل نشرة وأخرى من شعره . كان الشاعر الشهيد ينتقل به دارسوه من اتجاه إلى اتجاه . وكل جماعة تحاول ادعاء موالاته وتستثمر شعره لنصرة قضاياها . وهذا ما يلاحظه القاريء بسهولة في تكلف محققي شعره .

والسطور القادمة لن تتعرض لهذه التصنيفات الجائرة لشعر هاشم الرفاعي لأنها ستقف فقط عند جانب الفكاهة في شعره . والذي تم ضمه مع الزجل في نهاية النشرة الأولى من ديوانه [سنة ١٩٦٠م ] وهو جانب ليس قليلاً فقد ضم ثماني قصائد يجمعها جميعاً أنها تدور في فلك صداقاته وعلاقاته الشبابية ماعدا اثنتين

منها اتخذتا طابعاً عمومياً هما قصيدة " مشي الهلافيت " وقصيدة " الفول أكلي ما حييت " .

شعره الفكاهي في الرياضة :

نظم هاشم الرفاعي قصائد حول الفريق الرياضي الذي يمثله أولها قصيدة (الخيبة الكبرى ) وقد قالها في فريق معهد الزقازيق الديني حين انهزم أمام فريق كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في مباراة كرة قدم ومطلعها :

| | |
|---|---|
| ياخيبـــــة قـــــدَّروها بالقناطــــــير | جـــاءت لنـــا في نهـــار كالـــدياجير |

وفيها يقول إنه ذهب إلى "النادي" فوجده حزيناً بائساً يبكي حظه لهزيمته بسبب لاعبيه الخاسرين ، وكلهم - مع الأسف - طوال عراض يصلحون لجر عربات " الحنطور " بدلاً من الخيل والبغال . فقد تسببوا في جلب الخزي والعار لمعهدهم المرموق :

| | |
|---|---|
| إني ذهبـــت إلى النـــادي فطـــالعني | مقطِّـبَ الوجـه مغـبَّرَ الأسـارير |
| يبكـي وينـدب مـن خـابوا بملعبـه | وفي المبـاراة صـاروا كـالطراطير |
| مـن كـل شـحط أطـال الله قامتـه | يكـاد يصـلح في جـر الحنـاطير |
| مـا للغبـي " وللفتبـول " يلعبهـا | يـاليتهم علقـوكم في الطنـابير |
| أخـزاكم الله قـد جئـتم لمعهـدنا | بالعـار يافتيـة مثـل المـواجير |
| في " الماتش " لم تلعبوا لكـن رأيتكم | في البرتقـال نـزلتم كالمناشـير |
| لـو كنـت أعلـم أن الخيبـة انقسـمت | مـن حظكـم في سـجلات المقـادير |

لكنــــت جئــــت بطبــــال يـــزفكمُ ورحـت أتلـو عـلى لحـن المـزامير:

" لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسـم البغـال وأحـلام العصـافير"

والشاعر يستخدم في هذه القصيدة الكلمات العامية كما يستخدمها الشعراء الحلمنتيشيون المحترفون مثل بيرم التونسي ، وحسين شفيق المصري - رواد هذا الفن - فمن ذلك كلمة ( شحط ) وهي في العامية بمعنى الطويل الجسم ولكنها ذات دلالة تغمز في القدرات العقلية المرتبطة بهذا الطول . كما يستخدم الشاعر كلمات الطراطير والحناطير والمواجير والطنابير بدلالاتها العامية المفهومة . ويستخدم كلمة ( الفتبول ) الإنجليزية بمعنى كرة القدم وكلمة ( الماتش ) الإنجليزية بمعنى المباراة وهذه الاستخدامات هي مصدر من مصادر الفكاهة في الشعر الفكه ( الحلمنتيشي )لأنها ترد في سياق الوزن الشعري مضبوطة بالشكل كما لو كانت فصحى .

وحين انهزم فريق كرة السلة بالمعهد ولحق بفريق كرة القدم المهزوم ، نظم هاشم الرفاعي قصيدته ( هزيمة ) التي افتتحها بقوله :

تعالى يا فريق هنا تعالى *** فدمُك بيننا أضحى حلالا

وقد أوسع فيها فريق السلة سخرية وضمه إلى فريق كرة القدم المهزوم من حيث أن لاعبيه لا خبرة لهم بفنون اللعب ، ومهاراته . وإنما استطاعوا التسلل إلى اللعب في الفريق بالإلحاح والضغط لا بقدرات أبدوها ، أو مهارات أدوها . وكيف يصلحون للرياضة وهم غلاظ كالأفيال اكتنزت اللحوم في أجسادهم فهم يحركونها

بجهد جهيد . ومع ذلك يتخيلون أنفسهم كالغزلان رشاقة وخفة ؟ . إن مثل هؤلاء لا يناسبهم إلا ما يناسب البغال والحمير من جر المحاريث فلا علاقة لهم بفن اللعب

لنا في " الباسكت " اختاروا فريقاً ... يحاكي في ضخامته البغالا

وفي " الفتبول " أفراد تبدّوا ... عراضاً في ملاعبها طوالا

إذا ما صوبوا كرة يميناً ... لخيبة أمرهم طلعت شمالا

وليس لهم بها علم ولكن ... خَذُوها بالتلامة والرذالا

أيصلح للرياضة فيل قوم ... إذا ما سار تحسبه الجبالا

يحرك جسمه المكتظ لحماً ... ويحسب نفسه فينا غزالا

إلى المحراث شدوهم وإني ... سأفتل لكي نجرَّهمُ الحبالا

وتتوالى هزائم فريق كرة القدم . فينهزم مرة أخرى وأخرى أمام فرق شبين الكوم وطنطا والمنصورة والإسكندرية ويفيض الكيل . ولا يستطيع هاشم الرفاعي صبراً عليهم فيصرخ مطالباً بوقف هذا الفريق الخائب بل يتمنى إعدامهم لخيبتهم الشديدة وهزائمهم المتكررة :

قِفوا هذا الفريق غداة خابا ... طويلاً إن لي معه حسابا

فريق لو عدمنا لاعبيه ... إذاً والله قد فعلوا صوابا

هم نالوا الخيابة بامتيازٍ ... وأعطوا كل دلدول منابا

وتعتمد سخرية هاشم الرفاعي من لاعبي الفريق على مفارقة تبدو واضحة لمن يراهم فهم يخشون بأس منافسيهم ، وهو إذا لعبوا لم يؤدوا أداء اللاعب الماهر المتقن ، وإنما يجري أحدهم يميناً ويساراً بلا هدف ، كأنه دابة لا تعرف لها اتجاهاً

إذا ذهبــــوا إلى النــــادي تــــراهم — على خوف بهم - بلُّوا الثيابا !

يظــل هنالــك " المحــروس " مــنهم — يبرطــع مثــل عجــل فيــه ســابا

ويــــبرع في الهيافــــة كــــل " فلــق " — يعــرِّش حجــرةً ويســـد بابــا

ولا يُنْبيــــك عــــن سر المخــــازي — كمــن في ( جــوزة ) شرب الهبابــا

فاللاعبون الذين يتميزون بأجسام كجذوع النخيل ( فلق = جذع النخل ) التي تصلح سقفاً لمنزل ، لا قدرة لهم على مواجهة منافسيهم ، لأنهم ادمنوا تدخين المعسَّل !!

ويندم الشاعر على ما أنفقه المعهد على فريق لاعبيه من أموال كان المجاورون الفقراء أولى بها منهم. فلا معنى لأن يتنازل المجاورون لأمثال هؤلاء المهزومين عن حقوقهم ليشربوا بها برتقالاً في استراحتهم بين المباريات . وهم لم يحرزوا أي نصر يستحق هذا التكريم :

فلــــوس مـــن " جرايتنـــا " عليـــه — لوجـــه الله نصرفهـــا احتســـابا

وفي " الهــاف تــايم " يطفــح برتقــالاً — شَرَوْهُ لــــه بـــأموال " الغلابـــا "

أريحونـــا فإنـــا قـــد شـــبعنا — كســوفاً واكســبوا فينــا ثوابــا

علـــيكم بالشـــوارع والحـــواري — وفيهــا فــالعبوا كــرةً " شرابــا "

## شعره الفكاهي مع رفاقه :

ومن قصائده الساخرة قصيدة ( أمير الهعهع ) تلك القصيدة التي قالها في زميل له أزهري كان منصلح الحال مستقيم الطريق إلى أن التحق بكلية دار العلوم فتبدل حاله على عكس الحال . فكان دائماً ضحوكاً طروباً عاطفياً على غير المعهود بالأزهري . وقد استهل قصيدته تلك بقوله :

زين الشباب الجامعي *** التابعيُّ التابعيّ

ويصف هاشم الرفاعي زميله الأزهري بأنه " دون جوان " -معشوق النساء- المدلع الناشيء في العز والنعمة . فكان الأزهري - قبل أن يأتي إلى الكلية - مثل البعبع للفتيات ولكن بعد أن جاء ذلك الزميل الـ " دون جوان " قوبل بالترحاب من تلك الفتيات. فاستخفه الطرب . ولعب به الخيال ورأى في نفسه غير ما يرى فيه أصدقاؤه :

| | |
|---|---|
| الضـــاحك المـــرح الطــــ | ــروب العــاطفي اللوذعـــي |
| الـــدون جـــوان الفـــذ | مـــن تهـــواه ذات البرقـــع |
| الغيـــدُ قـــد دلَّعْنـــه | افْدِيـــهِ مـــن مُتَـــدَلِّع |
| قـــد كـــان يبـــدو الأزهـــ | ــريُّ لهـــن مثـــلَ البعبـــع |
| حتـــى أتـــى هـــذا | فقوبـــل بـــالفؤاد المولـــع |

وتزداد سخرية هاشم الرفاعي من زميله وهو يصفه بأنه ملك للفكاهة وأمير للضحك وأنه أصبح يجذب قلوب العذارى نحوه بمشيته المختالة الفخورة ، وكلما رأينه أشرن نحوه بأن هذا هو الذي خلب عقولهن وامتلك قلوبهن :

يـــا صـــاح : يـــا ملـــك الفكاهـــة  يـــــا أمـــــير الفهـــــع
أصـــــبحت تجتــــذب الـــــــ  ـــــقلوب بمِشـــــية المتقمـــــع
ويشـــــار نحـــــوك إن مـــــررت  عـــــلى الحســـــان بأصـــــبع

ويذكره الشاعر بأصله ويسأله هل نسيَ متون الكتب الأزهرية وما حوته من علم ؟ أنسيَ مرويات الأصمعي ؟ أم نسيَ تلك الأيام والليالي التي كان يرهق فيها بصره وهو يقرأ تلك الألفاظ الحوشية الغريبة التي كثيراً ما حوتها الكتب الأزهرية

أنســـــيت مـــــا حـــــوت المتـــــ  ـــــون ومـــــا رواه الأصـــــمعي
أنســـــيت يـــــوم تخزّقـــــت  عينـــــاك في جَحْلَنْجَـــــعِ

ويقول له الشاعر : بعد كل ذلك تستمتع بجلوسك مع الفتيات ولا تصدهن فإذا كان باستطاعتك خداعهن فلا يمكنك خداعنا لأننا نعرفك ونعرف أصلك وها هو ذا أثر عمامة الأزهريين ظاهر فوق جبينك :

الآن تـــــأنس بالفتـــــاة  ولا تقـــــول افرنقـــــع
فـــإذا اســـتطعت خداعهـــن  فإننـــــا لم نُخـــــدع
إني أرى أثـــــر العمامـــــة  في جبـــــين المجـــــدع

وقد كان للشاعر هاشم الرفاعي صديق كثيراً ما كان يورطه كرمه وحياؤه في مغارم تخلف له الضيق والحاجة . وقد نظم الشاعر هذه القصيدة في ١٥ديسمبر١٩٥٥م يداعب صديقه على أثر ورطة ذهبت بمصروفه الشهري :

| | |
|---|---|
| مــــابين بــــؤس وضــــيق | عــش حــائراً يــا صــديقي |
| ضــــيوفك اليــــوم جــــاءوا | مــــن كــــل فــــج عميــــق |
| ولــــيس يــــأتون إلا | في كــــل ظــــرف دقيــــق |
| " للســــينما " والمقــــاهي | صــــحبتهم .. كــــالغريق |
| ولســــتَ تملــــك قرشــــاً | في جيبــــك المخــــروق |
| ضــــيعت " مصروف " شــــهر | فــــيها لهــــم مــــن حقــــوق |
| فــــداؤك اليــــوم نــــفسي | مــــن حــــائرٍ عريــــق |

ويذكّر هاشم الرفاعي صديقه ذلك الكريم بسفهه حين كان يقترض الأموال من زملائه المجاورين ( هيكل ) و ( فتوح ) و( عابد ) وأنفق هذه الأموال على ضيوفه الثقلاء . وترك زملاءه يعانون شظف العيش وشدائد الحياة ويلعنون اليوم الذي عرفوا فيه هذا الزميل الذي يقترض ولا يرد . وينصح الشاعر صديقه هذا بأن يختفي من أمام عيونهم . وأن يتهرب في المرات القادمة من أولئك الضيوف الثقلاء:

| | |
|---|---|
| كــــم اســــتلفت نقــــوداً | مــــن " هيكــــل " المزنــــوق |
| راحــــت جميعــــاً علــــيهم | ياللشــــعور الرقيــــق |

قـــــد غـــــادروك لغلـــــب ... مـــــرَّة تنشـــــيف ريـــــق

" فتُّـــوح " يصرخ : مـــــالي ... ومـــــاهم ، في زعيـــــق

و" عابـــد " بـــات يهـــذي ... في غضـــبة المفلـــوق

والشـــيخ " هيكـــل " جفّـــت ... دمـــاؤه في العـــروق

فـــنم بكـــل غـــروب ... ولا تقـــم في الشروق

واهـــرب ولا تبـــدُ يومـــاً ... لزائـــرٍ في طريـــق

ومن أشهر قصائد الفكاهة التي تبرز ملامح خفة الظ لعند هاشم الرفاعي قصيدة ( من وحي الرحلة ) وقصتها أ. الشاعر كان في رحلة لطلبة معهد الزقازيق إلى الأقصر وأسوان . وفي حفلة سمر أقيمت بمعسكر الشباب بأسوان مساء يوم ٢٠ يناير ١٩٥٦م ألقى هذه القصيدة . وفيها يذكر كيف خدعه منظِّموا الرحلة حين طلبوا إليه أن يلتزم بالزيِّ الأزهري فجاء يتهادى بينهم "بكاكولته " و " عمَّته" في حين جاء زملاؤه يلبسون ثياباً خفافاً لا تقيد حركتهم :

أتيـــت إلى هـــذه الرحلـــة ... أجـــرر أذيـــال كـــاكولتي

وقيـــل ليَ الـــزي لاتنســـه ... فلـــم تـــنج رأسيَ مـــن عمتـــي

وقـــد لـــبس الكـــل مـــا عنـــدهم ... مـــن البنطلـــون إلى البدلـــة

وهأنـــذا بيـــنكم قـــد ظهـــ ... ـــرت حزينـــاً ..بهـــاتيكم البلـــوة

ويتذكر الشاعر كيف حمل حقيبة تنوء بما فيها من خبز وجبنة وملح . ويندد بمشرفي الرحلة الذين ضيقوا على الطلاب فلم يوفروا لهم الطعام وأجبروهم على حمل تلك الأحمال الثقال من الخبز والملح والجبن . ولم يصرفوا لهم نقوداً يقتاتون بها

وإن أنـــس لا أنـــس أمـــر الطعـــ ـــام لقـد أوقـع الكـل في ورطـة

غمـــوسي أكثـــر مـــا قـــد حملـــ ـــت وعـيشي تضـيق بـه شـنطتي

ومـــا ينفـــع الخبـــز في شـــنطةٍ وقـــد كـــان يوضـــع في قفـــة

لقـــــد قـــتروا في مصـــــاريفنا ومـــا " لايمونـــا " عـــلى الفكـــة

إذا قلـــت هـــاتوا لنـــا مـــأكلاً يقولـــون : هـــل نحـــن في ختمـــة؟

ويروي الشاعر كيف أن زميلهم " شاهين " جاء معه بدجاجة راح يمزقها ويتمتع بأطايبها وعيون زملائه ترمقه في حسد وحقد . ولم يفكر في أن يعزم أيّاً منهم لمشاركته في الدجاجة مع شدة شوقهم إلى تذوق طعمها من ما عانوه مع العيش والجبن .

ويهدد هاشم الرفاعي مشرفي الرحلة بأنهم سيواجهون ثورة عاتية إذا أصبح الصباح ولم يبسطوا أيديهم المغلولة . ويرفهوا عن الطلاب بأكلة دسمة يشمون فيها روائح اللحم ويرون الدهون تسبح في بحار الفتة والمرق :

وهـــــانحن لم نلـــــق زاداً لنــــــا ســـوى العـــيش والملـــح والجبنـــة

و" شـــاهين " جـــاء لنـــا عامـــداً يحنســــــنا اليــــــوم بالفرخـــــة

وراح يقطعهـــــــــــا بيننــــــــــا ويبلـــع مـــا طـــاب مـــن لحمـــة

وما قال : هاشم .. خذ حتةٍ وقد كنت نفسيَ في حتة
فأقسم إن لم يجيبوا لنا لحوماً من الغد بالأقة
ويحصل طبخ ولهط وشفـ ـط ونغرق في الدهن والفتة
سنعلنها ثورة لا تلين وكم أشعل الجوع من ثورة

**شعره الاجتماعي الفكاهي :**

لا بالملام ولا بالنصح تنتفع

**

متى أراك عن التهليس تمتنع
رأيت ذقنك مثل الصوف شايبة

**

ولست عن سيرك البطال تنقطع
كيف مرمطة .. حريف شعبطة

**

من غير لخبطة للطيش تندفع
وأنت مش عيل حتى يليق به

**

هذا الهزار وهذا اللهو والدلع
قضيت خمسين عاماً كلها قرف

**

حتى كبرت وعاد الضرس ينخلـــع

عار عليك إذا أصبحت منحنيـــاً

**

وفيك كل صنوف الخلس ، والبـدع

وقد بدا رغم " مكياج " تزاولــــه

**

في رأسك الأبيضان : الشيب والصلع

قطعت عمرك في هزل ومسخـــرة

**

وعندك البؤس بالتشبيح يجتمـــــع

فكم سهرت بكازينو تبعــــزق في

**

مصروف بيتك والأولاد ما شبعـــــوا

وإن رأيت " هاليو" لك ابتسمت

**

تطب في حبها كالعجل إذ يقــــــع

لك انبساط وتهييص وفرفشـــــة

**

وللولية همُّ القلب والوجــــــــع

وحين تطلب شيئاً منك تطبخـــه

**

أراك تخلق أعذاراً متخـــــــترع

اسمع كلامي يا هذا وكن رجـــلاً

**

مشيُ الهلافيت مشيٌ ليس ينبلـــع

الفقر يملأ بالمذلة كاســـــي

***

إني سأشهر في الورى إفلاســـي

لا الجيب يعمر بالنقـــــود ولا

***

فيها الفلوس زي كل النـــــاس

أصبحت باطي والنجوم ولا أرى

***

أحداً يخفف كربتي ويواســـي

الفول أكلي ما حييت .. وإنـــني

***

متحرق شوقاً إلى القلقـــــاس

قدكدت يافومي أصيح منهّقـــاً

***

وتخلعت من أكله أضراســــي

وإذا مشيت فإنني متهالـــــكٌ

***

وأكاد ألفظ - جائعاً - أنفاســـي

البطن خالٍ - كالجيوب - وأشتهي

**

ما في المسامط من لحوم الـراس

وأمر بالحاتي فأهتف قائـــــلاً :

***

كم ذا يكابد مفلس ويقاســـــي

قد بعت مهريَّ اهدوم وفي غــدٍ

***

سأبيع حتماً للعباد نحاســــــي

ويظل ينخلع الحذاء على الثرى

***

فمقاس صاحبه خلاف مقاســـي

# الفكاهة في شعر محمد الأسمر

الشاعر محمد الأسمر ( ١٩٠٠-١٩٥٦م ) واحد من الشعراء الكبار الأفذاذ الذين ظلمتهم شهرة غيرهم فقد كان هو وأقرانه محمود غنيم وعلي الجندي والعوض الوكيل ومحمد عبد الغني حسن وطاهر أبو فاشا ومحمد مصطفى حمام و عبد الحميد الديب ومحمد مصطفى الماحي من الجيل الذي أبدع أيما إبداع ولكن الساحة في الثلث الأول من هذا القرن لم تتسع إلا لشوقي وحافظ ومطران . وفي الثلث الثاني من هذا القرن هاجت البشرية وماجت في حرب عالمية وتقلبات سياسية أثرت في الذوق العام والثقافة العامة فتدهورت مكانة الأدب والفن لحساب السياسة ، والتيارات الفكرية الجديدة .

وكان ما يجمع بين هؤلاء الشعراء الذين ذكرنا أسماءهم هو حبهم جميعاً للمرح والدعابة وارتباط بعضهم ببعض في صداقات خالدة بقيت ظلالها واضحة في آثارهم الشعرية . والشاعر الأسمر ولد في دمياط في ٦ نوفمبر ١٩٠٠م وتعلم بمدارسها ثم انتقل إلى القاهرة وتعلم في مدرسة القضاء الشرعي ثم في الأزهر . وعين بعد تخرجه موظفاً في مكتبة الأزهر حتى أصبح أميناً عاماً لها .وله عدة كتب ضمت مقالاته الاجتماعية وديوانان شعريان كبيران احتويا على أشعاره .

ولم يكن الشاعر الأسمر أسمر اللون ولكنه لقب بهذه التسمية لأسباب عائلية . إذ يبدو أن هذا هو لقب عائلته . أما هو فقد كان وسيماً أبيض اللون وكان حريصاً على ارتداء الزي الأزهري حتى آخر لحظة في حياته .

ومن أشهر فكاهات الشاعر محمد الأسمر ما نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان ( ثلاثة جنيهات دعابة شعرية ) وقصتها أن الشاعر محمد الأسمر أودع عند صديقه اليوزباشي " النقيب " عبد الحميد فهمي مرسي مبلغاً قدره ثلاثة جنيهات بصفة الأمانة واحتفظ بها الرجل في مكتبه وكان يعمل إذ ذاك أركان حرب وزارة الدفاع المصرية . واستبد القلق بشاعرنا محمد الأسمر وكتب إلى صديقه يحثه على بذل الجهد في المحافظة على جنيهاته الثلاثة فيقول :

( أعبد الحميد ) وأنت امرؤٌ ... عرفتك من عنصر طيب
لنا عندكم مهجة أودعت ... لشهر الصيام على الأغلب
ولو أستطيع لأودعتها ... إلى رمضان على كوكب
فلا تغف عينك عن حفظها ... ولا تنأ عنها ولا تلعب

وينبه شاعرنا صديقه إلى أنه يخشى على نقوده الغالية من أن تمتد إليها يد اللصوص المغامرين الذين يتفننون ويتحايلون ويبتكرون طرقاً مختلفة في سرقاتهم ولولا ثقة شاعرنا بما يتكدس في مكتب صديقه الضابط أركان حرب وزارة الدفاع من أسلحة لما استطاع أن يترك له مهمة حفظ جنيهاته الثلاثة :

فإني أخاف عليها النسيم ... وأخشى امتداد يد الأجنبي
ولولا السيوف ولولا الحراب ... لديك لما ساغ لي مشربي
معلقة ترهب السارقين ... وتبعث بالمنظر المرعب
ومهما يكن فحذار اللصوص ... حذار حذار ولا تغضب

فـــإن لهـــم حـــيلاً كلـــما تـــــــذكرتها دارت الأرض بي

وبعد هذه الصورة الطريفة التي صور فيها الشاعر نفسه حائراً خائفاً تدور به الأرض كلما تفكر في الحيل التي يمكن أن يلجأ إليها اللصوص ، نجده يلح على صديقه في حفظ وديعته وأن يجعل الشك رائده مع كل ضيوفه .

وراقــب ضــيوفك يــا صــاحبي وحتــى ذوي النســب الأقــرب
وراقـــب يـــديك ولا تعتـــب وراقـــب يـــديَّ ولا تعجـــب
وحــاذر مــن "الســيد المرغنــي" وإن كــان فخــر بنــي يعــرب
أبيـــت وجســـمي في منـــزلي وروحـــي وعقـــلي في المكتـــب
ووالله لا الحــرص مــن شــيمتي ولا جمعــي المــال مــن مــذهبي
ولكنـــه مـــرض طـــارئ يــزول وعــدوى الغنــى المتعــب
ثــلاث مــن الــورق العبقــري لــديكم ، وكــيلي عليهــا النبــي
إذا علمـــت أننـــي ربهـــا بحــثن ولا شــك عــن مهــرب

وقد علق على هذه القصيدة الشاعران الأستاذ ( عبد الحميد فهمي مرسي ) والأستاذ (علي الجندي ) فمما قال الأستاذ عبد الحميد :

تــروح وتغــدو إلى مكتبــي كأنــك تســعى لقــبر النبــي
تحــج إليهــا لكــي تطمــئن عــلى مــا لجيبــك مــن مــأرب
ولســت أخــاف عليهــا ســواك إذا مــا تســللتَ كالأرنـــب
فـــلا تجـــزعن ، ولا تهلعـــن ونـــم مطمئنـــاً ، ولا تتعـــب

ومما قاله الأستاذ علي الجندي :

ثلاثٌ من ( البنكنوت ) النفيس تنفس عن تعب المتعب
أفي الحق أن يقتني شاعر ذخائر في عامنا الأجدب ؟
ألم يكفه أنه بيننا يحل محل ( أبي الطيب ) ؟
فيا أسمر العين ماذا دهاك وما ذلك الطمع الأشعبي
أتسمن والضر قد شفني وتمزح والجوع قد جد بي
وتختال في ثوبك الأزهري وثوبي بال على منكبي
أعني فإني أخوك الذي يفديك بالنفس والمنصب

ومن المعارك الفكاهية الكثيرة التي كان الأسمر يشعلها معركة خروف العيد وقصتها أن شاعرنا الأسمر كان قد طلب من صديقه القائمقام ( العقيد ) الشاعر عبد الحميد فهمي مرسي أن يعيره خروفاً في عيد من أعياد الأضحى التي جاءت خلال الحرب العالمية الثانية مع اشتداد الغلاء وارتفاع الأسعار . فبعث الأسمر إلى صديقه يقول :

عبد الحميد وأنت معوان إذا هز الخدين حبال ود خدينه
إن كان ذو القرنين عندك حاضراً فابعث به لنرى ضياء جبينه
ولكي يجاوب - لو يمأمأ مثله في بيت جاري - مأمآت قرينه
وليعلم الجيران أجمع أنني إن جاء عيد لم أضق بشؤونه
ولكي يراه من أساء ظنونه بدراهمي ، فأنال حسن ظنونه

وليطمئن الدائنون ويعلموا ... أني امرؤ يقضي جميع ديونه

ويؤكد شاعرنا لصديقه أنه لن يمس هذا الخروف المستعار بسوء . بل سيسهر على تأمين سلامته من الذبح أو العدوان . فكل ما يبغي هو أن يتباهى به كما قال سابقاً - أمام جيرانه. ودائنيه وأولئك الذين يسيئون الظن بقدراته المالية

وأنا الأمين عليه وهو بمنزلي ... من كل جزار ، ومن سكينه

يمسي ويصبح وهو عندي آمن ... من (فلفل) الطاهي ومن (كمونه)

فابعث به ( عبد الحميد ) فإنه ... شيء يرد إليكم في حينه

لسنا نميل إلى نعاجك بل إلى ... كبش لك التفويض في تعيينه !!

ثم حدث بعد ذلك أن اتصل القائمقام عبد الحميد فهمي بقريبه الأديب الكبير الأستاذ عبد العزيز سلطان وكان بينه وبين الشاعر الأسمر صداقة ومودة فبعث بأربعة خراف . وأرسلها من محافظة المنيا بالصعيد إلى قريبه القائم قام عبد الحميد فهمي بحيث يعطى خروف لكل من الأسمر وعبد الحميد. ويعطى خروف لكل من الشاعرين علي الجندي ومحمد عبد الغني حسن وكانا قد طلباهما ووصلت هذه الخراف من المنيا متعبة قد نال منها طول الطريق وهدها السفر فظهر عليها الإعياء ولم تعد صالحة للتضحية بها فكتب الأسمر يسخر منها ويقول :

ويح عبد العزيز أرسل هرا ... تٍ إلينا ، وقال عنها خراف

لم تمأمأ بل نونوت فضحكنا ... ثم قلنا ما ذلك الإسراف

أهدايا ، أم تلك بعض الرزايا ؟ ... رب سلم ونج مما نخاف

أربـــع أقبلـــت . فقلـــت خـــراف ... مـــا تـــراه العيـــون ، أم أطيـــاف ؟

ثـم يـذكر مصيبته في الحـروف الـذي خُصـص لـه ، فهـو خـروف ضـئيل تكـاد العين لا تراه من فرط ضعفه فبينه وبين ما يعرفه النـاس عن خراف الأريـاف فـارق كبير :

كـــان منهـــا لنـــا خـــروف عجيـــب ... هـــو مـــن فـــرط ضـــعفه شـــفاف

لاح كـالوهم بـل هـو الـوهم يـمشي ... لا خـــروف جـــاءت بـــه الأريـــاف

هـو بـين الكبـاش كـبش صـناعي ... وزيـــــف أدقـــــه الزيـــــاف

أثـري مـن عهـد يوسـف موميـا ... خلفتـــه لنـــا الســـنون العجـــاف

لـيس فيـه مـن الخـراف الـتي نعـرف ... إلا القـــــرون والأظـــــلاف

كـــم تمنـــى أطفالنـــا أن يـــروه ... ورأوه ، فـــــأنكروه وخـــــافوا

أبصرتــه القــدور عنــدي فمالــت ... ضـــاحكاتٍ وفـــرت الأضـــياف

خـذه عبـد الحميـد خـذه ، وحسـبي ... هبـــه حكـــماً أمـــا لـــه اســـتئناف ؟

أمـا الأسـتاذ محمـد عبـد الغني حسـن الـذي كـان معروفـاً بمجـاملاتـه وخلقـه الرفيـع فلم يشأ أن يذهب مذهب الأسمر في السخرية ، بل مدح خروفه قائلاً :

وصل الخروف وقد حسبتك مازحاً ... فـــإذاك قـــد بالغـــت في تســـمينه

الله زينـــــه بكـــــل جميلـــــة ... وجميـــل صـــنعك زاد في تزيينـــه

ومما أبدع فيه الأستاذ محمد الأسمر تلك القصيدة التي جعل عنوانها ( قربا مربط النعامة مني ) وهو شطر بيت شهير قاله المهلهل بن ربيعة أثناء حرب البسوس

الشهيرة وكرره في قصيدته . وقصة هذه القصيدة أن السيد الشريف مرغني الإدريسي شيخ السادة الأدارسة بالمغرب العربي - وهو سوداني الجنسية شريف النسب كان قد بعث إلى الشاعر الأسمر هدية من الديوك الرومية . والتمر . وقصب السكر وحوت كبير . وأرسل هذه الهدية عن طريق صديقهما المشترك الشاعر القائم قام عبد الحميد فهمي مرسي . فاستأثر عبد الحميد بالحوت وأرسل الباقي إلى الأسمر وبعد أيام مرض السيد المرغني وكان الأسمر قد عرف بقصة استيلاء عبد الحميد على الحوت فكتب إلى السيد المرغني يواسيه ويذكر ما صنعه عبد الحميد فيقول :

يا سليل النبي عوفيت مما | بت تشكوه من أذاه الليالي
قال أشكو الأملاح قلت عجيب | كيف يشكو الأملاح حلو الخصال
الصديق الكريم ، والعسل الصافي | شهي الوداد ، عذب الخلال
والذي أرسل الديوك فقلنا | أديوك أم تلك بعض الجمال
والذي أرسل العجيب من التمر | نواه يباع بالمثقال
ولطيف الأعواد من قصب هش | رماح وافت بخمر حلال

وهكذا يذكر الأسمر هدايا صاحبه المتعددة فتجيش نفسه بذكرى تلك الخراف الضعيفة التي أهداها لهم صديقهم عبد العزيز سلطان وكانت غاية في الضعف . والهزال فكأنها النمال . ثم يذكر لصديقه المرغني كيف استولى صديقهما عبد الحميد فهمي على الحوت :

لا كعبد العزيز وهو صديق | حين أهدى الخراف مثل النمال

أو كعبد الحميد حين أتى السحو ... ت إلينا فسفه لم يبال

سفَّه سفةً فجاء عليه ... وهو فوق العشرين في الأرطال

هل رأيتم ، أو هل سمعتم بمزح ... مثل هذا في سابق الأجيال

ليت شعري إن كان ذلك مزحاً ... من صديق فكيف جِدُّ القتال ؟

( قربا مربط النعامة مني ) ... إن خطف الصديق للحوت غال

( قربا مربط النعامة مني ) ... سفَّ عبد الحميد رزق العيال

وحدث أن كان الأديب الدكتور سيد نوفل - الذي أصبح فيما بعد أميناً عاماً مساعداً بجامعة الدول العربية - يعمل سكرتيراً للدكتور محمد حسين هيكل باشا وزيرا المعارف . فطلب الشاعر محمد الأسمر منه أن يتوسط لدى الوزير لكي يعاون تلميذاً فقيراً في الحصول على منحة ليتعلم مجاناً - وكانت المجانية آنذاك بالاستثناء - ويبدو أن السيد نوفل قد تباطأ في تلبية رغبة الشاعر الأسمر . فبعث إليه موبخاً وهو يستخدم بعض الألفاظ العامية للدعابة على عادة القدماء فقال :

يا سيد ياجعرُ ... هل أنت حقاً سِكِرُّو ؟

إن كان ذلك حقاً ... فاصنع صنيعاً يسُر

يا نوفلاني قل لي ... وأنت شيخ شخُر

خلف الوعود حلال ... في الشرع أم هو نكر ؟

يا دلدلاً قد تدلى ... علام لا تستقر ؟

تهتز في غير شيء ... كأنها أنت زر

فلســـــت تنفـــــع يومـــــاً ولســـــت يومـــــاً تضر
محـــــرنجم مزبئـــــر مهلضـــــم لـــــيس غـــــير
لـــــولا الـــــوزير ولـــــولا أني بصـــــحبي بـــــر
ســـــمعت زأر قـــــواف تبيـــــت منهـــــا تهـــــر
فمـــــل إلى الصـــــدق وافعـــــل خـــــيراً فـــــذلك خـــــير

وهكذا لا تنتهي دعابات الشاعر محمد الأسمر التي تفيض بها دواوينه. والتي تنم عن شخصية مرحة تتعاطى الفكاهة والدعابة طبعاً لا تكلفاً فتأتي معانيه مليئة بالروح الجذابة والظل الخفيف . في إطار من ألفاظ عربية رصينة غير مبتذلة . وهو في الوقت نفسه يبتعد عن الإسفاف والتدني اللذَين كثيراً ما ينزلق إليهما من يتفاكهون تكلفاً وطباعهم تأبى عليهم أن يكونوا خفاف الظل .

# الفكاهة في شعر محمد مصطفى حمام

كان الشاعر محمد مصطفى حمام ( ١٩٠٦-١٩٦٤م ) نمطاً فريداً بين شعراء عصره لما كانت تتميز به شخصيته من تفرد لم يعرفه معاصروه في شاعر غيره ؛ فقد كان مثالاً نادراً يجمع بين السلوك القويم ، والخلق الحسن ، وخفة الظل ، والثقافة الرفيعة .

وقد ولد شاعرنا في مدينة فارسكور بمحافظة دمياط عام ١٩٠٦م وفقد أباه وهو في الرابعة من عمره فكفله جده لأمه وألحقه بالتعليم الديني في الكُتَّاب فحفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى التعليم الابتدائي في بلده ومنه إلى المدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة . ولم يستمر فيها طويلاً حيث اندلعت ثورة ١٩١٩م وأضرب تلاميذُ المدارس وخرج شاعرنا من مدرسته محمولاً على أكتاف زملائه وهو يقود المظاهرات المؤيدة للثورة ويفْتَنُّ في ابتكار صيغ الهتاف بصوت رخيم قوي ، ويُلهب مشاعر الجماهير بحماسته وتدفقه وحسن إلقائه .

ثم انتهت المظاهرات وانتهى معها أمل شاعرنا في التعليم مرة أخرى فاتصل ببعض الصحف والمجلات ينشر فيها أشعاره وأزجاله ، وتتعاقب عليه السنون في العاصمة ويسطع نجمه في المحافل الأدبية ، شاعراً ظريفاً ، وراوية فكِهاً ويحفظ الطرائف والأوابد من الشعر ، وفي مصر حينئذ كبراء ووزراء يسمعون ويتذوقون الشعر ويطربون له ففتحوا له الطريق إلى العمل في دواوين الحكومة وأتاحت له وظيفته الصغيرة ما يسد الرمق وتلبية احتياجاته الأساسية ولكنه كان

مزواجاً تزوج ثلاثاً وأنجب عشرة من الأبناء مما زاد أعباءه وفقره . بيد أنه كان يُرَوِّضُ الفقر ترويضاً – كما يقول عنه صديقه الشاعر طاهر أبو فاشا رحمه الله في كتابه عن الذين أدركتهم حرفة الأدب – وكان يعايش الفقر راضياً ما دام في يديه القليل واتخذ من شعره وسيلة للتكسب والرزق . فكلما مسته الحاجة نظم البيتين أو الأبيات يُضَمِّنها حاجته . ويوجهها إلى مَنْ يقصده من هؤلاء فتكون طرافة الطلب خليقة بتحقيق المطلوب .

وكانت فيه أريحيّة وخصال هي خصال المؤمنين فقد كان مأمون الغيب لا يذكر أحداً بسوء حتى أهل السوء . فلم يكن ساخطاً أو ناقماً أو مغروراً حتى في أحلك أوقات الضنك وكان كما قال في قصيدة له :

| | |
|---|---|
| علمتني الحياة أن أتلقّى | كل ألوانها رضاً وقبولاً |
| والذي أُلْهِمَ الرضا لا تراه | أبدَ الدهر حاسداً أو عذولا |

ويروي الشاعر الناقد كمال النجمي قصة قصيدة فكاهية لحمام تعكس معاناته وكان قد رواها لبعض أصدقائه في جلسة في نادي نقابة الصحفيين بالقاهرة فقال حمام لجلسائه :

لم يعد يحز في نفسي شيء من متاعب الدنيا إلا معاملة سائقي التاكسي لي . . فقد عرفوني جميعاً . وعرفوا أني أركب التاكسي ثم أعتذر عن دفع الأجرة فأصبحوا لا يقفون إذا أشرت إليهم بالوقوف . . . وإذا رأوني مقبلاً إلى موقفهم تحركوا بسياراتهم وهربوا مني . . !!

ثم ضحك حمام ضحكته التي كانت تصدر عنه صافية ذات رنين ، كأنها صادرة عن قلب خالٍ من الهموم . . وقال :

لقد دخل سائقو التاكسي التاريخ ، لأني ذكرتهم في أبيات نظمتها اليوم . . وكانت أبياتاً هزلية يعارض بها قصيدة شوقي الرائعة التي مطلعها :

قال حمام :

| | |
|---|---|
| أما العتاب فبالأحبة أخلق | والحب يصلح بالعتاب ويصدق |
| أما الفلوس فبالأحبة أخلق | والقرش أقرب للفؤاد وألصق |
| لم يبق في جيبي سوى تعريفة | والله يمنح من يشاء ويرزق |
| لما قصدت البنك أطلب سلفة | قالوا : ابتعد فالبنك لا يتصدق |
| هل من كريم أرتجيه لورطتي | سمح اليدين إلى المكارم يسبق |
| فإذا سألت بريزة من فيضه | ألفيت بحر برائز يتدفق |
| شاورت للتاكسي أريد ركوبه | فمضى يبرطع كالحمار وينهق |
| السائقون دروا بإفلاسي فما | يقفون لي وأنا أشير وأزعق |

ويختم حمام قصيدته وهو يضحك منشداً في إثرها قصيدة أخرى عن القروض وأهميتها لديه . . يقول :

| | |
|---|---|
| قد درأنا الإفلاس بالتسليف | واشترينا به غموس الرغيف |
| لا نبالي إذا القروض توالت | كبسة الصيف أو هجوم الخريف |

وكان له موهبة أخرى فهو يجيد تقليد الأصوات تقليداً متقناً وبارعاً فهو يحاكي الصوت ثم يحاكي لوازم صاحبه عند الكلام . فيُخيل إلى المستمع أنه يسمع صوت صاحب الصوت نفسه . وله في ذلك مهارات عجيبة ومقالب طريفة . جعلت منه الجليس الأنيس فاكهة السامر وريحانة المجالس .

ومما يُروى من مقالبه أنه عندما وقعت خصومة بين الأستاذين العقّاد وتوفيق دياب الصحفي اللامع وصاحب جريدة الجهاد . اتصل " حمام " هاتفياً بالأستاذ العقاد وبادأهُ بصوت الأستاذ توفيق دياب ولوازمه في كلامه ولاطفه وعاتبه ومازال به حتى أبرأ صدره من الغضب وضرب له موعداً للقاء . ثم اتصل هاتفياً بالأستاذ توفيق دياب وبادأه بصوت العقاد وبلوازمه في كلامه فعاتبه ومازال به حتى صفّى ما بنفسه وضرب له موعداً للقاء . ويكون اللقاء ويأتي الحديث عن الكلمات المتبادلة بينهما هاتفياً . فينكر كل منهما أنه اتصل بالآخر وينكشف " المقلب " ويعرفان أنه من محمد مصطفى حمام .

وقد روى أنيس منصور في كتابه عن صالون العقاد موقفاً طريفاً يدل على خفة ظل شاعرنا وسرعة بديهته . ففي إحدى ندوات الأستاذ العقاد طُلب منه أن يُقلد طه حسين في طرقه حديثه : فأخرج نظارة سوداء ووضعها على عينيه ومال إلى الأمام ثم قال :

إذا كنتُ راكباً حماراً . فأنا راكبٌ والحمار مركوب . ولما كان المركوب هو الذي نلبسه في القدم ولما كان الحمار لا يلبس في القدم . فالحمار ليس مركوباً . ولما كنتُ راكباً . ولم يكن الحمار مركوباً فلا أنا راكبٌ ولا الحمارُ مركوب . ولا عرف

أبو العلاء هذا النوع من المراكيب ...إذا فأيُّ الأنواع كانت شائعة على أيام أبي العلاء؟؟!!.

ويُلاحظ هنا لوازم طه حسين في أسلوبه فهو يميل إلى التكرار ولا يَملُّ من ذكر أبي العلاء المعريّ . وفي نفس المجلس طُلب منه أن يُقلد العقاد في طريقة حديثه فاعتدل وجلس جِلسةَ العقاد ثم قال :

" فرأس الشيوعي مثل القوالب الخشبية التي يضعونها في الأحذية لتجعل الحذاء مشدوداً فإذا أصبحت مشدودة أخرجوا منها القوالب ووضع الشيوعيون رؤوسهم فيها . وليس غريباً أن الشيوعي "تروتسكي" عندما ألقوا القبض عليه أمسك حذاء في يده وهددهم . إنه لم يهددهم إنما الحذاء أحد الشعارات الشيوعية ولما كان الشيوعيون يمشون على رؤوسهم أي على عقولهم أي على أفكارهم فرؤوسهم تحت وأرجلهم فوق .ولما كان الشيوعيون حريصين على رأس الفكر وليس رأس المال فإنهم يضعون رؤوسهم في أحذية فلسفية " .

ويُلاحظ هنا براعته في اختيار موضوع تقليده للعقاد حيث اختار الشيوعية كمذهب ضال تنبأ العقاد بسقوطه ودكّ أركانه بفكر ثاقب وبصيرة نافذة .

وفن الهجاء مظهر من مظاهر الفكاهة في شعرنا العربي . ولكنه عند محمد مصطفى حمام نلاحظ أن ما كتبه في الهجاء أقرب إلى الداعبة والمعابثة منه إلى سوء القول وفُحشه . فقد كان له صديق يسمى " نجاتي " وكان أديباً ومطرباً ولكن شاعرنا كان يستنكر صوته ولا يعترف به مطرباً فقال يهجوه :

ألا قبحاً لصوتك يا نجاتي — لحق أنت إحدى المزعجات

فلو أني استعنت على عدوٍ — بصوتك لاسترحت من العداة

ولو غنّيتَ في عرس بهيج — لصيّرتَ الرواقص لاطمات

وتنعكس ثقافة حمام الدينية على إبداعه الفني . فهو يتخذ من بعض أحكام الشريعة الخاصة بـ ( الصوت ) وسيلة للنكير على صديقه ذاك صاحب الصوت المزعج . فيقول هازئاً به إنه لو اختير مؤذناً يدعو الناس إلى الصلاة لكان نكران صوقه أكبر وسيلة للتنفير لا للدعوة . ولو مكث بجوار المسجد الحرام بمكة يدعو الناس إلى الحج . لأعرض المسلمون عن الحج تحاشياً لصوته المنكر . يقول حمام :

ولو أذّنت للصلوات يوما — رددت المسلمين عن الصلاة

ولو جاورت بيت الله تشدو — بصوتك في البقاع الطاهرات

لقلنا الحج ليس بمستطاع — فأبطلتَ الفريضة يا نجاتي

وشاعرنا حمام لديه طاقة هائلة في السخرية تجعله يرسم صورة لا تنسى لمن يسخر منهم . وسخريته من النوع الذي يمتزج فيه الجد بالهزل امتزاجاً لطيفاً لا يكاد يبين .

فمن ذلك قصيدته التي أسماها ( مناجاة ) وهي غير موجودة في ديوانه ولكننا عثرنا عليها في جريدة الوادي العدد الصادر يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٣٤م . وهي مناجاة بين الوزير والكرسي . يسخر فيها من أولئك الوزراء الذين ألقت بهم أقدارهم

على كرسي الوزارة فانكبوا على كراسيهم تلك يوسعونها حباً وتقبيلاً يكاد يصل إلى درجة العبادة . وشاعرنا يشخص الكرسي ويخاطبه على لسان الوزير قائلاً :

تقبلتني – بالرغم منك – نزيلا    فلا ترجُ مني – الدهر – عنك رحيلا
ولستُ أبالي كنتُ ضيفاً محببا    لنفسك ، أو ضيفاً عليك ثقيلا

ويمضي الوزير في رحلة توسل طويل يناشد كرسي الوزارة ألا يتخلى عنه ويبحث عن سواه [ ومن الجدير بالإشارة هنا أن تلك الحقبة كانت حقبة تغييرات وزارية ودستورية متسارعة في مصر ] ويضرع الوزير إلى الكرسي ألا يُشمت خصومه السياسيين الذين يشفي غليلهم أن يروه خارج الوزارة :

نشدتك يا كرسيُّ إلا صحبتني    طويلاً ولم تخطب سوايَ خليلا
ولم تتبرم بالذي أنت حاملُ    فإني لأخشى أن تكون ملولا
وإني لأخشى أن يُفَرَقَ بيننا    فتورثني حزناً عليك طويلا
وتشمت بي خصماً يُروِّي نفوسَهم    هواني ويشفي للصدور غليلا

ويشتط الخيال بالوزير وهو يناجي كرسيه ، وما إن يصل إلى هذه اللحظة التي يتخيل فيها خروجه ، حتى تنساب في نفسه خيالات مخيفة لا تقف عند حد أولئك الخصم الذين سيسعدهم خروجه ، وإنما سيمتد اثر خروجه إلى حياته الخاصة فتنهار صروح المنى التي رتع فيها زمناً قصيراً ، وينفض عنه أولئك الذين نعموا بعطاياه إبان عزه وجاهه . وتقلب له الدنيا ظهر المجنّ فتلقي به في مزبلة التاريخ ليجاور أسلافه من المتسلقين المتملقين :

ويرتد ما شيَّدتُ من صرح عِزَّتي كثيباً كما يهوى العداةُ مهيلا
وينفضُّ من حولي أناس تفيأوا ظلالي وأُعْطُوا من نداي جزيلا
فيومئذ أبكي لجاه مُضيع وجيش من الأعوان صار فلولا
ودنيا حسبناها علينا مقيمة فزالت وما أجدت علىَّ فتيلا

وهناك قصيدة فكاهية أخرى لشاعرنا محمد مصطفى حمام لم يتضمنها ديوانه الذي نشر بعد وفاته . وعثرنا عليها في مجلة "الاثنين و الدنيا " العدد ١١٦٨ الصادر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م . وهي بعنوان ( كن صريحاً ) سلك فيها مسلك الشعراء الحلمنتيشيين أمثال بيرم التونسي وحسين شفيق المصري ، الذي كانت عادتهم معارضة قصيدة مشهورة ، مع ذكر مطلعها منسوباً لقائلها ، ثم النسج على منوالها في أغراض جديدة تمزج الفكاهة بالجد ن وقد اختار شاعرنا لقصيدته مطلع قصيدة عمر بن الوردي الشهيرة :

اعتزل ذكر الأغاني والغزلْ واترك اللهو وجانبْ من هزلْ

وهو يخاطب بهذه القصيدة المتحدثين باسم الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية ، وبصفة خاصة في مصر . ويبدو من تاريخ نشر القصيدة أنها كانت خلال الحملة الإعلامية الضخمة التي شنتها الدول الغربية على مصر في أعقاب قرار تأميم شركة قناة السويس المصرية في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م تلك الحملة الشرسة التي انتهت بعدوان ثلاثي عسكري مباشر من فرنسا وبريطانيا و إسرائيل على مدينة بور سعيد ، ودعم سياسي أمريكي . وقد بدأت عمليات العدوان في يوم

٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦م - نفس اليوم الذي نشرت فيه القصيدة - في مجلة ( الاثنين والدنيا )

والنموذج الذي يخاطبه شاعرنا هو نموذج ذلك الرجل السياسي المنافق حمال الأوجه الذي يحذو حذو أمريكا في غموض سياستها آنذاك فهو يستحلفه بجورج واشنطن الرئيس الأمريكي الأسبق الذي يعتبره الأمريكيون وحلفاؤهم مثالاً للبطل الوطني المعطاء . يستحلف شاعرنا النموذج الذي يخاطبه بهذا البطل الشهير ويسأله أن يكون واضحاً صريحاً حاسماً قاطعاً في تصريحاته وأقواله . وألا يتذرع بالدبلوماسية ويتخذ منها وسيلة للمراوغة والتضليل ، يقول حمام :

| | |
|---|---|
| أيها الناطق عن أمريكة | أنت قد هددت عقلي بالخلل |
| أنا في عرض وشنطون الذي | هو في تاريخكم نعم البطل |
| قل لنا قولاً صريحاً مرة | أنت حيرت شعوباً ودول |
| كل حين لك لون يا فتى | كل يوم لك رأي مرتجل |
| أعلينا أنت ؟ أم أنت لنا ؟ | أسروراً تتمنى أم زعل؟ |

ويبدو كما قلنا أن شاعرنا كان يخاطب في هذه القصيدة مسؤولاً معيناً أو متحدثاً صحفياً أو صديقاً كان يدافع عن سياسات الغرب الذي كان آنذاك في أوج تشدده ضد مصر إثر قرار عبد الناصر تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م وهذا تفسره الأبيات التالية فهو فيها يسأل صاحبه هل أنت مع جمال عبد الناصر

أو مع إيدن - وزير خارجية بريطانيا آنذاك والذي كان يقود حملة عدوان الغرب ضد مصر - :

أجمالاً ترتضي أم إيدناً ؟ ... أأماناً تتوخى أم وجل؟

أنت يا أستاذ تعطي زغدة ... بينما تغمر وجهي بالقبل

أنت يا شيخ نشاط وكَسَلْ ... أنت - والله - نجاحٌ وفشل

أنت خصم وأخ ، أنت ضنى ... وشفاء ، أنت يأس وأمل

أنت أعددت لنا مائدة ... قد مزجت المش فيها بالعسل

أنت في بعض الليالي قمر ... يرسل البشرى وفي البعض زحل

أسرة المقتول قد واسيتها ... ثم أقبلت تواسي مَنْ قتل

تكره الغدر من الذئب وقد ... تدفع الذئب إلى نهش الحمل

تعظ الحشاش وعظاً زاجراً ... وتغذيه بأنواع الشُّطل

وهكذا يرسم لنا شاعرنا صورة مهجوه المنافق ذي الوجهين المتردد فيقدمه إلينا صورة لتذبذب الإنسان بين الشيء وضده . فهو بذلك صورة لإنسان ممسوخ النفس تجتمع فيه النقائض ويختتم شاعرنا قصيدته بقوله إن صاحبه يصلح قصة لفيلم سينمائي هازل . كما تصلح موضوعاً للفن بوجه عام :

تمدح الشيء وتهجوه معاً ... تصف القط بأوصاف الحَمَلْ

أنت موضوع لفيلمٍ مضحك ... ولوصفٍ ، ولشعرٍ ، وزجلْ

وأخيراً ينصح شاعرنا صديقه أن يتخذ لنفسه منهجاً واضحاً أيا كان ذلك المنهج . فالمهم فيه أن يكون واضحاً لمن يراه وصريحاً لمن يتعامل معه :

كـن صـديقاً ، أو عـدُّواً واضـحاً    كـن صريحـاً وأرحنـا يـا رجـلْ !!

وبعد حياة المعاناة التي عاشها حتى تعرف في أواخر حياته بالثري السعودي الشيخ محمد مسرور الصبان الذي أعجب به وقربه إليه كما يقول طاهر أبو فاشا – رحمه الله – ، ووفر له عملاً كريماً في السعودية ، ثم غادرها بعد قليل إلى الكويت كما يظهر من قصيدته التي يقول فيها :

إلى الكويـت أشـد الرحـل مغترباً    ومـا أزال غريـب الـدار مـرتحلا

نأى بيّ الرزق عن أهلي وعن ولـدي    مستـسلماً لقضـاء الله ممتـثلا

ولم تطل إقامته بالكويت أكثر من عام ونصف حتى لقى ربه بالكويت في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٦٤م . فرحم الله شاعرنا حماماً بقدر ما روّح عن محبيه وجلسائه وقرائه بما أفاء الله عليه من روح فكهة وخفة ظل .

# قصائد مصطفى حمام

في مجلة الاثنين والدنيا عدد ١١٦٤ بتاريخ ١/١٠/١٩٥٦ يقول في قصيدة بعنوان "يا مجلس الأمن.. "إلى أعضاء عصابة" المنتفعين:

قل للخواجات عيب يا خواجات | هل الحياء انتهى ،واللى اختشوا ماتوا
يا أيها المستر الفخم الذى عرفت | عنه النظاكة جداً والشياكات
وأنت أيها المسيو، وأعرفه | تفوح من خده الحلو الكولونيات
ما للنواعم قد زالت نعومتها؟ | وقال قائلهم أنا فتوات!!
ما للبرانيط طارت عن رؤسهمو؟ | هل البرانيط بعد اليوم لاسات؟!
هذى المدافع فى أيديهمو عجب | فما لأيديهمو إلا المنشات
أو الكتاشين كونكانا تكنكنه ما | أو بوكراً فيه توضيت وبلفات
كانت الحرب يوما من صنائعهم | فهم جسوم طريات دليكات
نهارهم كله هلس ومسخرة | وليلهم كله خمر وستات
سل عن بريطانيا قوما قبارصة | هم على جيشنا كر وغارات
نسف وقتل وترويع وبهدلة | وكل يوم أذيات وعلقات
سل عن بريطانيا مصراً وما صنعت | بها فمصر رجولات وصبوات
سل الثمانين ألفاً، كيف أخرجهم | شعب له فى كتاب المجد أيات
سل الجزائر عن جيش الفرنسى وهل | له من الحرق والتقتيل إفلات

وقـل لسـلوين أو بينـو، إذا خطبـا — والله إنـــك عجـــان ولتـــات

قنتنـا ملكنـا .مـن جـاء يغصـبها — تنـزل عـلى رأسـه منـا المصـيبات

يـا مجلـس الأمـن ،لا نسـمع لقولهمـو — مـا هـذه دول بـل هـم عصـابات

وفي عدد ١١٦٥ بتاريخ ٨/ ١٠ / ١٩٥٦ يقول في قصيدة بعنوان" لا حرب"

لا حـرب حـول قوتنـا ..لا معمعـة — لا صـوت يـزعج سـمعنا ، ى قعقعـة

لا جـيش، لا أسـطول ،لا طيـارة — لا شـيء إلا دوشـة أو جعجعـة

انشـال وانهبـد الفتـوة "إيـدن" — ورمـى جاكتتـه وألقـى القبعـة

وكـأنها التـأميم حمـى سـخنة — رفعـت حرارتـه وهـزت مضـجعه

أو عقـرب حمـراء طـارت نحـوه — ثـم اختفـت في فرشـه كـي تلدعـه

أو بعبـع مـن مصر أرعـش جسـمه — كالطفـل، إن الطفـل يخشـى بعبعـه

فانسـاب محمومـاً وحـار دليلـه — مـا بـين حمقتـه وبـين المرقعـة

# النقل إلى الصعيد في الشعر الحديث

كان الصعيد في الماضي البعيد هو مصر الحقيقية . فقد كان عظماء حكام مصر من أهل النوبة في العصر الفرعوني وما تزال المعابد في أسوان وأبي سمبل والأقصر وسوهاج أدلة شامخة تتحدى الزمن لتثبت أن فجر الحضارة المصرية بزغ من الجنوب . ولما تولى مينا - ابن سوهاج - حكم مصر نقل عاصمة ملكه من طيبة إلى منف ولقب بموحد القطرين .

وعاشت مصر كلها في عهود الرومان والفرس والمسلمين دولة واحدة فلما جاء عصر محمد علي أولى محمد علي اهتماماً واحدا لكل مصر فقد كان حاكماً عبقرياً سابقاً لعصره . ولكن أحفاده فسدوا بعده فساداً كبيراً . وبدأ اهتمامهم ينصب على الشمال - حيث أملاكهم - دون الجنوب فبدأ الصعيد يتدهور شيئاً فشيئاً إلى أن جاءت ثورة يوليو فقضت على البقية الباقية من الصعيد فأنشأت مئات المصانع في القاهرة والإسكندرية ومحافظات الدلتا .

وأنشأت في الصعيد بضعة مصانع للسكر ازدادت معها المساحات المنزرعة قصباً لتشغيل تلك المصانع . والقصب يستمر على الأرض سنة أو سنتين وربما أكثر مما أتاح الفرصة للإجرام وحوادث النهب والسلب والثأر وتجارة السلاح والمخدرات أن تزدهر وتنمو وتؤتي أكلها : دماراً وتخلفاً وجهلاً ومرضاً . ولما جاء السادات إلى الحكم فاقت حدة المشكلة كل احتمال . فقد أنشئت في عهده القليل ( ١١ سنة ) عشر جامعات في الدلتا مقابل نصف جامعة للصعيد كله . وفي عهده بدأت سياسة

الانفتاح الاقتصادي التي ترتب عليها إنشاء مدن عمرانية جديدة مثل السادس من أكتوبر والعاشر من رمضان والخامس عشر من مايو.. إلخ.

واكتظت تلك المدن الجديدة بالمصانع التي أنشأها المستثمرون في إطار سياسة الانفتاح الاقتصادي التي أدت إلى نمو رأس المال الخاص وانقضاضه على الاقتصاد القومي.

وقد ظل الجنوب يزداد فقراً، والشمال يزداد غنى إلى أن جاء حسني مبارك إلى الحكم في أعقاب اغتيال السادات عام ١٩٨١م، فبدأ يلتفت إلى ما حاق بالصعيد من ظلم لا سيما بعد أن تزايدت موجات العنف السياسي في الصعيد تزايداً ملحوظاً ابتداءً من أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات مما جعل نظام الحكم يدرك كمّ المعاناة التي يعيشها الجنوب. فبدأت السياسات التنموية تتجه جنوباً بتوجيه مباشر من الرئيس مبارك فتحسنت البنية الأساسية تحسناً ملحوظاً وإن كان ذلك لم يستطع تعويض مئات السنوات من القهر والإذلال والتجويع والإرهاب الذي مورس ضد الصعيد على مدى القرنين الماضيين أو أكثر منهما قليلاً.

وفي معظم الأحوال كان الفكر الإداري السائد، الذي يدعمه إعلام منحاز فاسد، ينظر إلى الصعيد على أنه جزء دخيل على الوطن وكان نقل الموظف المشاغب إلى الصعيد عقوبة قاسية لا يلقاها إلا ذو حظ كنود.

وأول ما يطالعنا في هذا المضمار قصيدة اشتهرت لحفني ناصف قالها بمناسبة نقله إلى محافظة قنا وبعث بها إلى وزير الحقانية ( العدل ) الذي نقله إلى

قنا استجابة لرغبة اللورد كرومر الذي استفزه تشجيع حفني ناصف لمشروع إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م وما أبداه شاعرنا من حماس تمثل في تبرعه بالمال والتدريس في الجامعة الوليدة التي كانت أمل شعب مصر في إعداد جيل من قادة التحرير والتنوير.

وفي مطلع هذه القصيدة يوجه الشاعر حفني ناصف ساخراً الشكر المزدوج للوزير على هذا النقل الذي رآه ترقية له فيقول :

رقّيتني حسّاً ومعنى فلفضلك الشكر المثنّى

ثم يوازن الشاعر بين الجنوب والشمال، أو بين قنا والقاهرة إن شئت الدقة فيجعل كل عيوب قنا مزايا ومن ذلك تلك الأبيات الشهيرة التي يحفظها أهل قنا حتى الآن :

قالوا شخصت إلى "قنا" يا مرحباً "بقنا" و"إسنا"

قالوا سكنتَ السفح قلـ ـتُ وحبذا بالسفح سكنى

قالوا قنا حَرٌّ فقلـ ـت وهل يُرَدُّ الحُرُّ قِنّا؟

ثم يثني الشاعر خيراً على الحرارة ويرى فيها سر الحياة. فبالحرارة المتولدة عن احتضان الدجاجة بيضها تتولد الحياة في البيض الدافئ. والطيور التي يعضها ألم البرد فتكمن في أعشاشها، تنطلق مغردة مرفرفة مع انتشار الدفء، والأنهار تفيض صيفاً فتغذي النبات والإنسان :

سر الحيـــــاة حـــــرارة     لـــولاه مـــا طـــير تغنـــى
كـــلا ولا زهـــر تبســـ     ـــم لا ولا غصـــن تثنـــى
والحــــي بـــدء حياتـــه     بعـــد التـــزام البـــيض حضـــنا
تتـــدفق الأنهـــار مـــن     حـــر وتزجـــي الـــريح مزنـــا

ثم يصف حفني ناصف حياة المدن الشمالية التي كان يعيش فيها بأنها حياة باردة، يزيد من كآبتها أولئك الصحب الثقلاء الباردون. وما في حياة البرد والرطوبة من انكماش وبحث عن الأغطية والدثور:

هـــا قـــد أمنـــت الـــبرد والـــ     ـــبرداء والقلـــب اطمأنـــا
ووقيـــت أمـــراض الرطـــو     بـــة واســـتراق الـــريح وهنـــا

ثم يصف ما في حياته الجديدة في " قنا " من حرية فه ويلقى الهواء دون خوف من برودة أو رطوبة، ثم إن حياته الاقتصادية ازدهرت فتوفر ماله الذي كان ينفقه في الترف في الشمال:

ألقـــى الهـــواء فـــلا أهـــا     ب لقـــاءه ظهـــراً وبطنـــا
وأنـــام غـــير مـــدثر     شـــيئاً إذا مـــا الليـــل جنـــا
قـــد خفّـــت النفقـــات إذ     لا أشـــتري صـــوفاً وقطنـــا
وفّـــرت مـــن ثمـــن الوقـــو     د النصـــف أو نصـــفاً وثمنـــا
فالشـــمس تكفـــل راحتـــي     فكأنهـــا أمـــي وأحنـــى

يقول الشاعر محمود غنيم [ في كتابه عن حفني ناصف في سلسلة أعلام العرب ] معلقاً على هذه القصيدة إن حفني ناصف قلب مساوئ " قنا " محاسن ومفاتن ، ففيها يرتفع مكانه ، حتى تكون رؤوس حساده أدنى من قدميه ، وفيها يرد ماء النيل صافياً قبل أن تلوثه أفواه الشاربين من أهل القاهرة ، وفيها يتمتع بالجني مبكراً قبل أن يتمتع به القاهريون .

أما حرها اللافح فهو سر الحياة كلها ، وبه أخذ مناعة ضد البرد والرطوبة وما يسببانه من أمراض ، ثم هي مدينة منقطعة ، بيد أن انقطاعها نعمة لا نقمة فهو يحمله على الادخار حيث لا مصارف للنقود ، فضلاً عن أن حرارة جوها أغنته ليلاً عن الغطاء ، ونهاراً عن مضاعفة الكساء ، ووفرت عليه ثمن الوقود وفيم الوقود وماؤها ساخن ، وجوها فرن ؟ ثم لا يضر قنا أنها بلد ريفية لا حاضرة كالقاهرة فهو فيها علم مشهور ، وفي القاهرة نكرة مغمور .. إلى آخر ما أورده مما يدور في هذا الفلك .

إن حفني ناصف في هذه القصيدة سلك سبيل أبي الحسن الأنباري في رثاء أبي طاهر بن بقية الذي قتل مصلوباً ، فاتخذ الشاعر من مظاهر صلبه أسباباً لرفعة شأنه وعلو مكانه :

علـــو في الحيـــاة وفي المـــمات ... لحـــقٌّ أنـــت إحـــدى المعجـــزات

كـأن النـاس حولـك حـين قـاموا ... وفـــود نَـــداك أيـــام الصِّـــلات

كأنـــك قـــائم فـــيهم خطيبـــاً ... وكلهمـــو قيـــام للصـــلاة

إلى آخر ما ورد في هذه القصيدة مما يحبب الصلب إلى الأحياء حتى قيل إن القاتل ود لو كان هو المصلوب . وفاز بهذه القصيدة .

وقد لقيت قصيدة حفني ناصف حظاً واسعاً من الشهرة فعارضها الكثيرون فعندما نقل الشاعر الفكه عبد المجيد طه إلى مدينة " طما " ثم إلى قرية " مشطا " بمحافظة سوهاج قال قصيدة يحتذي فيها قصيدة حفني ناصف وزناً ومعنى إلا أنه غيّر القافية فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى "طما" يا مرحباً "بطما" و"مشطا"

قالوا : أكلتَ المشّ قلتُ وحبذا بالمشّ لهطا

وفي الخمسينيات من هذا القرن أسهمت تلك القصيدة في إحياء فن النقائض في شعرنا المعاصر فقد نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٥٢ م قصيدة للشاعر الباحث الدكتور / محمد رجب البيومي . وكان آنذاك مدرساً بالإسكندرية فنقلوه إلى الصعيد . وقد مهد البيومي لقصيدته بقوله : "يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر . وهذه محاولة نذكر بها الشعراء وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رقّيتني حسّاً ومعنى فلفضلك الشكر المثنى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى وبُعْد الاتجاه "

وفي هذه القصيدة يخاطب البيومي صاحب قرار نقله إلى الصعيد شاكياً معاتباً متظلماً مما لحقه من غبن، ثم يصف الصعيد بأنه سجن لا يمكنه من وصال أحبابه، فيقول:

آذيتنـــــي حسّـــــاً ومعنــــى ... وغبنتنــــي في النـــاس غبنـــا

وشــــفيت مهجـــة حاســـد ... باتـــت تمـــور علـــي ضـــغنا

قـــد كنـــت أعـــلى منـــه مـــر ... تبـــةً فصرت أقـــل شـــأنا

أغشـــى الصـــعيد مروعـــاً ... فـــأجوب بعـــد السـهل حَزْنـــا

بلــــد إذا حلَّـــت بــــه ... قــدماك قلـت : حللـت سـجنا

إن رمـــت وصـــل أحبتـــي ... شـــاهدت دون الوصـــل بونـــا

جهـــد جهيـــد للقطـــا ... ر بُعَيْـــده ســـأمان مُضْـــنى

ثم يوازن بين طلابه الصعايدة الذين يراهم حُشْناً أجلافاً أغبياء وبين طلابه السكندريين في منطقة " الرمل " بالإسكندرية الذين أترفهم النعيم فجعل منهم ناساً رهاف الحس أذكياء العقول فيقول:

أرنـــو لطـــلابي فأبـــ ... ـــصرهم جفـاة الـذوق خشـنا

خبـــت العقـــول كأنهـــا ... شـــمس كســـاها الأفـــق دجنـــا

لا مثـــل إخـــوان لهـــم ... "بالرمـــل" يتقـــدون ذهنـــا

تـــرف الحيـــاة أمـــدهم ... بالـــذوق فاتخـــذوه فنـــا

ثم يناقض البيومي حجج حفني ناصف التي أشرنا إليها سابقاً . تلك الحجج التي أحال بها حفني ناصف عيوب الصعيد مزايا . مثل أهمية الدفء والحرارة في حياة البشر ، وقلة الإنفاق ، وجمال الطبيعة . فيرى البيومي في هذا كله عيوباً لا تطاق . فهو يقول :

| | |
|---|---|
| قـــالوا شخصــت إلى قنـــا | لا مرحبـــا بقنـــا وإســـنا |
| يكســو الهجـير بهـــا الوجــو | ه دجـــىً يحيـــل الحُـــرَّ قِنَّـــا |
| يكفيـــك أن الإنـــس صـــا | روا مـــن ســواد اللــون جنـــا |
| أنـــا لا أريـــد معيشـــة | قـــد بـــدلت طعـــماً ولونـــا |
| قـــالوا : نزلــت الســفح قلـــ | ـت : ومن يطيق السفح سكنى؟ |
| أنـــا لســت ذا غَـــنَمٍ لكـــي | أرعـــى بـــه معـــزاً وضـــأنا |
| قـــد قلّـــت النفقـــات لـــ | ـكن قـلّ جسـمي الهشُّ وزنـا |
| مـــا حيلتـــي إن لم أجـــد | شـــيئاً يبـــاع بهـــا ويُقْنَـــى |
| قـــالوا : اكتنـــزت المـــال إذ | لا تشـــتري صـــوفاً وقطنـــا |
| أيظـــل جســـمي عاريـــاً | بـــين الـــورى ظهـــراً وبطنـــا |
| هـــذا تخـــرص واهـــم | بـــات الـــدليل لديـــه ظنـــا |

فهو لا يريد الحرارة لأن حياته السابقة في الإسكندرية جعلته يأنس بالشتاء وينفر من الحرّ ، وهو في الصعيد لا يرى الشتاء إلا شهراً واحداً ، ثم يستحيل الجو بقية العام حراً قائظاً يزهق الأرواح ، ويبعث الخمول في النفس فيركن الناس إلى

بيوتهم فراراً من الحرّ، ولا يجدي الماء شيئاً في دفع غوائل العطش الذي يفتك بالحلوق، ذلك أن الماء نفسه ساخن لشدة القيظ الذي يرهق الإنسان والحيوان والنبات :

قــالوا الحــرارة في الشـتا ء تنيـل جسـمك مـا تمنـى
تــأتي السريــر بــلا غطـا ءِ إن رأيـت الليـل جنـا
وتبيــت ليلــك آمنـا شر الــبرودة مطمئنــا
قلـت الشـتاء يقـيم شهـراً بـين أظهرنـا ويفنـى
ويطـول قـيظ الصـيف حتـ ـى يزهـق الأرواح منـا
يـوحي الخمـول فكـل جـوّا بٍ تـراه قـد اسـتكنا
تَخِـذَ الهجـيرُ أسـنةً تهـوى فـلا تجـد المجنـا
نـار إذا انقـدت مشـا علها تحيـل الصخر عِهْنَـا
جبـل المقطـم صـارخ يشـكو اللظـى ويئن أنـا
ويـح الحلـوق الظامئـا ت بـأي كارثـة سـتُمْنَى
تـرد الكـؤوس لترتـوي برحيقهـا فتضـن ضـنا
وتطـير صـوب المـاء وهـ ـو مُـثَلَّج فـتراه سُـخْنا
القـيظ ألهبـه فلـم تـبصر بـه للـرِّيِّ معنـى

ثم يصف البيومي آثار ذلك القيظ الشديد على الصعيد وكيف أن جلب الخراب إليه فالصحراء تراها قد لفّها ذلك القيظ ذات اليمين وذات الشمال

ويصف البيومي الصعيد في هذه الحالة فيقول أنك إذا أتيت الحقول التي دائما تعج بالطيور والزهور والأشجار أما هنا في الصعيد فإنك لا ترى في الحقول طيراً ولا زهرا ولا أغصان شجرٍ كل ذلك من آثار ذلك القيظ الشديد والذي يعاني منه كافة الموجودات . فيقول :

جلــب اليَبَــابَ عــلى الصعيـــ ـــد وزاد عنـــه الخـــير غبنـــا

فـــانظر تـــر الصـــحراء قـــد حفَّـــت بـــه يُسْرى ويُمْنـــى

ســـفح مديـــد غـــير أنّـــ ـــك لا تـــرى بالســفح حســنا

تـــأتي الحقـــول الشاســـعا ت فـــلا تـــرى طـــيراً تغنـــى

كـــلا ولا زهـــراً تبســـ م لا ولا غصـــــنا تثنـــى

ثم بعد وصفه ذلك للحقول والصيف في الصعيد ينتقل الشاعر إلى عقد مقارنة من تلك المقارنات التي تكثر في هذه القصيدة ويقارن بين ليله في الصعيد وكيف يقضيه بملل . لأنه لا يجد ما يرفه به عن نفسه من نوادٍ . وبين ليل الإسكندرية الذي يمر كنسيم الليل الندي ويتذكر الإسكندرية فيقول :

إن طـــال لـــيلي لم أجـــد ملهـــى يُتـــيح الأنـــس وَهْنَـــا

أيُّ النـــوادي فيـــه أقـــ ـــضي الوقـــت مبتهجـــاً وأنّـــى ؟

فأبيـــت لا الأحشـــاء هـــا دئـــة ولا الأجفـــان وســـنى

مـــتململاً فـــوق الفِـــرا شِ ، وخـــافقي كَلِـــفٌ مُعَنَّـــى

أتـــذكر الإســـكندرية والـــدمو ع تفـــــيض مزنـــــا

وأصــــبح مشـــــتاقاً كطيـــــــ ـــــر هاجـــه شــــجن فحنّــــا

وفي نهاية القصيدة يوجه كلامه إلى حفني ناصف فيقول له إنك بكلامك عن الصعيد غيرت الحق وأن شعرك هذا كان متجن بوصفه عيوب الصعيد وجعلها مزايا . ويقول له أما أنا فقد صدقت في قولي ونقلت صورةً طبيعية عن حياة المعاناة في الصعيد :

حِفنـــي قلبـــت الحـــق مجـــ ـــترئاً فـــدعنا منـــك دعنـــا

قـــد نـــاح قلبـــك مُغْـــرِلاً لكـــن شـــعرك قـــد تجنـــى

أمـــا أنـــا فصـــدقت فيـــ ـــما قلـــت إحساســـاً ومبنـــى

ثم نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧١٠ بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢م رداً على هذه القصيدة قدمت له بقولها : " كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي في مجلة الثقافة بالعدد ٧٠٧ قصيدة يناقض بها قصيدة المغفور له حفني بك ناصف فكتب الأستاذ الشاعر الأديب محمود محمد بكر هلال قصيدة أخرى يناقض بها قصيدة الأستاذ البيومي . . ونحن ننشرها هنا مضيّاً في هذه المساجلة الأدبية الطريفة . ونستسمح حضرة الأستاذ هلال عذراً إذ رأينا أن نقتطف منها أو نقتطف عنها بعض زوائد رأينا اللياقة تضيق بها . وإن كانت رائعة ناضرة . قال الأستاذ هلال :

" كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي المدرس بأبي تيج الثانوية في مجلة الثقافة العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٤/٧/١٩٥٢ ما يأتي :

" يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر . وهذه محاولة نذكر بها الشعراء . وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رقّيتني حسّاً ومعنى فلفضلك الشكر المثنى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى وبعد الاتجاه "

أورد الأستاذ قصيدة تقارب الخمسين بيتاً . ناقض فيها الأديب الكبير المرحوم حفني ناصف ولقد رأيت فيها تحاملاً على الفقيد من غير حق . وغمزاً لمكانه من غير دليل . ونكراناً للمعروف والجميل فقررت مناقضته فقلت [ والكلام للأستاذ بكر هلال ] على لسان الصعيد :

قرأ الصعيد قصيدة بلقاء من رجل تجنّى

واهتاجه النكران ثـ ـمّ انساب يزجي الرد وزنا

يا منكراً فضلي عليـ ـك ومشبعي ذما وطعنا

ما أنت أول ناكر متقول قلب المجنا

ما كان ضرك لو حفظـ ـت العهد والإحسان عنا؟

قد جاء قبلك ناصف ذَكَرَ الحقيقة مطمئنا

حتى أتيت تذمني يأيها الرجب المُكَنَّى

ويبدأ الشاعر بكر هلال رده وتفنيده لحجج الشاعر رجب البيومي بتضمين بيته الذي استهل به قصيدته وهو قوله :

آذيتنـــــي حســـــاً ومعنـــــى      وغبنتنـــــي في النـــــاس غبنـــــا

ثم يقول لصاحبه إنك أنت الحسود الذي كشفت عن بغضك للصعيد وأهله بلا مسوِّغ . وأنت جئت الصعيد فلم ينقص قدرك ولم يفرح بنقلك إليه حسادك وشانئوك لأن نقلك للصعيد فيه رفع لقدرك لأنك جئت إليه مرقى ترقية وليس مغضوباً عليك فيقول :

آذيتنـــــي حســـــاً ومعنـــــى      وغبنتنـــــي في النـــــاس غبنـــــا
وكشـــــفت بغضـــــة حاســـــد      باتـــــت تمـــــور عـــــلى ضـــــغنا
أنكـــــرت إحســـــاني إليـــــ      ـــك وقـــد همـــى بـــراً وحســـنى
مـــا كنـــت أعـــلى مـــن حسـو      دك رتبـــــة وأجـــــل شـــــأنا
بـــل جئتنـــي فعلـــوت قـــد      راً والمقـــام بـــك اطمأنـــا
أو مـــا كفـــى ذمـــي وآنـــ      ـــي صرت للغربـــاء ســـجنا ؟
حتـــى تـــذم الساكنيـــ      ـــن وتمـــلأ الآفـــاق هجنـــا

ثم يتهم الشاعر صاحبه بأنه ما غضب على الصعيد إلا لأن طلابه قصروا في تغذيته بالجبن والعسل . ويرد على صاحبه موازنته بين طلاب الشمال وطلاب الجنوب . فيرى أن طلاب الصعيد أكثر ذكاء فقد نبغ منهم المشاهير مثل نجيب الهلالي باشا الذي كان وزيراً ورئيس وزارة سابقاً . ومنهم محمد محمود باشا

وسينوت حنا باشا من أبطال ثورة ١٩١٩م ، ويسمي الشاعر من مشاهير الصعيد أيضاً مرتضى المراغي باشا وزير الداخلية نجل الشيخ المراغي رحمه الله ، ويسمي أيضاً سفيراً شهيراً اسمه عمرو فيقول :

هـل قصر الطـلاب حتـى ... لم تـذق عسـلاً وجبنـا؟
ليسـوا وربـك مـثلها ... ترمـي جفـاة الـذوق خشـنا
لكـنّهم نسـل الأبـا ... ة فـلا تـرى خـوراً ووهنـا
لم يعـدهم تـرف الحيـا ... ة تخنُّثـاً تـدعوه فنـا
وعقـولهم أصـفى وأنـ ... ـقى مـا يكـون المـرء ذهنـا
مـن هـؤلاء النـاس "ويصـا" ... ثـم "سـينوت بـن حنـا"
منهم "نجيـب" وابـن "محمـود" ... وخـير النـاس شـأنا
مـنهم سـفير المعـي يـر ... جـح العقـلاء وزنـا
عمـرو الـذي بهـر المهالـك ... ذوقـه حسـاً ومعنـى
و"المـرتضي" شـبل الإمـا ... م ومـن سـما معنـى ومبنـى

ثم يتوجه بكر هلال لصاحبه متسائلاً : إذا كنت لم ترض عن حياتك في الصعيد فلماذا لم ترفض مجيئك إليه من البداية ؟ أولم تكن حياتك في قريتك (الكفر الجديد ) كحياة أهل الصعيد مع المعز والغنم ؟ :

إن كنـت لم تـرض المعيـ ... ـشة بيـنهم عمـلاً وسُـكْنى
لِمَ لَمْ تغـادر أرضـهم ... وتخفـف البلـواء عنـا ؟

غمــط الحقــوق هــو العقــو ق ولــيس هــذا القــول منــا

الســفح خــير مــن ثــرى الــ ــكفر الجديــد ومــا أجنــا

قــد قلــت حقــاً بعــدما ســطرت في النكــران مَيْنــا

[ أنــا لســتُ ذا غــنم لكــي أرعــى بــه معــزاً وضــأنا

قــد قلَّــت النفقــات لــ ــكن قـل جسـمي الهـش وزنـا]

ثم ينعي بكر هلال على صاحبه حديثه عن توفير النفقات في الصعيد . فيرى أن صاحبه بخيل أزرى به البخل . فالنقود حين تدخل جيبه لا تفارقه مرة أخرى

أنَّــى عرفــت الصرف حتــ ــى قلّــت النفقــات أنــى ؟

تجــد الــدراهم بــين كيــ ــسك في الجيــوب لهــا المجنــا

أنــت الحفــيُّ بجمعهــا تلقــى بــك الكَلِــفَ المُعَنّــى

للقــرش عنــدك دولــة تعنــو لهــا قلبــا وعينــا

تــدعو الحيــاةُ إلى الطعــا م أو الكُسَــى فتضــن ضــنا

إن البخيــل يــرى الضرو رة إن دعــت ترفــاً وظنــا

ثم يدافع بكر هلال عن الحرارة مقابل ما في المصايف من برودة فيرى أن الحرارة مع الأصالة خير من لطافة الجو مع التحلل الأخلاقي وما يبدو على المصايف من تبذل وتبرج وعري ، فيقول :

أمــا التشــكي مــن حــرا رات تحيــل الجــو ســخنا

فــانظر ميــامي أو فرنســا والــدنا ركنــا فركنــا

تجـــد الحـــرارة أســـقطت        أثـــمار غصـــن قـــد تحنـــى

والنـــاس قـــد خرجـــوا عـــرا        ة كلهـــم ظهـــراً وبطنـــا

في لنـــدن مهـــد الـــبرو        دة أنَّـــت االأنفـــاس أنَّـــا

والحـــر قـــد كظـــم النفـــو        س فلـــم تجـــد بـــرداً ومزنـــا

وترتفع نبرة الشاعر بكر هلال وتزداد حدته . فيرد على ما جاء في قصيدة صاحبه من معايرة لأهل الصعيد بسواد ألون وجوههم . فيقول : إن اللون الأسود ليس عاراً لصاحبه . ولكنه دليل على نقاء الأصل . وطهر السلالة . وشهادة لأصحابه بأن دماءهم عربية خالصة لم يتسلل إليها دم الغزاة الأوربيين كما هو الحال في شمال البلاد في تلك المدن التي استعمرها الأوربيون عهوداً طويلة :

واللـــون لـــيس بســـبة        تـــزري بنـــا في النـــاس شـــأنا

فهـــي الشـــهادة أننـــا        مـــن نســـل وادٍ مـــا تـــدنى

لم تخـــتلط بـــدمائنا        ألـــوان غـــازٍ قـــد تجنـــى

ويعاتب الشاعر الصعيدي صاحبه ويرميه بالكذب والافتراء حين يدعي أن الصعيد خالٍ من مظاهر الجمال . وينبِّهه إلى جمال الطبيعة في الصعيد من غناء الطير . وانسياب مياه النيل رقراقة صافية . ويقول إن ما رآه صاحبه من كآبة في الصعيد ما هو إلا ترجمة لما في نفسه من مرض وما في قلبه من غرض :

أمحمـــد شـــوهت وجـــــه الحـق بـل وكسـوت دجنـا

[ تـــأتي الحقـــول الشاســـعا        ت فـــلا تـــرى طـــيراً تغنـــى

كــــلا ولا زهـــــراً تبســــ ـــم لا ولا غصـــــناً تثنـــى]

هـــــذي أباطيــــل يـــــرا هــا الحــق عنــد الــوزن عِهْنـا

مـــن قـــال : إن الطــير مـــا وجــدت هنــا حســنا وحزنــا

فتعطلــــــــت لهواتهـــــــا وتقطعـــــــت ألمـــــا وفنَّـــــا

النيـــــل ســـــوَّى بيننــــا وسرى يفـيـض سـنى وحسـنا

ويخـــــط آيــــات الجـــمـا ل وســــحره يسرى ويمنـــى

فهنـــا طيــــور صــــادحا ت تبعـــث اللحـــن المُرنَّـــا

وهنـــا الأزاهـــر باســــما ت تســـتبي عطـــراً ولونــــا

لكنـــــه الــــذوق المريـــــ ـض يحيـل سـهل الأرض حَزْنـا

ويجفـــف البحــــر المحيــــ ـــط ويجعـــل الكتَّـــانَ قطنـــا

وينقلب شاعر الصعيد هاجياً لصاحبه ، فيذكر أنه حين يتباكى على عدم وجود أندية في الصعيد يقضي بها وقته ، فيقول لصاحبه : وأين أنت من الأندية والملاهي ؟ وأمن البخيل النكرة الذي لا يأنس إلا بالركون إلى بيته ؟ ثم يعير شاعر الصعيد صاحبه بأنه من قرية من قرى الشمال ، بل من كفر من كفوره الصغيرة ، فلا حق له بالافتخار بالإسكندرية ، وكان حرياً به أن يتذكر مصاطب قريته النائية أما فخره بالإسكندرية فإنه يذكر الناس بالمثل الشعبي الذي يقول : ( إن الصلعاء [= عديمة الشعر ] تفخر بشَعْر ابنة أختها ) :

مـــاذا ألـــيس هنـــاك مـــا يــــدني لقلبـــك مـــا تـــدنى

[ إن طـــال ليلــك لم تجـــد ملهــى يتــيح الأنــس وهنــا

أي النـــوادي فيـــه تقضــــــي الوقــت مبتهجــاً وأنــى ؟]

عجبــاً فهــل أنــت الــذي يـقضي اللهـي لـو عـاش قرنـا ؟

أو أن أصـــــغر منتـــــدى يــرضى اشـــتراكك مطمئنــا

بــل أنــت مالــك والنـدِيُّ إذا تعــــذّر أو تســـــنى ؟

لم تُلْـــــفَ إلا قابعـــــاً في كسر بيتــــك مســـــتكنا

[ أتـــــذكر الإسكندريــــــة والــدموع تفـيض مزنـا ]

لِمَ لا تحـــــن إلى مصـــــطب كفـركم لتطيـب سـكنى ؟

ذكرتنـــي مَـــثَلاً وخيــــــير القـول مـا يبقـى ويُفْنَى

لمـا خلـت مـن شـعرها وتشـوهت شـكلاً وسـنا

صـــارت بشـــعر قريبـــة تختـــال كالصـــب المعنـــى

وتبيــــت تمتـــدح الـــرؤس وقلبُهـــا بالشـــعر غنَّـــى

هــــذي وربـــك ســـقطة كـــبرى تـــرد الحُـــرَّ قِنّـــا

ثـم يـوازن شـاعر الصعيد بين موقـف البيـومي وموقـف حفـني ناصف مـن الصعيد فيرى في موقـف حفـني إنصافاً وتقديراً وصدقاً ، ويرى في هجـاء البيـومي للصعيد افتراءً وظلماً :

حفنــي شــدا بــالحق معــــترفاً فــدعنا منــك دعنــا

قــد هــش لمــا عينـــوه قاضـــياً بقنـــا وإســـنا

أمـــا خيالــــك فاســـتطا ل وشـــعرك البـــاغي تجنـــى

لمـــا ارتقيـــت مدرســـا أعـــلى وصرت أجـــل شـــأنا

"أبَتِيـــجُ" فـــيما أرتئـــي لا تســـتحق أذى وغبنـــا

فلـــم التقـــول والتطـــا ول ثـــم كنـــتم ثـــم كنـــا ؟

ثم يعود شاعر الصعيد إلى هدوئه فيذكر لصاحبه ما بين الشمال والجنوب من أخوة فالجميع يشربون ماء النيل ويعيشون على أرض الوطن من أقدم العصور أخوة متحابين في السراء والضراء :

أنســـيت أنـــا إِخـــوة لـــولا التفـــرق مـــا وَهَنَّـــا

النيـــل يجمـــع بيننـــا ويوحـــد الأرواح منـــا

فمتـــى نصـــد الطامعيـــ ـــن ونـــدفع الـــدخلاء عنـــا ؟

تلـــك الحقـــائق مـــا عـــدا هـــا في الـــورى يـــبلى ويفنـــى

لـــو صـــانها الكتّـــاب والشـــ ـــعراء في الـــوادي اســـترحنا

## الختام :

وتبقى كلمة نقولها في الختام وهي أن ما ورد في القصيدتين لم يعكس في الحقيقة عداوة حقيقية ، وإنما تعكس روح مودة صافية ربطت بين أدباء جيل الخمسينيات ، وما يزال الشاعران العلامة الدكتور رجب البيومي العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة ، والشاعر الباحث بكر هلال المدرس الأسبق بجامعة

الكويت ، ما يزالان – وهما الآن في الثمانينيات من عمريهما المديدين إن شاء الله – يتبادلان الود والتواصل .

## النقل إلى الصعيد عند طاهر الجبلاوي :

كان بين العقاد والشاعر طاهر الجبلاوي ( ١.١٩٨١ - ١٩١٩م ) صداقة حميمة، وعلاقة أخوية وثيقة ، تجلت أصداؤها في دواوين العقاد ، وفي مذكرات طاهر الجبلاوي التي نشرها بعنوان ( ذكرياتي مع عباس العقاد ) . والتي ذيّلها بصور لمجموعة من الرسائل الشخصية التي كان العقاد أرسلها إليه في المحافظات المختلفة التي كان الجبلاوي يُنقل إليها من حين لآخر في عمله الحكومي وهي (الفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا ) . . ويبدو أنه كان مغضوباً عليه من رؤسائه إذ كان النقل إلى الصعيد في تلك السنين عقوبة من العقوبات التي ما كان أكثر ما توقع الموظفين بعامة والمدرسين بخاصة ، وقد أشار إلى هذا الشاعر حفني ناصف في قصيدته الشهيرة :

قالوا : نُقلتَ إلى قنا ... يا مرحباً بقنا وإسنا

وعارضها الشاعر المعاصر عبد المجيد طه حين نقلوه ، إلى مدينة طما وقرية مشطا بمحافظة سوهاج فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى طما ... يا مرحباً بطما ومشطا

قالوا : أكلتَ المشّ قلتُ ... وحبذا بالمشّ لهطا

ويبدو أن طاهر الجبلاوي كان قد طلب إلى العقاد التوسط له لدى كبار موظفي الوزارة ليعيدوه إلى القاهرة فينعم بمحافلها الأدبية وندواتها الثقافية وأمسياتها الشعرية التي عرفته شاعراً فحلاً في أواسط هذا القرن .

والذي يؤكد أنه طلب إلى العقاد التوسط تلك الأبيات التي أرسلها إليه وهو في أسيوط يقول فيها :

هــــل أنصــــفوا الجبــــلاوي — وهـــو بأســـيوط ثـــاوي ؟
أعـــيش بـــين أنـــــاس — هـــم آيـــة في المســـاوي
مُصـــــبَّحاً ومُمَسَّـــــي — مـــنهم بـــذئب عـــاوي
واللـــؤم والشر فيهـــم — أضـــعاف مـــا قـــال راوي
أنجـــد أخـــاك فإنـــي — عـــلى شـــفير هـــاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [ وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأد ] يقول العقاد .

كلمـــت في النقـــل قومـــاً — مـــنهم رشـــيد وغـــاوي
ومـــنهم مستقيـــــم — فـــيما يقـــول ولاوي
فـــما أفـــادوا بشـــيء — إلا عـــريض الدعـــاوي
فاقعـــد بقـــا واصـــطليها — في الحـــر والحـــر شـــاوي

## اسمها جريدة الكلب ،

## قصة جريدة فكاهية مجهولة!!

يرجع تاريخ الصحافة الفكاهية في الوطن العربى إلى أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد حين صدرت بمصر فى عهد الخديوى إسماعيل مجلة ( أبو نضارة ) التى أصدرها يعقوب صنوع فى سنة ١٨٧٦ وكان اسمها فى البداية ( أبو نضارة زرقاء: جريدة مسليات ومضحكات ) وكان توزيعها يزيد على عشرة آلاف نسخة وهو رقم كبير جداً بمقاييس تلك الأيام.

ثم أصدر عبد الله النديم فى ٦ يونيو سنه ١٨٩١ صحيفة " التنكيت والتبكيت " وهى صحيفة أدبية تهذيبية كانت تتناول النقد بطريقة ساخرة وتضمنت مقالاته بها الدفاع عن الفصحى وبيان أهميتها والدعوة إلى المحافظة عليها وكان يكتبها تحت عنوان " أيها الناطق بالضاد " ولقد استمال أسلوب الجريدة القراء وشد انتباههم وزاد الصحيفة شهرة مخاطبتها للعامة والنزول إلى مستواهم الفكرى.

ومع مطلع القرن العشرين صدرت مجلات وصحف فكاهية أخذت تتكاثر شيئاً فشيئاً واستقطبت أقلام مشاهير الأدباء وفى مقدمتهم بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى وغيرهما ممن اتخذوا الطابع الفكاهى علامة مميزة لأسلوبهم فى مخاطبة القارئ.

وتوالى صدور المجلات الفكاهية فصدرت ( حمارة منيتى ) لصاحبها محمد توفيق سنه ١٩٠٠م وكانت سياسية فكاهية. وفى سنه ١٩٠٧ أصدر أحمد حافظ عوض مجلة ( خيال الظل* وأدخل فيها الصور الكاريكاتورية ناقدة للحكومة والحكام. وتتعاقب المجلات الفكاهية فتصدر مجلة (السيف ) ثم السيف والمسامير " لتبرع فيما يطلقون عليه " القفشات " حول السياسة والحكم والمجتمع وبعض الشخصيات البارزة وقتذاك، وقد أصدرها حسين على وأحمد عباس.

ثم صدرت أشهر المجلات الفكاهية وهى مجلة " الكشكول " التى ظهرت سنة ١٩٢١ لصاحبها سليمان فوزى. وقد اهتمت بالفكاهة السياسية .. ولقد وقفت لحزب الوفد بالمرصاد تهاجم الزعيم سعد زغلول وتنقد سياسة الوفد بالصور الكاريكاتورية والمقالات والمقامات.

ويقول الأستاذ عبد الله أحمد عبد الله المؤرخ الفنى المعروف بـ "ميكى ماوس" متحدثاً عن مجلات (البغبغان- السيف- الناس- المسامير): " أنها كلها كان يحررها الأستاذ حسين شفيق المصرى وبسعفه طاقته النادرة فى الإصحاف بالقلم على تحرير ١٦ صفحة واسعة الجنبات أسبوعياً وأذكر أن موادها كانت تدور حول ( حديث أم إسماعيل ) - ( حديث الحاج سيد)- (القهوة البلدى ) (المشعلقات )-وكلها كانت أبواباً ناجحة فى وقتها، وانتقلت معه إلى المطرقة حين تولى تحريرها بعد هذه الصحف الأربع بعام أو أكثر ولقد توارثنا نحن الجيل التالى له بعض هذه الأبواب حين عملنا فى الصحافة الفكاهية وان كنا طورناها أسلوبا ومضموناً بما يلائم إيقاع العصر".

وفى عام ١٩٢٨ أصدر الأستاذ بديع خيرى مجلة فكاهية باسم (١٠٠٠ صنف) أسبوعية من القطع المتوسط فى ٢٤ صفحة. تميزت بأبيات زجلية ثابتة على غلاف كل عدد . وفى عهد صدقى باشا عندما كان رئيساً للوزراء عام ١٩٣٠ صدرت مجلة (المطرقة) مجلة فكاهية أسبوعية من القطع الطويل فى ١ أو ١٠ أو ١٢ صفحة أحياناً بخمسة مليمات لساناً شعبياً لحزب الوفد المعارض . تنشر الفكاهات والأزجال والمواد الأخرى تسخر بها من صدقى باشا وحكومته وتهلل للوفد والنحاس باشا وكان الرأى العام يتجاوب مع هذه السياسة ويرى فى المطرقة لسانه الساخر الظريف الذى يشبع رغبته فى الانتقام من عهد صدقى باشا.

فإذا انتقلنا من مصر إلى الشام وجدنا جريدة ( العرفان ) التى كانت تصدر فى صيدا لمؤسسها أحمد عارف الزين، وجريدة ( الخازوق ) التى أصدرها أيام الانتداب الفرنسى الشاعر المهندس فؤاد جرداق شفيق الشاعر جورج جرداق مؤلف قصيدة " هذه ليلتى " التى غنتها السيدة أم كلثوم.

وكانت " الخازوق " تستخدم التورية للتحريض بالمحتلين الغرباء ومن أمثلة ذلك قولها:

" علمنا بكل سرور أن صاحبة العصمة عقيلة المفوض السامى الفرنسى قد عادت من فرنسا إلى بيروت ، بعدما فرغت من زيارتها إلى الديار الفرنسية و" الخازوق " يرحب بقدوم صاحبة العصمة أجمل ترحيب"

## قصة جريدة الكلب،

غير أن جريدة " الكلب " التى أصدرها فى دمشق الأديب صدقى إسماعيل تفردت بين جميع الصحف والمجلات الفكاهية على امتداد الزمان والمكان العربيين بعدة أشياء :

أولها: أنها صدرت بدون ترخيص فقد بدأ صاحبها يخطها بخط يده من الألف إلى الياء هو جالس على المقهى ثم يوزعها على أصدقائه دون ثمن ودون اشتراكات.

ثانيها: أن جميع موضوعاتها تصاغ شعرا ، وقد ضمت موضوعاتها كل الفنون الصحفية شعرا عربيا موزونا فتقرأ فيها ( المقال الافتتاحى - المانشيت المقال الرئيسى - الطقس - كلمة العدد - مقال فى السياسة الدولية - مقال فى السياسة الداخلية - يوميات رئيس التحرير - صورة العدد - الإعلانات... وغير ذلك )

ثالثها: أن تلك الصحيفة التى التزمت الشعر وسيلة للتعبير وطوعته ليكون وعاء لكل المواد الصحفية باقتدار بارع. لم تخرج عن حدود الأوزان التقليدية القديمة. بل وأكثر من ذلك كانت تميل إلى السخرية من الشعر الحديث وتتندر به.

وقد جمعت أعداد " الكلب " وصدرت مطبوعة طبعة فخمة ضخمة عن مطابع الإدارة السياسية فى دمشق مصحوبة بتقديم واف كتبه الشاعر الكبير سليمان العيسى.

وكان الشاعر سليمان العيسى فيما يبدو صديقاً لصاحب " الكلب " المرحوم صدقى إسماعيل. فنحن نجد فى ديوانه " الديوان الضاحك " قصيدة بعنوان " كنا فى هلسنكى " يبدو منها أن سليمان العيسى كان عضواً فى مؤتمر السلم العلمى الذى انعقد فى هلسنكى عاصمة فنلندا فى أواسط الستينيات فبعث بقصيدته تلك إلى جريدة " الكلب " باعتباره مندوباً لها فى المؤتمر ولكن الشاعر يقول فى مقدمة قصيدته وفى ثناياها أنه مندوب جريدة (ابن الكلب) بمقدمة تقول:

نحـــن فى منتصـــف الليـــل هنـــا     وضـــياء الشـــمس فى كـــل مكـــان

نحـــن عنـــد القطـــب لايفصـــلنا     عنـــه فى الواقـــع إلا فشـــختان

إن فنلنـــــدا بـــــلاد حلـــــوة     وكثـــيرات بفنـــلندا الحســـان

ثم تقدم القصيدة عدة لقطات للمؤتمر كتغطية صحفية شعرية لوقائعه وفعالياته فتقول بعض مقاطعها:

جـاءت " ابـن الكلـب " مـن سـورية     كســـواها لحضـــور المهرجـــان

أصـــدقاء الســـلم قـــد حلـــوا هنـــا     مـن أقـاصى الصـين حتى ميشـغان

رأى عام :

أمريكـــا بنـــت كلـــب هكـــذا     أجمـــع الـــرأى ووافقنـــا كـــهان

شردتنـــــا وأقامـــــت دولـــــة     فى أراضـــينا كـــرأس الأفعـــوان

هـــــذه قصـــــتنا مـــــوجزة     تـؤثر "ابـن كلـب" إيجـاز البيـان

في السياسة الدولية:

وخنــاق الصــين يبــدو حاميــاً     مــع موسـكو كـل يـوم طوشـتان
وقفـــت ألبانيـــا بيـــنهما     تتحـــدى فرمتهـــا لكزتـــان

دور مندوب جريدة ابن الكلب:

في مجـال الفكــر كانــت لجنتــي     هــا هنــا يبلــغ مــترين اللســان
كلهـــم شـــمر عـــن ســـاعده     ولـــد يباجتـــه أرخـــى العنـــان

وتمضى القصيدة التى كتبها سليمان العيسى لتتحدث عن جو السلم ومواقف مندوبى الدول المختلفة وما أقيم على هامش الندوات من أنشطة ترفيهية والجو الذى تنوولت وجبات الطعام والشراب.

ونعود إلى جريدة الكلب فنختار النماذج التالية مما نشر فى العدد ١٠٦ تشرين الثانى سنة ١٩٧١ م لنقرأ الركن الأدبى من هذا العدد فنجد فيه موضوعاً عن النقد الأدبى يتناول بالسخرية شعراء تلك المرحلة ممن عنوا بالتنظير أكثر من عنايتهم بالإبداع تقول "الكلب" فى ذلك العدد :

## النقد الأدبى : الشعراء

سبحان من بذر المواهب فى الرؤوس من الولادة

ومن النباهة والغباء المحض .. لم يحرم عباده

وأتى الى الشعراء يخلع عنهم صفة البلادة

فرآهم جيلا فجيلا يجنحون إلى الزيادة

مثل الجراد تكاثرا فكأنما تزنى الجرادة

حسب الدياليكتيك أكثرهم أقلهم إجادة

أذكاهم فى غير كسر النحو لم يخدم بلاده

أو فى البذاءة لفظها قد صار فى التجديد عادة

والمفردات لديه من رحم الضياع إلى الوسادة

للفن محراب ولكن حولوه إلى عبادة

ومن العدد ٦٢ الصادر فى ١٩٦٥/٦/٢٠ نختار ما يلى:

**شعار العدد:**

جريـــدة شـــعرية الأغـــراض ... ولـــيس فيهـــا أى ســـطر فـــاض

شـــعارها متانـــة القـــوافى ... وحفظكـم مـن وصـمة الإسـفاف

فى الشـــعر والفـــن وفى السياســـة ... مـن دونهـا سـوف تضـيع الطاسـة

المقال الافتتاحى "الامتحان":

يكـــرم الإنســـان دومـــا أو يهـــان ... عنـــدما يـــأتى أوان الامتحـــان

مثـــل صـــار قـــديما حكمـــة ... لم تـزل تـروى عـلى مـر الزمـان

لـيس مـن أجـل التلاميـذ فقـط ... إنـــما تعنـــى فلانـــا وفـــلان

كلهـــم يـــنجح فى شـــئ وفى ... آخـــر الأشـــياء يكبـــو ويـــدان

طالـــب يســـقط فى الفحـــص وقـــد ... كـــان فى الشـــارع أذكـــى دنجـــوان

وفتـــاة نجحـــت فى ثوبهـــا ... حـــاسرا تظهـــر منـــه الركبتـــان

ثـم صـارت زوجـة وامتحنـت ... فهـوت لم تجـد فيهـا الـدورتان

وفتـاة تبهـر العـين بهـا ... قَصَّـة الشَّـعْر وتخضـيب البنـان

وإذا حادثتهـا ألفيتهـا ... عقلهـا فى نصـف حجـم الكشـتبان

ووزيـر نـاجح فى طقمـه ... فى الاتيكيـت وفى الحكْـي كـمان

وتـراه غـير مـاشٍ حالـه ... فى شـؤون الحكـم ، للحكـم أوان

والحكومـات لهـا فحـص إذا ... أعلنـت خطتهـا ضـمن بيـان

بعضـها يسـقط قوميـاً، وفى ... درس "إسرائيـل" فى السـقطة شـان

والتـى تسـقط ثوريـا وفى الـ ... ـعدد القـادم تحديـد المكـان

ومن العدد ١٠٤ الصادر عام ١٩٧٠:

**شعار العدد:**

جريدة بالفعل جد راقية

رفاقها راحوا وظلت باقية

كالريح كانوا وهى مثل الساقية

لأننا نصدرها بالقافية

**إعلان رسمى:**

شـخص هنـا أعلـن عـن نفسـه ... فصـار فى مـدة شـهر وزيـرا

وأنـت قلـده وكـن مثلـه ... تجـد علـى بابـك حـالا خفـيرا

## طلب انتساب

منصور الرحباني يتقدم بطلب انتساب إلى أسرة "الكلب":

| | |
|---|---|
| تقـــدم منصـــور يريـــد انتســـابه | إلى "الكلب" عضوا فى جريدتنا الغرا |
| ونفحص صوت العضو قبل دخوله | فـان لم يكـن حلـو النبـاح بقـى بـرا |

من "ابن الكلب" إلى منصور الحباني بمناسبة تقاعسه عن أداء واجبه الصحفي بوصفه مراسل الجريدة فى بيروت:

| | |
|---|---|
| إلى مراســــلنا فى أرض لبنـــــان | وعضـو أسرتنـا منصـور رحبـانى |
| جريـدة "الكلـب" فى الفيحـاء عاتبـة | عـلى تقاعســه قــد مــر شــهران |
| إنـــا قبلنـــاك عضـــوا فى جريـــدتنا | لكـى ببـيروت تغـدو صـوتها الثـانى |
| مجىء "كـي" قبـل بـيروت هنـا لغـة | سـعيد عقـل بهـذا النسـيج أوصـانى |
| منصـــور لا تتكاســـل إن أسرتنـــا | بنـت الكفـاح تعـادى كـل كسـلان |
| نبـاح حضرتكـم - نعنـى نشـاطكم | لـه عـلى الصـفحة الأولى عمـودان |
| اكتـب لنـا، ولـتكن شـعرا رسـائلكم | فكـــل أبنائنــــا شـــعر بـــأوزان |
| ابـــدأ بأخبـــار أهـــل الفـــن إنهـــم | فى رأينــا واحـــد يســوى أو اثنــان |
| مــا كــل مــن دق طنبـورا غـدا عَلَـماً | فيــه ولا ولا كـــل نـــواح بفنــان |
| للكلـــب رأى ورأى الكلـــب محـــترم | فى الـعصر سـيد درويـش ورحبـانى |
| أمـــا البقيـــة فـــالرحمن يكلـــؤهم | قـــد بهـــدلونا زرافـــات كوحـــدان |
| نــور صــحيفتك الغــراء واحـكِ لنــا | عـــن السياســـة برانـــى وجـــوانى |

غـــدا سيصـــدر ممتـــازا لنـــا عـــدد ولا لـــــزوم لتفصـــــيل وتبيـــــان

لقد تـوفى صدقي إسماعيـل فـى يوليـو ١٩٧٢ وبوفاتـه توقفـت جريدتـه عـن الصدور مع أنهـا بقيـت فـى الصـدور كمـا يقـول الشـاعر سليمان العيسى فى تقديمه للمجلد الذى ضـم أعدادها والذى أضـاف إلى تراثنا الفكاهي ثروة هائلة ما أجدرها بالدراسة والإنصاف.

# الفكاهة في شعر طاهر أبو فاشا

في عام ١٩٨٩م. رحل عن عالمنا شيخنا وصديقنا آخر ظرفاء العصر من جيل شعراء أبوللو وهو الشاعر طاهر أبو فاشا رحمه الله . وقد كانت البسمة والدعابة صفتين ملازمتين له لا تفارقانه . وكنا نسمع منه في أخريات حياته عبارة يرددها كثيراً . وهي أنه أنفق عمره كله في الهواء . يشير بذلك إلى أربعين عاماً قضاها في العمل بالإذاعة . فقد كتب مئات الحلقات من مسلسله الإذاعي الشهير ( ألف ليلة وليلة ) فضلاً عن عشرات الأغنيات والأوبريتات والبرامج .

ويبدو أنه ندم على ذلك الوقت الطويل الذي لو كان استثمره في التأليف المطبوع لكان أبقى أثراً وأطول عمراً . وبخاصة أنه كان راوية وحافظاً وهاضماً لتراثنا الأدبي بعصوره المختلفة . وكان ذا ولع خاص بأخبار الظِّراف والمتماجنين من الشعراء مما يدل على تلاقي روحه بأرواحهم على طول العهد . برغم أنه كان طاهر السلوك وكان من لوازمه الفكهة إذا وقف متحدثاً أو خطيباً أن ينهي كلامه بهذه العبارة الظريفة : " مع تحيات أخيكم الذي قال للخَنَا : حاشا . طاهر أبو فاشا " .

والفكاهة في شعر طاهر أبو فاشا متنوعة . منها ما يقوم على السخرية بظاهرة اجتماعية . ومنها ما يقوم على السخرية من أفراد بأعيانهم . ومنها ما يمثل نقداً لأوضاع مستهجنة . فمن ذلك قصيدته التي أسماها ( الحجاب ) وألقاها في مناظرة أقيمت حول موضوع ( السفور والحجاب ) وقد كانت المناظرات علامة

مميزة في حياتنا الأدبية في مصر في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين وتعتمد المناظرة على قطبين كبيرين من أعلام المفكرين أو الكتاب أو الصحفيين يتبنى كل منهما أحد جانبي المناظرة ويدافع عنه . وتكون مهمة الآخر تفنيد آراء صاحبه ومحاولة إقناع الجمهور بالرأي الآخر . ومن أشهر تلك المناظرات تلك المناظرة التي أقيمت حول " العلم والأدب وأيهما أنفع للناس ؟ " وكان الذي يدافع عن أهمية العلم في حياة الناي عميد الأدب العربي الراحل د.طه حسين ، وكان الذي يقلل من قيمة العلم ويدافع عن أهمية الأدب العالم الراحل الكبير الدكتور علي مصطفى مشرفة . وقد أبلى كل منهما بلاءً حسناً فيما عهد إليه به .

والقصيدة التي نحن بصددها تبنى فيها أبو فاشا الدفاع عن الحجاب وأيد دفاعه بحجج كثيرة منها ما لبس ثوب الفكاهة فهو يتساءل هل يأتي يوم تنقلب فيه كل الأوضاع وترأس المرأة فيه الرجال ؟ .

وتتولى جلائل الأعمال . فهذه امرأة تؤم المصلين في المساجد . وهذه امرأة تلعب المصارعة . وهؤلاء نسوة يعملن في دواوين الحكومة ويتركن أطفالهن في بيوتهن ويربينهم من خلال المكالمات الهاتفية !! :

| | |
|---|---|
| يـــا مصر مالـــــك تنـــــدبين | هيجـــت لي الشـــجن الكمـــين |
| تبكـــين حظـــك في الشـــبا | ب وأنـــــت أم العـــــالمين ؟! |
| ويـــح الكنانـــة مـــن بنيـــ | ــــها أنهـــم بـــئس البنـــون |
| عكفـــوا عـــلى التقليـــد لا | متـــــــورعين مفكــــــــرين |

ربـــــاه إن القـــــوم قــــد ... ســـــفهوا وبــــاءوا خــــاسرين

قــد ضــيعوا مجــد الجــدود ... وأخلفـــــوا أمــــل البنـــين

وإذا أضـــــاعوا الخالــــدا ... ت فــــما عســـاهم يحفظـــون

فـــدعوا إلى نبـــذ الحجـــا ... ب وشـــوهوا خلـــق اليقـــين

وتغمطــــوا نـــور الهــــدا ... يــــة وازدروا الحـــق المبـــين

فســطت ذئـــاب الغـــي تعـــ ... ـــبث بالفضــــيلة في العـــرين

يـــا قـــوم مرحمـــة بمصـــ ... ـــصر فـإن مصر عــلى شـــجون

مســـخت يـــد التقليـــد مـــا ... زانــــت يـــد البلـــد الأمـــين

هــدمت مســاحي الجهــل مـــا ... شــــادت عقــــول المصـــلحين

حتـــى إذا اشـــتد الأســـى ... وســـجت خطـــوب المفســـدين

طعنــــت شـــبا التقليـــد مـــا ... نعتـــز مـــن وطـــن وديـــن

وتستمر تساؤلات الشاعر الساخرة وتتمادى خيالاته إلى اليوم الذي يرى فيه الرجال يطبخون في المطابخ ويكنسون المنازل ويلبسون البراقع والحجاب، في حين تخرج النساء سافرات أو متطربشات.

فـــترى الحمــــير الناطقــــا ... ت عـــلى متـــون العـــاملين!!

وتـــرى النســـاء النـــاعما ... ت بكــل "شـــغل" يرتضـــين

هــــذي إمــــام في المســــا ... جــــد تنصـــح المتهتكـــين

والقـــوم بـــالطرف الكحيـــ ـــل عـــن النصـــيحة ذاهلـــون

هـــذا : وتلـــك مصـــارعٌ بطـــل كـــرأي الحـــاكمين

إن رجرجـــــت أكفالهـــــا قـــالوا لهـــا عضـــل متـــين

فـــترى الأنوثـــة قـــد أشـــا حـــت وجههـــا في أي هـــون

وتـــرى النســـاء عـــلى المكـــا تـــب عـــاملات في مجـــون

فـــإذا بكـــت أطفالهـــا طلبـــــتهمُ " بـــــالتليفون "

في حــــال أن ذوي الشـــوا رب في الأزقـــــة عـــــاطلون

يـــا ليـــت شـــعري هـــل تسـو د المرهفـــــات اللاعبـــين

فـــترى الرجـــال بكـــل بيـــ ـــت طـــابخين وكانســـين

وتـــرى النســـاء مطربشـــا ت والرجـــــال مبرقعـــين

ويـــح الكنانـــة مـــن بنيـــ ـــهاً إنهـــم بـــئس البنـــون

بـــالله يـــا أرض ابلعيـــ ـــهم إنهـــم لا يعقلـــون

بـــالله يـــا شـــهب ارجميـــ ـــهم إنهـــم لا يفقهـــون

وتبلغ السخرية عند طاهر أبو فاشا ذروة روعتها في قصيدته ( أديب ) التي يتناول فيها بالتهكم اللاذع واحداً من أدعياء الأدب والفلسفة فيسأله أسئلة مفحمة تذكرنا بتلك الأسئلة التي وجهها الجاحظ إلى صديقه " أحمد بن المدبر " في رسالته

الشهيرة ( التربيع والتدوير ) ويعتذر أبو فاشا للأديب المغرور مقدماً عما قد يقع فيه من خطأ وهو يوجه أسئلة :

نديد " أرسطو " ضريب "هوميرو " أجبني فمثلك ما أجدره

وإن أنا لم أحسن السؤل لكنْ مثلك من يقبل المعذره

رويدك حدث فمنك الحديث على ما رأيت ، وما لم تره

فداؤك باقل ماذا رأيت " بأبجد " من معضل لم نره ؟

أفي العلم أن " الفطير " لذيذ ؟؟ وماذا ترى في " رغيف " الذرة ؟!

مسائل حيرت الباحثين وأعيت عقول ذوي المقدرة !!

ويصور أبو فاشا صاحبه على حقيقته فهو يسأله لماذا تتعاظم إذا كنت في موقف تافه . وتتصاغر وأنت بين العظماء حتى كأنك كرة صغيرة ؟ ولماذا تنفتح كالأسد إذا أحسست بالأمان فإذا جد الجد صرت كالدجاج الرعديد ؟ :

سألتك لم أنت بين السفاسف ثبت وبين العظام كرة ؟؟

أيوم النزال ترى كالدجاج ويوم الأمان ترى قسورة ؟؟

إذا الديك صاح على ربوة تأمله يوماً على مجزرة !!

ومن أشهر قصائد أبو فاشا قصيدته ( رجعة إلى مويس ) ومويس هذا نُهير يمر بمدينة الزقازيق . كانت للشاعر على ضفافه ذكريات أيام الشباب حين كان طالباً يدرس بمعهد الزقازيق الديني الأزهري في أواخر عشرينيات القرن العشرين .

وقد نظم أبو فاشا هذه القصيدة في سنوات عمره الأخيرة حين مرّ على هذا النهر في إحدى سفرياته فجاشت نفسه بذكريات الشباب فتحدث عن هذا النهر حديث المحب الواله :

وصل الرَّكبُ يا نديم فهاتِ هذه رملتي وتلك رباتي

الرياض اللفاء والرفرف الخضر ومغني الصبا وملهى اللداتِ

ومغاني عمّاتك النخل فرعاء صموتاً كعهدها قائماتِ

ومويس السكران راوية الحب وساقي لحونه الشملاتِ

معبد الراهب الخليع بساطٌ للندامى وموعدٌ للغواةِ

خطر الفنُّ حوله فجثا يستغفر الحسن والعيون اللواتي

وعلى صدره بغام حنين ، وعلى شطّه عرام سقاة

أنا أيضاً من السقاة ولي في ذلك الشطّ قصتي ورواتي

فوق هذا الثرى سكبْتُ من العمر سنيناً عصرتها من حياتي

وعلى هذه الرمال تناولت كتاب المأساة والمسلاةِ

ثم يتذكر الشاعر أيام طلب العلم في شبابه بما فيها من حلو ومر ، فهو يتذكر شموخ المعهد الديني وأساتذته العظماء الكبار الزاهدين الثقات . ثم يتذكر أحد رفاقه الذي كان ثقيل الظل كأنه هامش من تلك الهوامش التي تثقل على قارئ الكتب ، وكان من لوازم رفيقه ذاك إذا تكلم أن يثور ويتصايح وينفعل ويجادل جدالاً عقيماً وتكثر حروف القاف في كلامه :

يـا سـقي الله بالزقـازيق أيـام صـبايَ النـواضر العطـراتِ

وسـنيناً كأنهـا طرفـة العـين خفافـاً مـرزْن كاللحظـاتِ

يسترقن الخطى إلى شاطئ النسيان في موكب رهيب الصماتِ

من ترى أيقظ الخواطر حولي وأثار المطوِيَّ من صفحاتي

وأعـاد الأيـام والمعهـد السـامق مسروج بـالنجوم الهـداةِ

الفحـول الأعـلام أمثلـة الزهـد وشـيخانه العـدول الثقـاتِ

ورفيـق كأنـه هـامش الشرح إذا صـات يمضـغُ القافـاتِ

حنْـبليٌّ كأنـه الجمـل الأورق صـخَّابة كثـير اللُّتـاتِ

وكـان طعـام طـلاب الأزهـر آنـذاك - وكـانوا يلقبـون بالمجـاورين - مضـرب المثـل في الـرداءة والحطـة . فكـان الريفيـون مـنهم يـأتون معهـم مـن الريـف بـالمش ويضيفون إليه الشطة الكمون والفلفل الأسود والخل . ويضربون هذا الخليط حتى يسمك قوامه فيجعلونه إداماً لهم . وكان أبو فاشا رحمه اللّه يحدثنا عن هذا الخليط العجيب الحارق ويسميه ( بغيره ) إشارة إلى قول الشاعر :

ومن لم يمت بالسيوف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحدُ

وهو في قصيدته السابقة لا يفوتـه أن يـذكر لنـا كيـف هـذا الطعـام النضـيج المفلفل يسحر المجـاورين فيتنـاولون ويتصـايحون إذا مدت المائدة ويتركـون المتـون والحواشي وينهالون على طعامهم ذاك فيلتهمون التهاماً :

ونضيج مفلفل لاذع الطعمة يشوي أصابعي ولهاتي

هو زاد المسافرين بلا زادٍ وقوتُ المحتاج للأقواتِ

يتصّبى المجاورين فننقض عليه كالفاتحين الغزاةِ

اتْرُكِ المتن واطو حاشية السعد وأدرك شيخون قبل الفواتِ

أنا من مازنٍ ومازن مني والليالي القمراء من صدحاتي

# الفكاهة في شعر حفني ناصف

حفني ناصف (١٨٥٥-١٩١٩م) واحد من أهم الشعراء الذين عاشوا بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. وإن لم يكن ما ناله من الشهرة مساوياً لما ناله معاصروه كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

ولعل لهذا الوضع أسباباً كثيرة نذكر منها :

- توزع اهتمامات حفني ناصف، فقد كان عالماً بحاثة ولم يكن الشعر أكبر همه ولا مبلغ علمه.
- أنه اشتغل بالتدريس وبالقضاء وبالشأن العام مما جار على وقت الإبداع الشعري عنده.
- أنه لم يكن يهتم بأشعاره، بل إنه لم يصدر ديواناً واحداً في حياته ولولا أن قيض الله تعالى لهذا الأمر ابنه عصام الدين فجمع تراثه وطبعه في ديوان لفقدنا كل أشعاره.
- أن وفاته يوم ٢٥ فبراير ١٩١٩ قبل أيام من اندلاع ثورة ١٩١٩ وما ترتب على تلك الثورة من أحداث سياسية أسهمت -ولو بصورة غير مباشرة- في الانصراف عمن توفوا في خضم تلك الثورة مثل حفني ناصف ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي قال شوقي يرثيه :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك في عصف الرياح الناعي

من مات في فزع القيامة لم جد قدماً تُشيّع أو حفاوة ساع

لقد ترك حفني ناصف ما يقرب من خمسة وعشرين كتاباً وبحثاً، وهذا نتاج علمي ضخم بالقياس إلى ما عُرف عنه من جهد في إعداد القضايا والأحكام التي أصدرها خلال مرحلة عمله بالقضاء، وبالقياس إلى ما عُرف عنه من اهتمام بالرياضة البدنية والرحلات والموسيقا وهذه مجالات لا يعرف لمعاصريه كشوقي وحافظ اهتمام بها.

ووصفه معاصروه بما يليق بمكانته، وبما يعكس شخصيته الفذة المتميزة فقال عنه طه حسين الذي تتلمذ على يديه في الجامعة المصرية في بدء نشاطها "كان ذكيي القلب، خصب الذهن، نافذ البصيرة، حاضر البديهة، سريع الخاطر، ذرب اللسان، وكان من أسمح الناس طبعاً وأسمجهم خلقاً، وأرجحهم حلماً، وأعذبهم روحاً، وأرقهم شمائل، وكان يلقاك فتأنس إلى محضره، ويغيب عنك فتشتاق إلى لقائه...." كما امتدحه العقاد وأحمد الأسكندري وغيرهما مما لامجال للتوسع فيه هنا.

ولكن الشئ الذي تفرد به حفني ناصف بين معاصريه هو ولعه الشديد بالدعابة والمزاح غير المبتذل. وله في هذا المجال "ما يكفي لتأليف كتاب" كما يقول الشاعر محمود غنيم في كتابه عن حفني ناصف.

فمن مداعباته الشعرية أنه كان ذات ليلة يسهر في أحد الأندية فجاء إليه رجل يعرفه ودفع إليه رقعة من الورق فيها بيتان من الشعر يستدر فيهما عطف حفني بك عليه وهما:

جـارت عـليّ الليـالي في تصرفهـا وأغرقتنـي في لُـجٍّ مـن المحـن

فيا عميـد القـوافي أنـت معتصـمي أَقِلْ عِثاري وأنقذني من الـزمن

فكتب حفني ناصف على الورقة ارتجالا وقدمها للرجل:

يكـاد شـعرك يُبكينـي ويُضـحكني ولم أزلْ ساخراً مـن ظنـك الحَسَـنِ

فاقبـل عطـائي بـلا شـكرٍ ولا غضـبٍ فليس– والله –في جيبي سوى "شِلنِ"

فهو في هذين البيتين المرتجلين استخدم لفظاً أجنبياً وهو (الشلن) ويطلق في مصر على العملة المعدنية ذات القروش الخمسة ، لكن الكلمة بنفسها ( شلن ) وحدة عملة أوربية.

وفي مناسبة أخرى استخدم حفني ناصف مفردة أوربية هي كلمة ( مرسي mercy ) التي تعني شكراً باللغة الفرنسية وهي لفظة كانت وما تزال شائعة على ألسنة العوام في مصر، فقال حفني ناصف يحض على العمل الجاد، وعدم بخس الناس حقوقهم:

بربك هل ترى في الكسب عارا وكيف وفي التكسب طيب نفسٍ؟

فـلا تكثـر بشـكرك لي، فخـير لـديَّ: دريهـمٌ من قول " مِرْسِي"!

ومن سرعة بديهته، قدرته على توظيف الألفاظ والأسماء الحديثة في أداء المعنى، كما رأينا في النموذجين السابقين.

وذات مرة كان في مصر مسؤولان كبيران في السفارة البريطانية اسم أحدهما (جِبس) واسم الآخر (جير)، والجبس والجير من مواد البناء التي يستخدمها البناؤون فقال حفني ناصف معرّضاً بهذين المسؤولين الكبيرين:

لِمصرَ بئس المصيرُ العيش فيها مريرُ
والقوم طينٌ، لهذا: قد ساد "جبسٌ وجيرُ" !!

ومما تميز به حفني ناصف أنه لم يورث أبناءه ثروة ولا أملاكاً، وهو القائل

أتقضي معي إن حان حيْني تجاربي وما خُلقت إلا بطول عَناء ؟
إذا ورَّث الجُهَّال أبناءَهم غنىً وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء !

ولكنه حرص كل الحرص على أن يغرس في أبنائه روح الاعتماد على النفس ليكونوا مثله عصاميين مجاهدين في الحياة. فقد أسمى أول ابن ولد له "عصام الدين" فلما مات طفلاً ورزقه الله غيره. سمى المولد الثاني "عصام الدين" إصراراً منه على غرس قيمة "العصامية" في نفوس أبنائه. وكان هذا يقتضيه أن يعاملهم كما يعامل تلاميذه معاملة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فقد كان الإمام. وكذلك كان حفني ناصف. يقرب طلابه إليه حد تبادل المزاح والنكات والأحاديث والآراء في حدود الوقار المطلوب. ومقدمة طه حسين لديوانه تعرض لهذا الجانب بالتفصيل الرائع والتحليل الممتع.

وذات مرة كتب إلى ابنه مجد الدين من على ظهر باخرة وهو في طريقه إلى أوربا:

" عزيزي / مجد الدين

ولقد ذكرتك والرياح عواصفٌ والبحـر يعلـو بالسـفين ويهـبط

فكـأنها هـي أنـت حـين تسـير في جـور الطريـق مهـرولاً تتخـبط

وذات مرة كـان يركـب القطـار ومعـه ابنـه مجد الدين وعلى جدار القطار كتبت عبارة ( إذا رمت النزول فاطلب من الكمساري توقيف القطار ) فطلب حفني من ابنه أن يحول هذا الإعلان إلى بيت من الشعر فلم يستطع مجد الدين فقال حفني ناصف:

إذا رمت النزول –بُنيَّ– فاطلب مـن الكمسـاري توقيـف القطـار !!

ومن طرائف فكاهات حفني ناصف الشعرية أن الصحفي المسيحي سليم سركيس زار الحجاز في موسم الحج على أنه مسلم بهدف عمل تغطية صحفية. ولم تكن إجراءات التدقيق والمراجعة في تلك الحقبة –قبل تأسيس المملكة السعودية وتنظيمها– بالصورة الصارمة التي عليها الآن. فلما عاد ذلك الصحفي المسيحي وكان صديقاً لحفني ناصف كتب له مداعباً قصيدة فُقدت وبقي منها هذان البيتان

عليك سـلام الله إن كنت مؤمنـاً وإن كنـتَ زنـديقاً سـحبتُ كلامـي

لقـد كـان سركـيسٌ بمكـة محرمـاً وطاف ببيتٍ في البقيـع حرامِ... ي!!

و( حرامي = لص ). فلو لم يضع الشاعر حرف الياء منفصلاً عن كلمة (حرامِ) لما حدثت هذه المفارقة الفكهة الذكية.

ورأى يوماً ما رقيباً (شاويشاً) تبدو عليه أمارات السعادة والانبساط حتى ظن الناس أنه سكران من شدة ما بدا من سروره. فقال حفني ناصف إنه لم يسكر ولم يشرب وإنما هو رجل جائعٌ أوقعه الحظ في مأدبة (عدس) فنال منها حتى حدث له ما حدث من هذا الهياج والسرور:

وقالوا: احتسى هذا "الشويش" مدامةً　　ألم تـره للـبِشْر يُبـدي وللأنـس ؟

ومـا ذاق طعـم الخمـر يومـاً، وإنـما　　بـه نشـوةٌ مـن كثـرة الأكـل للعـدس

وفي أثناء عمله بالتدريس نقلوه مرة إلى مدرسة من مدارس الصم والعميان فتأذى من ذلك أذىً شديداً. وطلب نقله منها غير مرة. ولكن طلبه لم يجد لدى المسؤولين آذاناً صاغية فكتب أبياتاً يقول فيها إن الحكومة الإنجليزية أخطأت حين نفت محمود سامي البارودي وأحمد عرابي إلى جزيرة سيلان وحين نفت من سماه (ابن موسى العقاد) إلى السودان تأديباً وتنكيلاً. ولو أنها أرادت بهم نكالاً أعظم وعذاباً أشد لكلفتهم بالعمل في مدارس المعوقين. فقال:

غلـط النـاس في عـرابي وسـامي　　حيـث أقصـوهما إلى سـيلانِ

وابن موسى العقاد حيث نفوه　　مـع بـاقي الثـوار للسـودانِ

لم يريـدوا بهـم عـذاباً، فهـلاً　　أرسـلوهم للخـرس والعميـانِ؟!!

ويستعير حفني ناصف تعبيراً عامياً مفعماً بروح السخرية المصرية، وهو تعبير (استعنا على الشقا بالله) الذي لا تسمعه من أحد إلا مصحوباً بابتسامة ساخرة أو ضحكة مكتومة، أو نبرة لا تشير إلى استعانة حقيقية، بقدر ما تؤكد نفورها من

الشقاء الملازم، وهو يستعير هذا التعبير الشعبي الساخر تعليقاً على رفض طلبه النقل من مدرسة الصم والعميان فيقول:

قيل إن السقام فيها وإن كا ... ن شقاءٌ يُفضي لعزٍّ وجاهِ

قد رضينا طول الإقامة فيها ... ( واستعنا على الشقا بالله )!!

وحدث أن تلقى حفني ناصف هدية من بعض أصدقائه، وكانت عبارة عن أسماك وطيور فكتب يشكره ويصف هذه الوجبة الدسمة مستعملاً لبعض الألفاظ العامية مثل (الحنك=الفم، الدكك= جمع دكة وهي المقعد الخشب المعروف، البُلُك بضم الباء واللام-= صف من الجنود، السكك= الطرق جمع سكة بكسر السين ) فقال:

وردَ الكتابُ، وجاءنا السمكُ ... فليسلم الصيادُ والشَّبكُ

وأقام فيها بين أضْلُعِنا ... فبطوننا من أجله بَرِكُ

والطير لما جاءنا بُسِطَتْ ... في جوفنا لقدومه الدككُ

وامتدت الأيدي مسلِّمةً ... واصطكت الأضراس والحنكُ

خفض الجناح مؤمِّلاً فَرَجاً ... مذ سُدِّدت في وجهه السِّككُ

ولقد تورَّكنا عليه، فلم ... يسلم له من بيننا وَرِكُ

دارت به الأسنانُ مسرعةً ... واصطف فيها حوله بُلُكُ

وكما انغمس حفني ناصف في كثير من غرائب الأمور كولعه بالموسيقى والرياضة البدنية ولاسيما السباحة، وما عرف عنه من حبه للبحث العلمي

والترحال في مشارق الأرض ومغاربها فقد انغمس كذلك في فنون الشعر القديم منها والجديد. فقد ضم ديوانه فناً كاد ينقرض إن لم يكن انقرض الآن بالفعل وهو فن (التطريز) أي نثر اسم من الأسماء بحيث يكون كل حرف منه هو أول حرف من أول كلمة في البيت الشعري إلى أن تنتهي المقطوعة أو القصيدة بانتهاء حروف الاسم. كما قال متغزلاً ومستعملاً تطريز اسم امرأة اسمها (هانم):

ه هم يا فؤاد فما عليك جُناح — كم في الصبابة والهيام نجاح

ا أو ما دعتْك إلى الصبابة غادةٌ — هيفاء مائسة القوام رَدَاحُ

ن نجلاءُ ألحاظٍ، وفي وجناتها — والثغرِ وردٌ يانعٌ وأَقَاحُ

م من لم ير التعذيبَ فيها مُرْبِحاً — وهدىً، فليس له هدىً ورباحُ

كما نرى في ديوانه فناً آخر من فنون التجديد الشكلي الذي عرفته القصيدة العربية وهو التشطير. في نموذج من شعره الفكاهي قال بمناسبة إصدار بعض أدباء الشام جريدة أسماها (الجِنان) - جمع جنة - وكتب عليها هذين البيتين لترويجها

إليك صحيفةً نَشَرَتْ حديثاً — وأغنتْ بالسماع عن العِيَانِ

كفردوسٍ حوى ثَمَراً شهيّاً — لذاك دعوتها باسم (الجِنانِ)

وطلب أحد جلساء حفني ناصف أن يقوم بتشطير هذين البيتين على أن يتحول بمعناهما من المدح إلى الذم فقال:

(إليك صحيفةً نَشَرَتْ حديثاً) — غنياً في (الخراف) عن البيانِ

أبانت عن مساوئ منشئيها — (وأغنتْ بالسماع عن العِيَانِ)

(كفردوسٍ حوى ثَمَراً شهيّاً) وأكثره يُمِرُّ على اللسانِ

وثُورث عقل قارئها اختلالاً (لذاك دعوتها باسم (الجِنانِ))

وواضح أنه هنا تلاعب بمدلولات لفظي الخراف والجنان العامية فاستخدم الأولى في إشارة إلى ( التخريف ) والثانية في إشارة إلى ( الجنون ) كما تستعمل في اللهجة المصرية العامية!!

وحدث في سنة١٩١٤أن كان حفني ناصف يصطاف في مصيف ( رأس البر ) وعلى (اللسان )وهو ملتقى النيل بالبحر المتوسط لقيه مصادفة حسين رشدي باشا رئيس وزراء مصر آنذاك فارتجل شاعرنا هذين البيتين :

افترَّ " رأس البر " لما زاره رأس الوزارة ، فازدهى الرأسانِ

والنيل والملح الأجاج تسابقا عند الزيارة فالتقى البحرانِ

وروى عنه معاصروه كثيرا من الطُرف التي تدل على ظرفه ، وسرعة بديهته فمن ذلك أن حلاّقه طلب منه مرة أن يختار له آية قرآنية يكتبها له خطاط ليزين بها محل حلاقته ( الصالون ) فقال له بتلقائيته المعهودة : " بسيطة .. قل له يكتب [ نحن نقص ] " .

وكانت في حي الأزهر مكتبة تسمى " المكتبة العلوية " صاحبها رجل متأدب من أصدقاء حفني ناصف اسمه الشيخ علي نحلة . وذات مرة شكا إليه صاحب المكتبة أن طلاب الأزهر يأخذون منه " الملازم " التي يطبعها لهم ويتكاسلون في دفع

أثمانها المقسّطة . فدعا حفني خطاطا ، وطلب منه أن يكتب لوحة كبيرة توضع في صدر المكتبة عليها هذا البيت الذي ارتجله ساعتها :

هل تشتري العلم من أصحابه (شَكَكا؟ )     خذ ( المَلازم ) وادفع ، لستُ أتركّكا

ومن يومها استقامت للرجل تجارته بعد هذا الإنذار اللطيف . !!

# معاناة الموظفين بين الأسمر وغنيم

موظفو الحكومة يستحقون الشفقة في كل زمان ومكان، فهم وقود التنمية الرخيص، وملح حياة الناس اليومية الذي يأتدمون به، وهم فوق ذلك ومع ذلك وبين ذلك كله: مادة صالحة للسخرية والتفكه والتندر، لما يبدر منهم من سلوك ناب أو رد خشن، ولما يميل إليه بعضهم من حب الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وقد اتخذ منهم الشعراء ورسامو الرسوم الهزلية (الكاريكاتير) مادة ثرية لاستجلاب الضحك، وتوليد النكت، واتخذ منهم كتاب القصة والمسرح - في الشرق والغرب - مادة رائعة للدراما المسلية كما نرى في أقصوصة "تشيكوف" الشهيرة "موت موظف".

وقد أجاد الشاعران المتعاصران "محمود غنيم" و"محمد الأسمر" وصف معاناة الموظفين خير إجادة، فقد جمع بينهما أن كلاً منهما بدأ السلم الوظيفي من أدنى درجاته إلى أعلاها، فقد بدأ "غنيم" حياته الوظيفية معلماً وما زال يرتقي حتى بلغ وظيفة عميد مفتشي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم. وبدأ محمد الأسمر حياته الوظيفية موظفاً إدارياً صغيراً في وزارة الأوقاف حتى بلغ منصب أمين عام الوزارة.

وبين هذه وتلك من مراحل النمو الوظيفي، كانت أبيات كلا الشاعرين تتردد في الأوساط الأدبية وتذيعها الصحف على الناس فيتناقلها الظرفاء والأدباء في مجالسهم.

والشعر الفكاهي في مجال التندر بحياة الموظفين ومعاناتهم يتخذ مسارات شتى فمن شكوى غلاء المعيشة وضعف الرواتب ومن شكوى الظلم الإداري والنقل التعسفي إلى شكوى الرسوب الوظيفي وضعف الترقيات، غير أن هذه الشكاوى قد تبلغ أحياناً حد المرارة فتصبح لوناً من "الكوميديا السوداء" حين يقول محمود غنيم متحسراً على مكانة الشاعر المعلم في مجتمع يحتفي بالفن والفنانين ويدير ظهره للعلم والعلماء والشعر والشعراء فيقول:

إلى مَنْ أشتكي يا رب ضَيْمي؟ أرى نفسي غريباً بين قومي!!
لقد هتفوا لـ"محمودٍ شكوكو" ما شعروا بـ"محمودٍ غُنَيْمِ"!!

## المكافأة تأخرت :

ونبدأ مع الشاعر محمد الأسمر الذي انتدب ذات مرة من وزارة الأوقاف فعمل بعض الوقت لدى وزارة الداخلية لمراقبة بعض مطبوعاتها، وتأخرت وزارة الداخلية في صرف مكافأته عن هذا العمل الذي ندبته له. فلما سأل الشاعر عن سبب تأخر صرف المكافأة قيل له إن "عبد الرحمن عمار بك" وكيل وزارة الداخلية لم يوقع الأوراق، فكتب الأسمر إليه يذكّره بأن طلب صرف المكافأة الخاصة به قد زكاه "الرئيس" إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الوزراء، ووقع عليه "توفيق صليب" مدير المطبوعات بالوزارة:

(عـمَّارُ) يـا أخـا الأدبْ لي عنـدكم حـقٌ وجـبْ
بـالأمسِ زكّـاه (الرئيـ ـسُ) خيرُ من زانَ الرُّتبْ

وقــــال (توفيـــقٌ) دنـــا　　　مـــا ترتجيـــهِ واقـــتَربْ
وكـــــلَّ يـــــوم لم أزلْ　　　أســـــألهُ وأرتقـــــبْ

ويصف الأسمر ليالي انتظار المكافأة الطوال اللاتي يخاصم فيها النوم عيني شاعرنا حتى لكأنه محب عاشق ينتظر وعداً باللقاء من حبيبة غائبة. ويتساءل شاعرنا: أين أنت يا وكيل الوزارة: أأنت مازلت في مصر، أم انتقلت إلى بلاد الشام؟! ويستصرخه باسم "الأمن" الذي يحافظ عليه في طول البلاد وعرضها، أن يدرك "أمن" جيب صاحبنا الذي أخذ في الاضطراب:

تمضي الليـالي وهـي في الطُّـ　　　ـــولِ شـبيهاتُ الحِقَـــبْ
فـــقصِّر الليـــلَ عـــلى　　　مُضْـناكَ وانظـر في (الطَّلَـبْ)
قـالوا عـلى الإمضـاء قُلـ　　　ـــتُ عجـــبٌ أيُّ عجـــبْ
هـــل (الوكيـــلُ) هاهُنـــا　　　أم الوكيـــلُ في (حَلَـــبْ)؟!!

## الحضور والانصراف وكآبة الدواوين:

وكانت قد أسندت إلى الشاعر "محمد الأسمر" في أول عمله بالحكومة (وظيفة كتابية) تتعلق بحضور بعض الطلبة بالأزهر أو عدم حضورهم. وما شابه ذلك من أمور الطلبة. فقال متذمراً من سوء هذا العمل الروتيني ومرارته:

مَنْ مُجيري مِنْ (خليلٌ غائب)　　　و(لبيبٌ) أو (سعيدٌ حاضِرُ)
و(إجـــازات عـــليٍّ) بَلغـــتْ　　　مُنْتهاهـا و (مـريضٌ طـاهرُ)
وفـلان (راسـبٌ) أو (مُوقَـفٌ)　　　وفـــلانٌ (أول) أو ( آخِـــرُ)

و(الحسـابات) وناهيـكَ إذا ... ضـلّ أو أخطـأ فيهـا النـاظِرُ
و(القيـوداتِ) التـي لا تنتهـي ... فخطاب (واردٌ) أو (صـادرُ)
و(السـجلات) ومـا قـد جَمَعـتْ ... فهـي بَحْـر وخِضَـمٌّ زاخـرُ
حالـةٌ مـا كنـتُ يومـاً مـا لهـا ... فهـي لا ينفـعُ فيهـا الشـاعرُ
كُـلُّ ميـدانٍ لـه فارسُـهُ ... حاسِـبٌ أو شـاعرٌ أو نـاثرُ

ويسخر محمود غنيم من بعض دواوين الموظفين وما يشيع فيها من خمول وبلادة واستهانة بحاجات الناس، ودأب الموظفين على إزجاء الوقت في القيل والقال، وتفننهم في تعذيب أصحاب الحاجات، وتسويف قضائها بغير عذر، ولجوئهم إلى الإجازات المرضية دون حاجة إليها فيقول:

دواوينُ شِيدتْ للكرى والتثاؤبِ ... لحـا الله أصـناماً وراءَ المكاتـبِ
إذا أمَّهـم ذو حاجـةٍ لقضـائها ... فأقربُ منها نيلُ بعض الكواكبِ
هنا الوقت يمضي بين: لهوٍ وغفلةٍ ... وتسويف مطلوبٍ، وإلحاح طالبِ
وكم سلِمتْ أجسامهم، فتمارضوا ... وراغوا من الأعمال روْغ الثعالبِ
وكـم رُمِـيَ الحـرُّ الكـريم لـديهمو ... بغلظـة سـاعٍ، أو فظاظـة حاجـبِ

ثم يسخر من أخلاقيات بعض الموظفين الذين يجبنون أمام رؤسائهم ويستأسدون على الفقراء من ذوي الحاجات، ولا يفكرون إلا في الرواتب والعلاوات والترقي:

نعـامٌ إذا هـم أبصروا رؤسـاءهم ... سباعٌ على الجمهور حُمْرُ المخالبِ

ومـا حلمـوا في النـوم إلا برتبـةٍ | تُسـاقُ إلـيهم، أو زيـادةِ راتـبِ
ومـن زار مـنهم كاتبـاً ، خـال أنـه | بحضرة "شاه"، لا بحضرة كاتبِ
إذا خاطب الـزُوَّار ، صـعَّر خـدَّه | وأومـا بـرأس، أو أشـار بحاجـبِ
ولـو فتشـوا عـن حرتـه جيوبـهُ | لمـا اغـترَّ مغـترٌّ بتلـك المناصـبِ

## الكادر . . ذلك الحبيب الغادر

وفي مرحلة مبكرة من حياة محمود غنيم الوظيفية نشرت له قصيدة في صحيفة "الأهرام" عام ١٩٣٩ بعنوان (الكادر) سخر فيها من تقتير الحكومة على موظفيها البائسين، حتى إن الآباء الموظفين يوشكون على وأد أبنائهم خشية الإملاق كما كان أهل الجاهلية يفعلون:

أيهـا القـوم، حسـبكمْ إرهاقـاً | كـم علينـا تضـيِّقون الخناقَـا
هـل تريـدون أمـة يئـد الـوا (م) | لـد فيهـا أولاده إملاقـاً
ويحكـم! لا منابع النيل غاصت | لا، ولا سطحُ مصرَ بالناس ضاقا
ضـغطوا "الكـادر" الجديـد إلى أن | لبسـتهُ أعناقنـا أطواقـا
اختـزال يجـيء إثـر اختـزال | مـن قلـوب لا تعـرف الإشـفاقا

ويصف الشاعر قسوة حياة الموظف الذي يتطلع إلى الترقي الوظيفي متجاهلاً أنه يعيش في بلد يتنكر لرجاله، ويضن عليهم بأيسر حقوقهم وهي العلاوة السنوية الدورية التي تتأخر دونما سبب. بلد لا يعرف الرقي فيه إلا ذوو الحسب

والنسب ممن يملكون الواسطة فيثبون إلى العلاوات وثباً، ويتعثر الذين لا واسطة لهم ويتخبطون.

قـل لمـن يَنشـد الرقـيَّ عـزاءً ... إن دون الرقـيّ سـبعاً طباقـا!

مـا كفـاكم أن العـلاوة يـا قـو ... م، أطالـت عـلى الجيـوب الفراقـا

كـم مشـينا إلى العـلاوة حبْـواً ... وامتطـى غيرنـا إليهـا البراقـا

ويـح مصرٍ! أرى الموظـف فيهـا ... حُمِّـل العـبءَ وحـده فأطاقـا

قـتَّروا جهـدهم عليـه وقـالوا: ... لا تكـن ناهبـاً، ولا سراقـا

مـن ينجِّيـه مـن بنـين صـغار ... وبنـات يسـألنه الإنفاقـا؟

ثم تبلغ السخرية غايتها حين يتوجه الشاعر بالخطاب إلى زميله الموظف ساخراً طالباً منه أن ييأس من اللجوء إلى المخلوقين، ويتجه إلى الله وحده سبحانه فهو الخالق الرازق. ويطلب "غنيم" من الموظف ألا يصنع لثوبه جيوباً. فما حاجته للجيوب وهو لا يملك ما يضعه فيها؟، بل إنه ينصحه بأن يهجر الأسواق إذ لا ناقة له فيها ولا جمل، وأن يتخفف حتى من الثياب إن استطاع:

أيهـا البـائس المعـذب رحمـا (م) ... ك! دع الخلـق، واسـأل الخلاقـا

لا تخِـطْ للثيـاب – ويحـك – جيبـا ... والـزم البيـت، واهجـر الأسـواقا

وإذا جعت، فامضغ الصبر! مـا أحـ (م) ... ـلاه في ذلـك الزمـان مـذاقا!

مـا لكـم والثيـاب إن أبـاكم (م) ... آدمـا كـان يلـبس الأوراقـا

عَلِـمَ الله، لا أضـن ولـو أنّ (م) ... بـلادي كلَّفَتْنـي الأحـداقا

غـيـر أني عـلى بـلاديَ أخشى ... أن أرى الجـوع دهْـورَ الأخلاقَـا

على أنني أرى في البيت قبل الأخير خللاً لغوياً في قوله "كلفنني" بنون النسوة، وهكذا ورد البيت في ديوانه. ويبدو أنه اضطر إلى ذلك، ولو قال (كلفتني) بتاء التأنيث الساكنة لاختل الوزن.

## رحماك أيتها العلاوة:

**ويتخيل غنيم العلاوة غادة حسناء لها ما للغواني من خصال الهجر والخصام، والدلال، وإخلاف الوعود فهو يتذلل وهي تتدلل، وتصل من لا يحتاج لوصلها من كبار المستشارين في الوزارة وتعرض عمن يهيمون بها من صغار الموظفين. وقد نشر "غنيم هذه القصيدة في "الأهرام" يوم ٢٤ من أبريل عام ١٩٣٥م.**

قـد حـل مـايو، فاسْـمَحِي بوصـالي ... مُنّـي عـليَّ، ولـو بطيـف خيـال

يا أختَ "عرقوب"، وعدت، فأنجزي ... يكفـي جفـاؤك مـن سنين طـوال

في أي نجـم نـازح حجبـوك أم ... في أيِّ سـجن محكـم الإقفـال؟

هـل أنـت إلا كـالغواني، طالمـا ... سـقن الـدلال عـلى رقيـق الحـال؟

هيفـاء، يَحظـى المستشـار بوصـلها ... وتصـدُّ كـل الصـد عـن أمثـالي

لا هُـمَّ، لا أشـكو لغـيرك علتـي ... أنقصْتَ من رزقي، وزدت عيالي!

يـا رُبَّ طفـل جـاءني، أطعمتُـه ... مـا في فمـي، وكسـوتُه سربـالي

مـالي أرى أمـوال مصر كأنهـا ... بعـضُ الحبـوبُ تُكـال بالمكيـال؟

حتـى إذا طلـب الصـغير حقوقـه ... شـكت الخزانـة قلـة الأمـوال؟

فـازَ السـعيدُ بعمـه، وبخالـه ... وفقـدتُ عمـي في الحياة وخـالي!

## حتى الوظيفة الكبيرة لا قيمة لها!!.

وسخر "محمود غنيم" من الوظائف الكبيرة حين تكون كألقاب أمراء الأندلس الخاوية الخالية من المضمون. فهو حين رقي إلى وظيفة "مفتش" لم يجد لهذه الترقية أثراً ماديا في حياته. ورأى عام ١٩٤٣م، بمناسبة توليه هذا المنصب أنه زيفٌ لا طائل من ورائه مادام خالياً من الرقي المادي، فقال:

وما سرَّني التفتيشُ حين وَلِيتُه ... ولا أنا -إن ولَّى- عليه بآسف
لقد خِلتُه يغنيَ عيالي من الطوى ... فكان كمضروبٍ من النقد زائف
وَزارةُ مهضُومين، ليس بقابضٍ ... فتًى يرتقي فيها، وليس بصارف
إذا قيل: منسيُّون، فتشتُ عنهمو ... فلم ألقهم إلا رجال المعارف

وتخيل حوارا دار بينه في العام نفسه- وبين بعض الشحاذين الذين يسألون الناس في الطرقات صدقة وإحساناً، وكان هذا الموقف الطريف يروى عن الشاعر حافظ إبراهيم حين قابله شحاذ وطلب منه "حسنة لله" فقال له حافظ:" عمرك أطول من عمري" [وهي تعني في العامية المصرية أنك سبقتني في التلفظ بما كنت أود أن أقوله لك!!] لكن شاعرنا "محمود غنيم" تخيل في هذا الحوار الذي دار بينه وبين أولئك الشحاذين معنى لم يرد في عبارة "حافظ إبراهيم" الفكاهية وإن لم يبتعد عن دلالتها كثيراً:

قال لي اليوم بائسون عفاةُ: ... أعطنا. قلت: إن أصبتم؛ فهاتوا
ثقلَتْ وطأةُ الغلاء؛ فحلَّت ... لكبار الموظفين الزكاةُ
لا تروموا الزكاة منا احتسابًا ... نحن -لا أنتمُ- الجياعُ العراةُ

# الفكاهة في شعر العوضي الوكيل

العوضي الوكيل شاعر مبدع، وفنان مبتكر، وكاتب ملتزم، كان معروفاً بخفة الظل، وسرعة البديهة، وتعدد المواهب، ولكن العصر الذي عاش فيه كان عصر خمود الشهرة الأدبية، وارتفاع أسهم الشهرة السياسية، فقد كانت السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وحتى بداية السبعينات من أشد سنوات القرن العشرين اضطراباً، وبخاصة في مصر، حيث واكب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وما تلاها من حركات تحريرية في كثير من الدول العربية، توجه عام نحو الاستقلال السياسي والتحرر الاقتصادي من تبعية المستعمر الأجنبي، ثم توالت الحروب، فانشغلت الصحافة والإعلام المسموع ثم المرئي بتوابع هذه التطورات السياسية، ودالت دول الشعر والفنون بوجه عام، أو توارت على أقل تقدير.

في تلك الحقبة (١٩٤٥ - ١٩٧٠) كان في مصر محمود غنيم، وعزيز أباظة وعامر بحيري والعوضي الوكيل، ومحمود عماد، وطاهر الجبلاوي، ومحمد الأسمر والربيع الغزالي، ومحمود شاور ربيع، ومحمود جبر، وحسن جاد، ومختار الوكيل وصالح جودت، وأحمد رامي، ومحمود حسن إسماعيل ، وحسن مخيمر، وعشرات غيرهم لا تحضرني أسماؤهم الآن. وقد حظي الذين تعلقوا بأذيال الإعلام المسموع كأصحاب الأسماء الثلاثة الأخيرة، بقدر من الشهرة بعدما غنيت قصائدهم، أو أسندت إليهم مناصب ذات بريق. فيما بقي الآخرون سجناء وظائفهم البعيدة عن دائرة الضوء.

ومن هذا النوع الأخير كان المرحوم الشاعر العوضي الوكيل، أحد مشاهير ندوة العقاد الأسبوعية، وأحد المقربين من عباس العقاد.

وحدث أن اعتذر العقاد مرة بعد مرة عن تلبية الدعوة حتى إذا استشعر الحرج من كثرة الاعتذارات أناب عنه صديقه الشاعر العوضي الوكيل وبعث إلى ابراهيم دسوقي باشا يقول :

يا مطعم الأدباء من ... خير الذبائح والبقول

ما طاب من ضأن ومن ... طير ، ومن عدس وفول

" عوضي الوكيل " إذا دعو ... تم دعوةً عوضي الوكيل

عوضٌ إذا ما شئتمُ ... عني وأكَّال أكيل

بين الموكل والمؤكـ ... ـل ، فاز بالغنم الأصيل

وكان العوضي كما أسلفت ذا طبع مفطور على لافكاهة وحب النكتة، وله ولع بالمعارك الأدبية، والمشاجرات الفكاهية فمن ذلك ما حدث بينه وبين حسن البطريق " الشاعر الحلاق، الذي شهد له معاصروه بقوة الموهبة، وعمق الإبداع، لكن عمله حلاقاً حال بينه وبين الشهرة التي يستحق - أو هكذا كان يعتقد - !!

حتى قال عنه العوضي الوكيل يرثيه:

مات شاعرنا الحلاق.. والموت حق .. وخلا منه ومن أدبه وفكاهته وسخريته " صالون الحرية والأدب في شارع شبرا ... لقد كان حسن البطريق نسيج وحده في عالم الشعر والبيان، لم يذهب إلى لم يذهب إلى مدرسة ولم يختلف إلى معلم... وإنما

تعلم حروف الهجاء بالاجتهاد وحده وهو في بلدته( بلبيس ) بمحافظة الشرقية.. التي لم يلبث أن ضاق بها لما أحس بنمو موهبته وافتتح له صالوناً سماه (ليبرتيه) أي الحرية باللغة الفرنسية في شارع شبرا ..

ومن الفكاهات التي حفظها لنا تراث العوضي الوكيل ما دار بينه وبين صديقه حسن البطريق من مساجلات ومنقضات شعرية ساخرة فقد حدث ذات مرة أن تعرض العوض الوكيل لهجوم كاسح من ضيوفه من أبناء أقاريه جاءوا من الريف أقاموا عنده ، ففاوض صاحبه الشاعر الحلاق في شأن حلاقة رؤوسهم. فغالى مغالاة شديدة في حين أصر العوضي ألا يزيد أجرته عن اربعة قروش للرأس الواحد فقال حسن البطريق يهجو العوض الوكي:

يفاوضني العوضي في حلق رأسه ... وحلق رؤوسٍ قد تجاوزت العَشْرا
ويذكر في لفظٍ من البخل واضح ... بياناً بأسعار الحلاقة في شبرا
ألا ليت شعري ما يقول فقيرهم ... إذا كان هذا ما يقول الذي أثرى؟

فرد عليه العوضي يستنكر مغالاته واستقلاله القروش الأربعة. ويذكره بماضيه في بلدته ( بلبيس ) حين كان أجره على حلاقة الرأس حفنة من الذرة!!
فيقول:

ألا قل لحلاقٍ تفرعن في شبرا ... وطالب في رأسي يشوهه أجرا
أأربعة صاغٌ عليك قليلةٌ؟ ... وقد كنت في بلبيس تحلق بالأذرا

ومن نوادر الشاعر الحلاق صديق العوضي أنه كان إذا أبطأ عليه أحد زبائنه فتأخر في الحلاقة نظر إلى رأسه وهو يقول إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها.. وإني لصاحبها

وكان الشاعر أحمد مخيمر زميلاً للشاعر العوضي الوكيل في العملبمصلحة البريد المصري وكان من قبل صديقين جمعهما حب الشعر وجمعتهما هذه الروح العذبة الفكهة التي أنتجا من خلالها أبيات هجاء يصعب تدوينها هنا، كانت تقال في مجالس اللهو والأنس البرئية التي كانت تجمع شعراء مصر في الثلث الأوسط من القرن العشرين.

وكان مخيمر قد أصدر ديواناً أسمكاه " لزوميات مخيمر " عارض فيه لزوميات أبوالعلاء المعري الي تضمنه فلسفته في الحياة، وآراءه في الناس، وبمناسبة صدور هذا الديوان حياه صديقه العوضي الوكيل مازحاً فقال:

مخيمر، ما نظمتَ من القصيدِ "كشيكات" البنوك بلا رصيد

إذا ما كان للشعراء دارٌ فأنت هناك تقعى بالوصيد..!

وفي البيت الثاني تعريض مستمد من قوله تعالى في صفة أهل الكهف:

﴿...وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: من الآية١٨].

ويعابث العوضي الوكيل شخصاً قبيح الصورة بقوله:

يا صاحب العثنون، مالك والعلا إني رأيت بك الملاهي أجدرا

وكان للشاعر أحمد مخيمر مع الشاعر العوضي الوكيل صداقة مستمرة، لم تمنعها من تبادل الهجاء كثيراً.

في مرة نال العوضي ترقية، فذهب إليه مخيمر ليهنئه فلم يجده في مكتبه فجلس وكتب له هذه التهنئة الطريفة:

اصـــعد إلى العليـــاء واعـــلُ القمـــة

بالصـــدفة العميـــاء لا بالهمـــة

نســـيت يـــا مغـــرور زر "العمـــة"

وجبـــةٌ قـــد حشـــيت برِمّـــة

هذه الأبيات التي هي مزيج من الدعابة والهجاء قرأها العوضي حين حضر فأرسل رداً له في خطاب بأبيات عنيفة لاذعة يقول فيها:

لاهُـــمّ إني قائـــل لا همّـــةٌ

فلاعـــنٌ مخيمـــراً وأمـــه

كلـــب يعـــاف الكلـــب أن يشـــمّهُ

ويـــأنف الزبـــال أن يلمّـــه

ولقد بدأت هذه الصلة الهجائية التي لم تؤثر في صداقتهما وتقدير كل منهما للآخر حين أصدرا بالاشتراك مع زميلهما الشاعر الحملاوي ديوان "أنفاس في الظلام".

فحين تم الطبع ولم يبق إلا الغلاف بدأ الشجار عنيف بين مخيمر والعوضي حول : من يكتب اسمه أولاً على الغلاف- كل منهما يدعي أنه أشعر من أخيه وأحق بأن يكون لاسمه الصدارة.

وأوقف طبع الغلاف.

وحين أصدر العوضي ديوانه "رسوم وشخصيات" لم ينس تحية هجائية لصديقه مخيمر يقول فيها:

| | |
|---|---|
| أجادلي فيما يقول مخيمر | نسي القصيد العبقريَّ مخيمر |
| هو منجم نضبت موارد تبره | والنزر ويحك ما تبقى الأيسر |
| ما زال في أذني صدى أنغامه | أوَلا تتيه به الحياة وتفخر |

# حسين شفيق المصري
# والشعر الحلمنتيشي

نما شعر الفكاهة المسمى بالشعر الحلمنتيشي وازدهر خلال النصف الأول من هذا القرن . ولا خلاف بين الذين كتبوا عن هذا الفن على أن هذه التسمية من وضع الشاعر الذي تفرد بإبداع هذا اللون وهو الشاعر حسين شفيق المصري ( ١٨٨٢م ١٩٤٨م )

وقد حاول أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي تأويل هذه التسمية في مقال له بمجلة الهلال فقال :

"ولا أدري كيف اشتهر هذا اللون من الشعر بهذه التسمية التي لا أعرف على وجه اليقين مأتاها ، وإن كنا نعرف جميعاً مدلولها ، والذي أظنه ظناً لا يصل إلى الاطمئنان المستقر أن الأستاذ حسين شفيق المصري قد نسب هذا الشعر إلى ندوة "الحلمية " نسبة على غير قياس عربي ، وقل أنها نسبة تجمع بين العربية والعامية معاً في لفظ واحد ، وهو ما يدل على مضمونه . وندوة الحلمية كانت مأوى الكبار من شعراء هذا العصر إذ كان يؤمها الأساتذة محمد الهراوي وهو عمدة الندوة بعد رحيل الشيخ محمد عبد المطلب ، أما حسن القاياتي ، فصاحب الجاه الكريم بها إذ كان يسقي الرواد جميعهم على حسابه ومن بينهم حافظ إبراهيم وأحمد الزين وحسين شفيق المصري وزكي مبارك ومحمد الأسمر . وفي هذه الندوة كان الشيخ محمد عبد المطلب يروي الشعر البدوي الجزل ويرفض أن يروي السهل المهين من شعر

العربية نفسها على حين كان الأستاذ حسين شفيق المصري - على أصالة الشعر العربي - يعاتبه بنظم هذا الشعر و" المطعم " كما سماه صديقنا المرحوم الدكتور كامل شاهين ، وهي تسمية موفقة لم يقدر لها أن تذيع ، وأخذ حسين شفيق المصري ينقل ما يذيعه في الندوة إلى صحف الفكاهة تحت عنوان " الشعر الحلمنتيشي " هذا ما أظنه بصدد هذه التسمية ويحضرني ما ذكره الأستاذ محمد الهراوي عن ندوة الحلمية في رثاء صديقه وأستاذه الشيخ محمد عبد المطلب حيث قال :

فللـــه بـــالحلميتين مجـــالس تضم شتات الفضل والأدب العد

وأنـــت تغنينـــا حـــداء كأنـــا على النوق في بطحاء مكة أو نجد

وتهتـف بالأشـعار مـن حضريـة إلى عهـد فهـر في البـداوة أو فهـد

وتلقـي عينـا الشـعر منـك نعـده تحـدر مـن عليـا معـد ومـن أزد

وحين ارتحل الأستاذ محمد الهراوي أشار الأستاذ أحمد الزين في رثائه إلى ندوة الحلمية قائلاً :

كأنـك اليـوم بـالحلميتين عـلى مـا قـد تعـودت لا خلـف ولا ملـل

تظـل بـين وفـود الزائـرين بهـا وفـد يحـل ووفـد بعـد يرتحـل

تصفي أخاءك من عقوا ومن حفظوا وتمنـع الـورد مـن ضنوا ومـن بـذلوا

إلا أن هذه المحاولة كما هو واضح فيها كثير من الافتعال ، وأغلب الظن أنها تسمية مرحة أطلقها حسين شفيق المصري دون أن يكون لها - في ذهنه - تأويل

مقصود . أو أساس لغوي يقاس عليه . أو لنقل : لعلها نوع من الهزل يتمشى مع الروح العامة التي تبدء هذا الفن الهازل .

ولكن ما نستريح إليه من تعريف لهذا الشعر هو أنه " شعر قوامه أن يختار الشاعر مطلع قصيدة قديمة معروفة ثم ينسج على منوالها كما لو كان يكمل القصيدة القديمة . لكنه في عمله يزاوج بين الكلمات الفصحى والعامية . ويختار لقصيدته موضوعا ذا قيمة فنية ".

## المعلقات

قال طرفة بن العبد البكري :

| | |
|---|---|
| لِخَولَـةَ أَطـلالٌ بِبُرقَـةِ ثَهمَـدِ | تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ |

قال حسين شفيق المصري:(*)

| | |
|---|---|
| وقوفاً بها صحبي عليَّ ترامهم | يقولون لا تركب إلى الموت واقعد |
| أرى وقعتي تحت الترام تميتني | وليس طبيب من هلاكي بمنجدي |
| وليس وقوعي عن حمار بقاتلي | وأصعبه كسر برجلي أو يدي |
| أتذكر أيام الحمير وفسحة | لدن عزبة الزيتون بعد المحمدي؟ |
| وفي الحي شيخ أبيض الشعر واقف | يجول بعيني حائر متردد |
| ويحصي من الأموال ما هو جامع | ويتركه بعد الهلاك المؤكد |
| نعم لك مال غير انك جلدة | فلست بمودود ولا متودد |

(*) مجلة الفكاهة،العدد٦،الصادر في ٥يناير١٩٢٧م.

ولـو شـاء ربي كنـت شركـة روتـر ... ولـو شـاء ربي كنـت بنـك الكريلـدي
إذا لم تكـن بـا باشـا صـاحب نخـوة ... فخمسـون طظـاً فيك م اليـوم للغـد
ومـن كـان فيـه للـبلاد منـافع ... ولـو كـان زبـالا فـذلك سـيدي
ومـاذا يفيـد النـاس انـك راكـب ... وغـيرك يـمشي بالمـداس المهربـد
ستبدي لك الأقطان ما كنت جاهلا ... ويأتيـك بالأسـعار مـن لم يـودود
وما الماء كالشربات إن كنت شارباً ... ومـا لقمـة القـاضي كخبـز مقـدد
وقـد تلبس المنطـوه شـوهاء وحشـة ... مكعـبرة تسـعى بمشـية قنفـد
وكـم مـن فتـى تلقـاه تحسـب انـه ... أمـير لتزويـق بـه وتبغـدد
مرتبـه في الشـهر لـيس يزيـد عـن ... جنيهين وابن الكلب عامل أفنـدي
فقلـت اسـقياني واقـتلاني بشربهـا ... فمـوتي خـير مـن بقـائي لـدى ودي

قال لبيد بن ربيعة العامري :

عَفَـتِ الـدِيارُ مَحَلُّهـا فَمُقامُهـا ... بِمَنـىً تَأَبَّـدَ غَولُهـا فَرِجامُهـا

قال حسين شفيق المصري:(*)

| | |
|---|---|
| فمدافع الألمان أبطل ضربها | وتخبلت وتدلدلت أكمامها |
| دول تككين (١)بعد شرب حشيشها | أبناؤها وتهرينت(٢) أقوامها |
| وتعطلت جوزاته(٣) وتصيدلت(٤) | فاحتل أدمغة الرجال جرامها |
| وَلِمَنْ يَشُمُّ إذا نهاه لائم | حِجَجٌ كَذَبْنَ حلالها وحرامها |
| والعين واسعة على أجفانها | زَغُلٌ وقد زادت بها أورامها |
| حتى إذا فرغت زجاجةُ شامم | سرق الفلوس لأجلها شمامها |
| وبكت عليها زوجة مسكينة | حزناً وطال صيامه وصيامها |
| ولقد يجن وقد يموت وهكذا | شرب الخمور وأين منك مدامها |
| إني شربت من الزبيب فتيلة | فاسودت الدنيا وضاع نظامها |
| ولربما نثر الفتى أمواله | في حانة كمشت بها أروامها |
| ويعود في زعل ترى أنفاسه | كدخان مشعلة يشب ضرامها |
| لم أدفع المصاريف لابني بعدها | فأتى ودمعته يسح غمامها |
| "يا بابا قد طردوا الذين تأخرت | مصاريفهم وتباعدت أيامها |
| وتركت مدرستي وجئتك باكيا | ولنفس مثلي جهلها إعدامها" |

(*) مجلة الفكاهة، العدد٧، الصادر في ١٢يناير١٩٢٧م.
(١) تككين: أي شم الكوكايين.
(٢) تهرينت شمت الهروين.
(٣) الجوزات: جمع جوزة وهو الإسم الشعبي للشيشة البدائية المصنوعة نمن نبات الغاب الأجوف.
(٤) تصيدلت: أي اتجهت للصيدليات بقصد تناول الحبوب المخدرة ( البرشام) بدلاً من الشم والتحشيش عن طريق تدخين الشيشة.

[فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ... صما خوالد ما يبين كلامها] (١)

والرأس منصدع به أوجاعه ... ليست تزول ولو أتى برشامها

إنا لهجاصون فاعلم يا فتى ... ولكل قوم سنة وإمامها

بسي :

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ ... أم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

يا دار عبلة بالعُطُوف(١) تكلمي ... وابكي كثيراً دار عبلة والطمي

دار لجاهلة سخيف عقلها ... وجه البجور(٢) كوجهها المتغمغمِ

فوقفت فيها البسكلتَّ كأنها ... جحش لأقضي ساعة المتندمِ

فيها اثنتان وأربعون بعوضةً ... سوداً كخافية الغراب الأسحمِ

وكأن فأرة منزل متهدم ... سبقت خنافسها فلم أتقدمِ

هل جاء مصلحة الصُحَيْحَة(٣)إنني ... وَنَا واقفٌ جسمي تضرج بالدمِ؟

وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غرداً كفعل الشارب المترنمِ

إن كنت أزمعت العزال فإنما ... فرغت فلوسكمو بليل مظلمِ

---

(١) هذا البيت مُضَمَّن كما هو من معلقة لبيد بن ربيعة.

(* ) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في ٢٦يناير١٩٢٧م.

(١) العُطوف: جمع عطفة وهي الحارة الصغيرة.

(٢) البجور: أي القطار وأهل الشمال في الدلتا ينطقونه "الباجور"، وأهل الصعيد ينطقونه "البابور" وأهل القاهرة ينطقونه "الوابور".

(٣) الصُحَيْحَة: تصغير الصحة.

سلبتك راقصة الكَزِينو ثروةً ... فرميتَ كل جنيهةٍ(١) كالدرهمِ

كيف العزال إلى مكان طيب ... هاو فسيح ليس مثل القمقمِ؟

رفعوا إجارات البيوت فزفّتوا ... عيش الموظف والفتى المستخدمِ(٢)

نصف المهية(٣) للإيجار وعيشنا ... حجر وذاك غموسنا كالمرهمِ

ولقد رأيت الكَدْر بعد عشيةٍ ... فقضيتُه ليلا كليل المَيْتَمِ

من أين أصرف ع الولادِ وبنتنا ... بِدّي أجهزها يا أم الهيتمِ؟

كيف السبيل إلى الموبليات التي ... تُرضي عريس البنت وهو جهنمي؟

وإذا شكوتُ فإنني متوبخٌ ... مالي وعرضي في فم المتكلم

وإذا سكت فما أطيق من الأسى ... وكما علمت مصائبي وتلطُّمي

يارب خلصني بقى م المقت دا ... نزّل عليَّ ولو رصاصة دمدم

قال عمرو بن كلثوم :

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاصبَحينا ... وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

قال حسين شفيق المصري(*):

مشعوطة كأن السم فيها ... إذا ما الماء خالطها عِمِينا

ودارٍ قد سكنتُ "بباب خلق" ... وأخرى في "المواردي" و"عابدينا"

---

(١) جُنَيهة: تصغير (الجنية) وتأنيثه كماية عن الاحتقار والتسفيه.
(٢) المستخدَم: أي الموظف وكانت إدارات شؤون العاملين تسمى أنذاك "إدارة المستخدمين" (بفتح الدال).
(٣) الماهيّة: أو الماهية الراتب الشهري.
(*) مجلة الفكاهة، العدد٨، الصادر في ١٩ يناير١٩٢٧م.

وكــــان لنــــا بحارتنـــا غفـــير ينـــام ونحـــن طـــراً صـــاحيونا
وشـــاويش يغيـــب إذا اعتركنـــا ويحضر بعـــد مـــا نتصـــالحونا
ألا ســـائل لصـــوص القَطْـــر عنـــا يجـــيكم هـــو كيـــف وجـــدتمونا
يقولـــوا إننـــا نـــاس غلابـــا دهانـــا الـــدائنون ونفَّضـــونا
وإنـــا نلـــبس الجزمـــاتِ صـــفراً رنقلعهـــن ســـوداً قـــد بلينـــا
وإنـــا لابســـون هـــدومَ خـــيشٍ عـــلى أبـــدانا متشرمطينـــا
وإنـــا لم نبـــع قطنـــاً فضـــاقت بنـــا الـــدنيا وبتنـــا مفلســـينا
وم الخواجـــات نأخـــذ كـــل شيء بأســـعار تجننـــا جنونـــا
فـــآبوا بـــالفلوس وبالهنايـــا وابُنْـــا بالشـــفاه مكلضـــمينا
كبائعـــة مصـــاغاً أو نحاســـاً يـــرن غطـــاء حلتهـــا رنينـــا
ولـــيس لنـــا مصـــانعُ أقمشـــاتٍ فتغنينـــا عـــن القومســـيو جينا
ولســـنا صـــانعين لنـــا بَجُـــوراً لنركبـــه ولا مترموينـــا
ولـــولا أن أوربـــا علينـــا لكنـــا قـــد مشـــينا عريانينـــا
إذا بلـــغ الفطـــام لنـــا وليـــدٌ يمـــوت بحانـــةٍ ســـكران طينـــا

## المشهورات

قال محمد بن عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف :

لِيْ مِـــنْ هَـــوَاكَ بَعيـــدُهُ وَقَرِيبُـــهُ ولَـــكَ الجَـــمالُ بَديعُـــهُ وَغَرِيبُـــهُ

قال حسين شفيق المصري(*):

إن لم تكــن بيكــا فإنــك مثلــه ... أو لم تكــن باشــا فأنــت قريبــه

الباشــا قــد وصى عليــك رئيســنا ... ورئيســنا يــا ادلعــدي محســوبه

فــاحضر إلى الــديوان في الميعــاد أو ... مــن بعــده مــن ذا الــذي ح تهيبــه

واطلب من الفراش قطعة بسطة ... كلها وقل (هات شاي) دغري يجيبه

واشرب سـجارتك التـي دخانهـا ... يعمـي عيـون الحاسـدين هبوبـه

واشـغل زميلـك دائـماً عـن شـغله ... إيـه روح ينوبـك منـه أو ح ينوبـه

فـــزُّورة في قصـــة في نكتـــة ... تـــقضي معـــاه اليـــوم ثـــم تسـيبه

وتغيــب أيامــاً إلى اليــوم الــذي ... فيــه الماهيــة وهــو لســت تغيبــه

ويجـي سـعادة عمـك الباشـا إلى ... ذي الوجـه وهـو صـديقه وحبيبـه

ويقـول ليـه أكثرتمـو شـغل ابننـا ... أتعبتمـــوه والعيـــا سيصـــيبه

عـام مضى مـن غـير ترقيـة لـه ... فمتـى علاوتـه ومـا ترتيبـه؟

فتـدق أجـراس الـوزارة كلهـا ... ويطـير مـن نظـر الـرئيس لهيبـه

عنهـا وأمـر بـالترقي والـذي ... (مش عاجبه) يبطح رأسه مركوبه

وهنـاك مـن في الشـغل يقلـع عينـه ... والمقـت أو سـخط الـرئيس نصـيبه

لو قـال بـم يقـال مـا تغـور مـن هنـا ... ويطـول مـن تـوبيخهم تدويبـه

يا نـاس مـش هـذا حـرام والنبـي ؟ ... قلبـي انشـوى وتسـاقطت شراريبـه

(*) مجلة الفكاهة، العدد٤٧،الصادر في١٩ أكتوبر ١٩٢٧م

قال يزيد بن ضبة الثقفي :

سُــلَيمى تِلــكَ في العــيرِ ... قِفــي إن شِــئتِ أو ســيري

قال حسين شفيق المصري(*):

زمـــان العـــير قـــد ولى ... بكمبيـــل وحنطـــور

وزالا أو يــــــزولان ... بتمبيـــل ووابـــور

ومــا التمبيــل والوابـــو ... ر في عصر الطيـــــــاير

تقـــدم كـــل أهـــل الأر ... ش واحنـــا الـــلي ف تـــأخير

وغواصـــــاتهم في المـــا ... ء كـــالقرموط والبـــوري

ونحـــن الـــلي مراكبنـــا ... بقلـــع مثـــل طرطـــور

وأخيـــبهم مكـــانيكي ... وأشـــطرنا الفـــواخيري

يجيبـــون الزجـــاج لنـــا ... وجاءونـــا ببللـــور

ولا لنـــا شي ســوى صـــنع الــ ... ـطواجن والمـــواجير

فهـــل هـــذي الفـــواخير؟ ... كصـــيني وفرفـــور

ومـــاذا قلـــت في الحـــرب ... وفي لم الطـــــوابير

أضرب مـــدافع الهـــون ... كضرب بالســـــواطير

فقالـــت ليـــه بتوكســـنا ... وليـــه الحكـــم بـــالزور

أفي أوربـــا مـــن غنـــى ... عـــلى صـــوت الصـــفافير

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٣، الصادر في٣٠ نوفمبر١٩٢٧م.

ومـــا علمـــت بـــأن النـــو   تـــا مـــش زي التريريـــري

ألا بــــــالله ســــــيبيني   ف غلبـــي والنبـــي غـــوري

قال محمود سامي باشا البارودي:

تَـــوَازَنَ الصَّـــيْفُ والشِّـــتَاءُ   واعْتَـــدَلَ الصُّـــبْحُ والمُســـاءُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

وهبـت الـريح مـن ريـاض   بهـا زهـور لهـا زكـاء

ويـوم شـم النسـيم هاجـت   رجالنـا فيـه والنسـاء

فالشـيخ يحنـو عـلى عصـاه   ودأبـه الـرقص والغنـاء

وللفتـى نطـة تـدانت   منهـا إلى رأسـه السـماء

تسـيل مـن نطحـه نجـوم الـ   ـسماء مـن رأسـه الـدماء

يـا واد مـاهش كـدا طـوعني   حاسـب شـوياء مـش كـداء

ورب شـنمطاء في الثمانيـ   ـن وجههـا فيـه كرمشـاء

حطـت عليـه الطـلاء لكـن   تزيلـه عنـه خربشـاء

وقصرت ثوبهـا فتـاة   فشـكلها فيـه مسـخراء

يابنـت هـل أنـت كرنفـال   مـا تختشي جاتـك الـبلاء

فالنـاس هلـس ولـيس فـيهم   يـا صـاح مـن عنـده حيـاء

وكـان شـم النسـيم سـوقاً   تبـاع فيـه الكرامتـاء

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٤، الصادر في ٢٥ أبريل ١٩٢٨م.

وأصبح العلم مثل جهل | وسادت الفيل خنفساء
ومن تكن عنده علوم | فإنما عمره هباء
ومن تكن عنده فلوس | فذلك البيك والباشاء
يارب خذني بقى يا ربي | بزيادة يا رب بزياداء

قال المتنبي :

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ | وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

قال حسين شفيق المصري(*):

لقد عزموني وهي خير عزومة | أقيمت لها زيناتها والمعالم
عشان زواج البنت بالواد أنفقت | فلوسك حتى أفلستك المغارم
وجيبك أضحى مثل وجهك خاسماً | وقد كنت مبسوطاً وجيبك وارم
ولكن أهل الحي شافوك ماشياً | فقالوا (جواد) بس مالوش قوائم
وعلقت أعلاماً على الدار رفرفت | وفي الدار لمبات بها الفرح تامم
وفي السكة الصيوان تحسب أنه | سراية باشا أنجبته الهوانم
وقد صار بوفيهاً سلاملك بيتكم | وفيه ديوك حمرت وحمائم
وفيه خمور للمعازيم كلهم | ومن أكل الأدياك فالويسكي هاضم
وجاءت حريمات المعازيم كلهم | لدى الست إذ كانت هناك اللوازم
وتلك لعمري غمة لا أرى لها | نظيراً وفيها للجياع مغانم

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٩، الصادر في٨ أغسطس١٩٢٨م.

ومن تحت قام التخت للمطرب الذي ... يغنـي وغنـت فـوق كـمان العـوالم

وتخطـر مختـالا لأنـك صـارف ... مـن المـال مـا ليسـت تشيل البهـائم

وخش على البنت الواد اللي حياته ... مـا تسـواش قرشـاً لـو تعـد المـلالم

ومـا هـي إلا ليلـة ونهارهـا ... ولم يبـق شيء بـل كأنـك حـالم

ولم يبـق إلا أن مالـك ضـائع ... ودينـك مطلـوب وربـك عـالم

أمـا كـان هـذا المـال ينفـع لابـنكم ... وبنتكمـو بـالوفر ؟ أمـا عفـارم

قال لبيد بن ربيعة العامري :

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ ... وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

رهنـت أُتمبـيلي وجئتـك ماشـياً ... على رجلي مغصوباً وفيها دمامل

وقد ذبحوا الخرفان في العيد كلهم ... ومـا لي خـروف غـير أني باصـل

وأبكـي عـلى أيـام مـا كنـت وارثـاً ... وتطلـع عينـي والـدموع هوامـل

فيـا دهـر بزيـاداك تلطيمنـا بقـى ... ألم تـر أن الـدمع للثـوب بالـل

وقـد وعـدوني بالخدامـة بعـد مـا ... حفيت فمن نعلي صباعي طالل

وصعب على مثلي الخدامة عند من ... يكـون عـلى خدامـه يـتراذل

أمـا تتقـون الله في خـدامينكم ... وخـدامكم هلبـتّ مـا هـو راجـل

تنامون طول الليل ملء عيونكم ... ويسـهر لمـا تعتريـه النـوازل

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٩، الصادر في١٥يونية١٩٢٧م.

يوحوح من برد شديد يطسه ... لدى الحلل الزفراء إذ هو غاسل

ويارب طفل من بنيكم بعضه ... وتشخط فيه البنت فالذل شامل

ويأكل ما تبقون من فضلاتكم ... وذلك سم في الحشاشة قاتل

والعن من هذا وهذا نداؤكم ... عليه بيا واد وهو في الشيب داخل

فما ذنبه هل جهله أصل غلبه ... وليه يعني ما مولاه لاخر جاهل

يا ناري يا ناري ليتني كنت عاقلاً ... فما باع طين الأهل في الخبص عاقل

وأصبح مسكيناً حزيناً منيلاً ... على عينه واستهبلته الهوابل

وهذا يطاسيه وهذا يزعه ... وفي كل يوم جرسة وجناجل

قال عمر بن الفارض :

أبرقٌ بدا من جانِبِ الغَور لامِعُ ... أمِ ارتفَعَتْ عن وجهِ ليلى البراقع

قال حسين شفيق المصري:(*)

وإلا فهذا النور من بطارية ... أمام أتمبيل لعينك ساطع

فأين زمان الخيل في حناطيرها ... وأين حمير زينتها البرادع

إذا داست الانسان يربط رجله ... ويكبسها بالبن والبن نافع

وفي لطشة التمبيل إنك نازل ... على الأرض مدشوشاً وروحك طالع

نعم في الاتمبيلات للناس راحة ... إذا لم أقع منها كما أنت واقع

ويحملك الإسعاف للقصر خالصاً ... ولحمك بسطرما ورجلك كارع

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣٨، الصادر في١٧ أغسطس ١٩٢٧م.

فإن رحت قصر العيني فالموت عنده إذا جمعتنا يا جرير المجامع
وجاء التمرجي قلت إنك مهلكي وسرك في إهلاك مثلي باتع
ألا إنما الدنيا زوال فما الذي يخليك طماعاً وليه كدا طامع
على شان ماذا كل يوم وليلة تحوّش أموالاً وجارك جائع
وليه بس بعض الناس يشرب خمرة ويرميه في الإفلاس فعل مضارع
ويدخل في أطيانه وهو لابس ويخرج من ميراثه وهو قالع
ولو قلت أيتام يبيتون ع الطلى فلا والنبي ياخويا ما هو سامع
فهل بلد يا صاح أهلوه زي دا يسود وقد بالت عليه الضفادع
سأقطش ودني إن رأيتك نافعاً ولكنها تبقى وما أنت نافع
فأين الترمواي الذي سيدوسنا وهل تهدم الدنيا علينا المدافع

قال عنترة بن شداد العبسي:

لِغَيرِ العُلا مِنّي القِلى وَالتَجَنُّبِ وَلَولا العُلا ما كُنتُ في العَيشِ أَرغَبُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ألم تروا الإنسان في حال فقره كئيباً حزيناً وجهه متقطب
فإن نال خيراً من غنى أو مياسر غدا مرحاً من فرحه يتشقلب
وهذا تراه الناس ع الأرض ماشياً ومركوبه فوق الطريق يكركب
وبدلته في الشمس وهي عتيقة يطشطش منها دهنها المتصبب

(*)مجلة الفكاهة، العدد٨٨، الصادر في ١ أغسطس١٩٢٨م

وكـائن تـرى مـن رقعـة في ثيابـه ... زيادتهـا أو نقصـها كيـف تحسـب
وأمـا الـذي المـال الكثـير بتاعـه ... فبالجزمـة البيضـاء يـمشي يدبـدب
وجزمتـه الصـفراء إن هـي زيّقـت ... ترَ العجـر الأوبـاش دغـري تـأدبوا
وبدلتـه الله أكـبر يـا أخـي ... إذا شـافه فيهـا الرجـال تهيبـوا
ولا والنبـي مـا كـان أشـيك منظـراً ... مـن الثـوب إلا شـعره المتسبسـب
فمـن لي بـأموال أكـون بهـا كـدا ... وأركب تمبيلا يقول " بو بو بـو بـو "
وأسـكن في قصر ف وسـط جنينـة ... لها حـارس شـمط وكلـب يهبهـب؟
وفي الـقصر طبـاخ تشـم طعامـه ... فتحتقـر العطـر الـلي بـه تتطيـب
فمـن أيـن لي هـذا ولسـت بعـالم ... فمخـترج شـيئاً بـه اتكسـب
ولا أنـا في تجـر ولا لي مصـنع ... ولا حـاكم لي في الـدوان مرتـب
فيا ألف إخص يا سفخص ويمت بلا ... عـلى حـين كنـا في المـدارس نلعـب
ولـو كنـت أيـام المـدارس شـاطراً ... لمـا صرت أيـام الرجولـة أغلـب

قال ابن زريق البغدادي :

لا تَعذَلِيـه فَـإنَّ العَـذلَ يُولِعُـهُ ... قَـد قُلـتِ حَقـاً وَلَكِـن لَيـسَ يَسـمَعُهُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

هـو امـرؤ تـاجر والبلـف صـنعته ... يحطـه البلـف أحيانـاً ويرفعـه
مـن طـول حلفانـه تسـود خلقتـه ... كـأن ورنـيش أمريكـا يلمعـه

(*) مجلة الفكاهة، العدد ١٤، الصادر في ٢مارس١٩٢٧م.

؟؟ فصال على المليم يفلقني ... وفي الفصال يضيع الوقت أجمعه
يا أيها التاجر البكاش ويحك ما ... هذا القماش وما للريح تمزعه
قد غشني ليت كرباجاً أطيح به ... وراءه وبكرباجي ألسوعه
ماهيتي كل شهر صار يأخذها ... وأصبع امرأتي في عيني وأصبعه
هذا حرير وذا صوف وذي كلف ... أكعُّ أثمانها فيما أكععه
فقال إنك كذاب ومختلق ... وكل ما قلت تهويل توسعه
التاجر اليوم في دكانه صنم ... ومحضر الحجز يأتيه يشخلعه
وقد يجيء زبون رأسه خشب ... كلامه مثل حبل ليس يقطعه
يقلب الشيء تقليباً يدرمغه ... ولا نزعله لكن ندلعه
والسوق نائمة نوماً يطير به ... نحوي البروتستو يدهي القلب بعبعه
فقلت لو كان هذا شأنكم لبكي ... بيلوت باسك وسالت منهُ أدمعه
طول النهار تلم المال من طمع ... والبيلو باسك إليه المال تدفعه
برميل خمر إذا ما شافه رجل ... من التجار بلا شك يقربعه
تبعزقون فلوس الناس من سفه ... وحقكم مدفع فيكم أفرقعه
كيس النقود التي ضيعت آخرها ... وأدمعي مستهلات وأدمعه
ودعته وبودي لو يودعني ... طيب الحياة واني لا أودعه
أمال فين فلوسي لا أبا لكمو ... ومَنْ مِنَ الجيب مليمي يطلعه

قال أمير الشعراء :

سَــلامٌ مِــن صَــبا بَــرَدى أَرَقُّ ... وَدَمــعٌ لا يُكَفكَــفُ يــا دِمَشــقُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

بــبر الشـــام للتصـــيف ظــل ... ومصر بهــا لحــر الشــمس حــرق
وفي لبنـــان يـــا محـــلى ذراه ... هضـــاب كالكنافـــة أو أرق
إذا ذكـــروك يـــا لبنـــان صـــيفاً ... ولم أرحــل إليــك فقــد أطــق
أرى لبنـــان والأرز المفـــدى ... كفاكهـــة وكـــل الأرض بـــق
وأهــل الشــام أوجههــم حســان ... وفي مصر وجــوه النـــاس زرق
ومــن يــدخل فلســطين الســنه دي ... يــرى ســاعات حيطتهــا تــدق
بزلزلـــة تشـــقلب ســـاكنيها ... كمرجيجـــاءة ولا فـــيشي فـــرق
تشـــق الأرض تحتهمـــو كبشـــر ... وفيهـــا كـــل مـــن وجـــدت تـــزق
ومــن يعلــم بــما هــم فيــه يصــعق ... بخضـــته ومنـــه يطـــق عـــرق
فـــأين الراحمـــون ألم تشـــوفوا ... ألســـتم تســـمعون وذاك زعـــق
ألا يـــا أغنيـــاء بـــلاشي خـــبص ... وجـــيرتكم مـــا عنـــدهموش رزق
أتأكـــل كســـتليتاة بصلصـــا ... وتســكر ثــم بعــد الســكر عشــق
وبيـــت الخبـــاز مهـــدوم عليـــه ... ومعدتـــه بهـــا للجـــوع دعـــق
أغيثـــوهم والا قيـــل عنـــا ... مجـــانين رءوســـهمو تلـــق

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣٤، الصادر في ٢٠ يوليو ١٩٢٧م.

مـا تبقـوش كـدا عيـب علـيكم    إذا مـا كنتمـوش غجـراً حتبقـوا

**قال ابن النحاس الحلبي :**

رأى اللوم مـن كـل الجهات فراعه    فـلا تنكـروا إعراضـه وامتناعـه

قال حسين شفيق المصري (*)

إذا سـقط التلميـذ يـوم امتحانـه    فلا شـك مـن غيظ يعـض صباعه

ويقعـد مغمومـاً يـداري كسـوفه    بتفتيشـه عـن نصـف قـرش أضـاعه

يقـول أبـوه ألـف اخـص عـلى كـدا    ويضربـه كفـاً ويلـوي دراعـه

ويحلـف بـالله العظـيم بأنـه    إذا كـان وثـراً أو حمـارا الباعـهُ

فقـد زاده همـاً وخيـب قصـده    كـما ضـيع المـال الكثـير بتاعـه

ولـو كـان لم يكسـل ونـال شـهادة    لمـا كـان ثـوب حـين يفـرح سـاعه

ولكنـه في اللعـب كـان معفرطـاً    وكـان مـن التنطـيط يفـرد باعـه

إذا فـرغ الأولاد مـن لعـب كـورة    يـروح إلى الكـوبري يشـوف سباعه

ويامـا رأينـا في المسـاخر مشـيه    ويامـا نصـحنا وهـو يـأبي ارتجاعـه

فبصوا أمـا غـارت مـن الجـوع عينه    وهـل غـير هـذا الجهـل شيء أجاعـه

لـه في الزوايـا وقفـة بعـد وقفـة    مـن الغلـب فيهـا قـد أطـال التطاعـهُ

نعـم كـان متكـولاً عـلى مـال أمـه    ولم يـدر أن الـدهر ينـوي ابتلاعـه

وجـاء لـه مـيراث بابـا مودعـاً    ولم ينتظـر حتـى يطيـل وداعـه

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٣، الصادر في٤ مايو ١٩٢٤م.

ودينـي شباب المرء ياناس كوكب ... إذا جعلـوا التعلـيم فيـه شـعاعه

ومـن ضـاع منـه وهـو يلهـو شبابه ... فبحـر ظـلام يسكن الـنحس قاعـه

ومن لم يطع نصح الفتى فهو بعده ... إذا سـمع التنهيـق أمـراً أطاعـهُ

قال شرف الدين عمر بن الفارض :

سـائقَ الأظعـانِ يَطـوي البيـدَ طَـيْ ... مُـنْعِماً عَـرِّجْ عـلى كُثْبَـانِ طَـيْ

قال حسين شفيق المصري:(*)

وإذا لاقيـت مـن أهـواه قـل ... للـذي أهـواه مـن يهـواك جـي

إنـي اشـتقت إليـه وأرى ... مـن هـواه النـار تشـوي القلـب شي

في فـؤادي لحبيـبي عزبـة ... زرعـت شـوقاً وفيهـا الـدمع زي

وبـأرض الحـب أشـجار لهـا ... ثمـر يأكلـه المشـتاق ني

إنـي مـن وحشـتي في ظلمـة ... ومحيـاه كلـوب فيـه شي

ولـه في العيـد عنـدي بدلـة ... وقفـت بالخمسـميت قـرش علي

ولـه في العيـد عنـدي فسـحة ... نركـب الـتكس ونقـرأ "كـل شي"

فسـحة في أدب في حشـمة ... ليس فيهـا الخمـر تكـوي الكبـد كـي

فـإذا قـال سـخيف جاهـل ... اشربـوا قلنـا لـه روح غـور يـا خـي

إنـما الخمـر لمـن يشربهـا ... تكثـر الأحـزان والفـرح شـوي

إنهـا تصرع مـن تسـكره ... فـتراه ميتـاً في شـكل حـي

(*) مجلة الفكاهة، العدد١٨، الصادر في٣٠ مارس١٩٢٧م.

غـــير تضـــييع فلـــوسي كلهـــا بعـــد تـــوقيعي وســـلخي ركبتـــي

واجـــتماع النـــاس حـــولي زاعقـــا علهـــم إن ينظـــروا عطفـــاً إلي

احـــذروا في العيـــد مـــن أ، تشربـــوا خمـــرة كـــي لا تكونـــوا مســـخري

لا تهيصـــوا هيصـــة مورثـــة للأســـى بعـــد اللتيـــا واللتـــي

قال الطغرائي:

أصـالةُ الـرأيِ صـانتْنِي عـن الخَطَـلِ وحِليةُ الفضلِ زانتني لـدَى العَطَـلِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـعيي أخـيرا وسـعيي أولاً تعـب والمـي في مهمشـا كـالمشي في القلـلي

وتعرض الناس عني عند توسختي فـإن نضـفت فكـل النـاس تزغـرلي

دنياك إن قصدت تنغيص عيش فتى فـالرز بـاللحم مثـل المـش والبصـل

وأكـذب النـاس في بـدو وفي حضر مـن قـال إن بتـاع اللـب كـالنقلي

ومـن يكـن ذا فلـوس وهـو يكنزهـا ولـيس يصرفهـا فالبخـل كالقشـل

ومـن يقـع في عجـوز إن تزوجهـا فـإن ذلـك شـهر غـير ذي عسـل

ومـن يكـن لخمـة تـذهب كرامتـه لا يرهب الناس غير الزاجل الشضلي

ولـن تـرى امـرأة في الحـي قـادرة عـلى احـتمال بـلاء حـل بالرجـل

قطر البضاعة مشحون فهل نظرت عينـاك شـحنته يومـاً عـلى جمـل

واصرف همومك لا تزعـل فإنـك لا تحيي الذي مات بعد الموت بالزعل

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢١، الصادر في ٢٠ أبريل١٩٢٧م.

وكـن لنفسـك عونـاً في مطالبهـا ... فلـن يفيـدك سي علـوي ولا سي عـلي

والشـيخ فـاعلم كطفـل في تعقلـه ... والشـمس رأد الضحيكالشـمس في

واطلب حقوقك بالتغجير هاضمة ... الطفل فالحق إن لم تعجر غيرمتصل

أمـا الحيـاء فمنـه المـرء مسـخرة ... مـا خـاب لي أمـل إلا مـن ؟؟

تقـدمتني أُنـاس كـان شـوطهمو ... وراء خطـوي لـو أمشي عـلى مهـلي

قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض :

أَوَمـيضُ بَـرْقٍ بـالأُبَيْرِقِ لاَحـا ... أم في رُبَـى نجـد أرى مِصـباحا

قال حسين شفيق المصري: (*)

نجـد بهـا للغـاز قومبانيـة ... أنوارهـا تـدع المسـاء صـباحا

وبـمصر أخـرى لعلطـت أنوارهـا ... فظننـت في حاراتهـا أفراحـا

وأنـا امـرؤ قـد جئـت مصر ولم أكـن ... إلا غلامـاً حافيـاً فلاحـا

ودخلـت مدرسـة وكنـت معفرطـاً ... متنطـطاً متقفـزاً قزاحـا

متشـابطاً متلابطـاً متخانقـاً ... متصـارعاً متشـاتماً رداحـا

وإذا اهتـديت رأيتنـي متمألسـاً ... متمسـخراً متمألتـاً مزاحـا

لكـنَّ خوجـاتي عـليَّ تـوزوزوا ... وعـلى نفـوخي وهـات حتـى راحـا

فعلمـت أن اللعـب لـيس وراءه ... إلا دمـي تحـت العصـابة سـاحا

فجعلـت أقضي الوقـت بـين قـراءة ... وكتابـة متألمـاً وحواحـا

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٢، الصادر في ٢٧أبريل١٩٢٧م.

حتى ألفت الدرس ثم عشقته ... وصبحت في تعبي به مرتاحا

طول النهار أخط في كراريسه ... وإذا غلطت أحك بالمساحا

وأبص طول الليل في كتباته ... حتى أرى للشمس نوراً لاحا

والجاز أحياناً يكون بلمبتي ... دون الشريط ويزهق الأرواحا

فأروح للفوانيس أقرأ تحتها ... وأدور في طرقاتها سواحا

ونجحت ثم صبحت فيكم راجلاً ... ذا شغلة لا عاطلا مشكاحا

ولو المدارس دلعتني لم أكن ... إلا فتى على كيفه صرماحا

وكبرت في جهل وقلت حياتي ... وسرحت بين ربوعكم شباحا

إخص على زمن يجرم أهله ... ضرب الصبي ويشربون الراحا

والله لولا الضرب في التعليم ما ... نفع البليد ولا أصاب نجاحا

قال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الأندلسي:

سَل في الظَّلامِ أَخاكَ البَدرَ عَن سَهَري ... تَدري النُجومُ كَما يَدري الوَرى خَبَري

قال حسين شفيق المصري: (*)

أبيت أصرخ من ضرسي وأزعق من ... عيني وأهرش ما في ظهري القذر

حتى أخيل أني واخد سكناً ... بين الحمير وبين الخيل والبقر

أصل العيا فاعلموا توسيخ بدلتكم ... من التراب إذا ما ثار- م النقر

ومن يكن ذا طعام حامض فإذا ... مات ادفنوه وقولوا يا بلاد بجر

(*) مجلة الفكاهة، العدد، ٢٥، الصادر في ١٨ مايو ١٩٢٤م.

مـالي رأيـت الأفنـدي كلـه قـرف	كعربجي الـدبش والأوباش والغجـر
وهـل لـه زوجـة ليسـت تنضـفه	أتـارى زوجتـه مـن نسـوة غجـر
أمـا تشـوفينه في الشـمس يـا كبـدى	يمشى يطشـطش من دهـن ومن زفـر
وتلبسـين حريـراً ريحـهُ عبـق	مـن الكولنيـات ذات المشـمم العطـر
عشـان مـاذا وليـه في الموسـكي دائـرة	طـول النهـار بوجـه بـارد حجـرى
وفـرش بيتـك مثـل الأرض سـوَّده	ما تحمـل الريح من غلـب ومن عفر
والـواد والبنـت مـن أكـل الفواكـه لم	تنضـج أصيبا مـن الميكـروب بـالعور
تعـالى بصي أهـذا مطـبخ أكـذا	تكـون عيشـة كلـب حتـى يـا نضري؟
بـل لا ألـوم نسـاء الحـي لسـت أرى	لومـاً علـيهن اني صـادق النظـر
فـالزوج زوجتـه ليسـت تخالفـهُ	إن لم يكـن نعجـة أو راجـلاً سـكري
ربـوا نسـاءكمو ربـو بنـاتكمو	فضـحتمو نفسـكم في البـدو والحضر
تنضـفوا أو فـإن المـوت يخطفكـم	والموت يخطف مثل الراجل النوري

قال أبو الفتح البستي:

زيـادَةُ المَـرء في دُنيـاهُ نقصـانُ	وربْحُـهُ غَـيرَ محـض الخَـير خُسرانُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

والعلـم يرفـع بيتـاً لا عـماد لـه	والجهـل يهدمـه فالبيـت كـيمان
وقـد يخـاف عـلى الأموال جامعهـا	واللص يـا صـاح لا يخشـاه عريـان

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٢٤، الصادر في ١١ مايو ١٩٢٤م.

ولا وقـار لإنسـان ولـيس لـه حـدائق وسرايـات وأطيـان

فـاجمع بعلمـك مـالاً تسـتفيد بـه فـالعلم مـن غـير مـال مالـه شـان

تـدرى وتعجـز عـما أنـت عارفـه فأنـت بـالعجز مثـل الليس دريـان

وقـد عجـزت ولى علـم وتجربـة فوبخـونى وقـالوا أنـت خيبـان

لا يشـعرون بـما ألقـاه مـن ألم وهل يبالى بقرص الجوع شبعان؟

لسـوف أرحـل عـن أرض لأجهلها مـال وأعلمهـا غلبـان كحيـان

وهـل تطيـب حيـاة المـرء فى بلـد وأنتمـو عمـد فيهـا وأعيـان

أحسست أنى من همي ومن حزني تعـض قلبـى أضراس وأسـنان

وقـد سـمعت أحاديثـاً تروعنـى ومفـيش مـن غـير نـار قـط دخـان

وينكـرون الـذى كالشـمس سـاطعة بـالله ربكمـو هـل نحـن عميـان؟

مـا كـل مـن يتغـاضى عينـه عمشت فقـد تـراه عبيطـاً وهـو شـيطان

فـلا تغرنـك أثـواب مزركشـة قـد يلـبس الحلـة الغليـاء جربـان

ولا تهولنـك أطـمار ممزقـة فكـم تنكـر فى الأطـمار سـلطان

وإن زعلت فروح من وشي بس بقى بزيـاده فـارق ولا كـانى ولا مـانو

قال أبو العلاء المعري:

غَـيْرُ مُجْـدٍ فِي مِلَّتـي واعْتِقـادي نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنُّمُ شـادِ

قال حسين شفيق المصري: (*)

| | |
|---|---|
| خفف الأكلَ ما أظن أديم الـ | بطن إلا من كثرة الازدراد |
| وطعام على بقايا طعام | من قلوب الخرفان والأكباد |
| ولقد تحرق المصارينَ خمرٌ | من سبيرتو يكوى الفتى فى الفؤاد |
| وإذا تخمة وسكر أصابا | رجلاً بيع عفشه فى المزاد |
| يتوفى من بعد تضييع ما في | يده ثم بوسه للأيادى |
| وعليه دين به يأخذ الدا | ئن فرش البنات والأولاد |
| فيقولون في جهنم يابا | با على ولعة بغير رماد |
| وتذوق البنت العذاب بزوج | غجرى من عصبة أوغاد |
| كلما كلمته قال لها لو | لاي منتي تقولى ياأسيادي |
| ويذوق الواد العذاب من الفقـ | ر وفي الفقر طول ذل الواد |
| ليس يغنيه قوله كان أصلي | كان فصلي والفجر بالأجداد |
| رب "باشا" في برجوان اضطرارا | بعد ما كان قصره فى "المعادى" |
| ويفوت الحريص ملا فيفنيـ | ـه بنوه بمشيهم فى الفساد |
| ما لمال مع السفيه بقاء | وهو هلس وعقله فيري باد |
| والفتى حينما يكون جهولاً | حيوان ورأسه من جماد |
| علموا اتعس الولاد يكن بالعـ | لم في هيصة من الإسعاد |

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٨، الصادر في٨يونية١٩٢٧م.

قال الأعشى:

مــا بُكــاءُ الكَبـيرِ بِــالأطلالِ   وَسُــؤالي فَهَــل تَــرُدُّ سُــؤالي

قال حسين شفيق المصري:(*)

أيـن أحبابنـا اللى كـانوا هنـا را   حـوا وخلـوا لي كبشـة الأنـدال
كلـما مسـهم أذى نــدهوا لي   روحوا غوروا عني بقى وأنا مالى؟
كنـت فى الغلـب لايصاً أتـلضى   وأعـض الحيطـان مـن ظلـم حـالي
وتقولـون جـت دا نايبـاء مـالو   كدا قـم فـز روح يـا شيخ من قبـالى
ياما شـفت الأسـى وياما طغيتم   يامـا لوعتمـوني يامـا جـرى لي
هـل نسـيتم أيـام كنـت أجيكم   فتسـبون لي كــدا طــوالي
خبرونـى أيشـمعنى صرت عزيـزاً   مـن كلامـى الخفيـف أو مـن جمـالي
أنـا في غايــة الخشـونة والتغـ   ـجير في هيئتـى وفي أقـوالي
أنـا لـولا مـالي لمنـت عـدو الأ   نـس والجـن والحصـا والرمـال
دا أتـارى مـالي اللـي خـلالى قـيما   مـع النـاس رب خليـك يـا مـالي
شـوفوا بالمـال رح تبوسـون أيـدي   بعـد مـا كنـت ملطشـاً للعيـال
كنـت أعيـا يقـال إمتـى تمـوت يـا   طور ودلوقت يللا تشفيه دا غالى!
إخص ع الفقر إخص ع الغلب ٦٠   إخـص ع الـذل كائـداً للرجـال
قـال أجـدادنا الأوائـل إن الـ   ـقرش الأبيض ينفع في سود الليالي

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في١يونية ١٩٢٧م

اعقلــوا وفـروا الفلـوس اجمعوهـا      واشتروا الأرض والقصـور العـلالي

هَم يعنى الأغنياء مش كـانوا برضـو      فقـــرا قبـــل هـــذه الأمـــوال

قال على بن الجهم:

عُيـونُ المَهـا بَـينَ الرُصـافَةِ وَالجِسرِ      جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

قال حسين شفيق المصري:(*)

ألا اغلقــوا الشــباك فـــالجو بـــارد      وهـذا الهـوى الشـتوى في جتتـى يهـري

ومـا بـالهوي العــذري دائــى وإنــما      هواء الشتا هـو اللي رايح ياخـد عمـرى

ولا بلطــو أيـــام الصــقيع يصــوننى      ويحفظنـى فى الليـل حـين أجـي وخـري

ألم تزعمــوا أن الحــروب هــي التــي      بهـا صـارت الأثـواب غاليـة السـعر

وها قـد مضـت تلـك الحـروب فـما لنـا      نـرى مـن تجـار السـوء قاصـمة الظهـر

ويـا ليـتهم خلـوا القـماش كويسـاً      يسرك في طـــي ويرضــــيك فى نشر

ولم يجعلـــوه كهنــــة لــــو لبســـته      يشـيط وعنـد القلـع تمزعـه دغـري

إذا أفـاق الإنسـان م الـبرد فاعـذروا      قماش اليـومين دول يجلـب الـبرد في الحر

ولوكنـت باشـا كنـت في البيـت نـائماً      أقـــرفص كمشـــاناً إلى ســاعة الظهـــر

ولكننـــى زي مـــا أنـــت شـــايف      على شغلتي أصحى وأخـرج من بـدري

لقـــد كنـــت عنـــد "استين" أدخــل      جواكيت م العال اللي تبقى مـدى الـدهر

وآخـــذ منـــه جـــاهزاً مـــا أعـــوزه      ينتـوا وإن غلـوه فهـو "جنيـه مصري"

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٥٥، الصادر في١٤ديسمبر١٩٢٧م.

فــإن ســألوني الأصــدقاء فــإنني أطـس لهـم سـعراً وأدخـل في الـفشر
ومـن "مـاير" يامـا اشـترينا جـواهزاً ولم نحتـوج للـترزي ينخـع بـالمتر
وهـا نحـن إمـا أن نفصـل بدلـة لهـا ثمـن يـا صـاح اكثـر مـن مهـر
وإمـا بقـاء في الشـتاء برعشـة تشـيلك مـن شـبرا لبوابـة الـنصر

قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَمِـن آلِ نُعـمٍ أَنـتَ غـادٍ فَمُبكِـرُ غَـداةَ غَـدٍ أَم رائِـحٌ فَمُهَجِّـرُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـأرحل عنهـا إنهـا لعبيـة إذا مـا رأتنـي شـائبا تتمسـخر
عـلى أنهـا شـابت وتصـبغ شـعرها وتحسب أن الشيب بالصبغ يستر
ولكـن سـواد الشـعر خلقـة ربنـا يبان وبرضـو صبغة الشعر تظهر
وهـب أن هـذا الشيب تخفيه صبغة فكيف اختفاء العظم وهو مكعبر
أرى العظم تحت الجلد يبدو بوجهها فهـل يستبيكم وجهها المتحجـر
وفيـه تجاعيـد تراهـا كأنهـا لمصـلحة التنظـيم إذ هـي تحفـر
ومهما يكـن لـون المساحيق فهي لا تخبـىء لـون الوجـه حـين يجنـزر
فيا نعـم مـا هـذا الـدلال وقـد مضى زمان الصبا والموت نحوك يزغـر
تفشـخرت أيام الشباب فهـل تـرى إذا نحـن شبنا برضـنا نتفشـخر؟
عـلى شـان مـاذا بـس لم تتزوجـي وشـعرك مسـود ووجهـك أحمـر

(*) مجلة الفكاهة، العدد٦٣، الصادر في ٨ فبراير١٩٢٨م

لقد كنت أيام الشباب لطيفة ... وحسنك فتان ولحظك يسحر
ولكن رأي الشبان منك تشخلعا ... كثيراً وتنطيطاً طويلاً فز نفقروا
وقالوا فتاة دائما مش بتستحي ... وآه عليها يا أخي لو تغجر
فلم يتزوجها امرؤ وتعوقت ... وشاخت ولما تعتدل يا سي بعجر
ومن ذا الذي يرضى بزوج خليعة ... تخلي اسمه بين المجالس يخسر
فيا ألف اخص ع الفتاة سفيهة ... وع اللي إذا ما عجزت تتغن در

قال الشريف الرضي :

أَعَلِمتَ مَن حَمَلوا عَلى الأعوادِ ... أَرَأَيتَ كَيفَ خَبا ضِياءُ النادي

قال حسين شفيق المصري:(*)

شالت لنا الكنتور قومبانية ... ملعونة الآباء والأجداد
فعدت سلوك الكهرباء كأنها ... خيط من القطن البسيط العادي
هو لكتريك غير أن بياضه ... في بيتنا متبدل بسواد
فالنور متقطع وذلك كسفة ... في وشي بين أحبة وأعادي
ياشركة الزفت المسيَّح إيه جرى ... يادي العمى ، يادي البلا ، يادي يادي
آه ، أي نعم ، مطلوبها متأخر ... في دفعه يومين عن ميعادي
لكن ثلاثة أشهر مدفوعة ... من إيدي تأميناً لها ياسيادي
اشمعنى تأميني لديها نائم ... من غير فائدة ولا إيراد

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٦، ٢١ الصادر في ديسمبر١٩٢٧م.

وعشان ماذا بس تأمينٌ إذا ... كانت لي آخر الشهر بالمرصاد

ماهش مآمناني وأنا آمنتها ... بقى يعني أنا اللي ذمتي نفّادي؟

ومن الذي يرضى إهانته كدا ... ما لم يكن رجلاً من الأوغاد

بلا كهربا والجاز أشرف لي ولا ... حكم الغريب عليّ وأنا ف بلادي

مش تختشون بقى ونعمل شركة ... للنور تغنينا عن الشركادي

مش تختشون بقى وفيكم أغنيا ... قد كوّموا الأموال كالأطواد

مش تختشون بقى وبزياده كدا ... مش تسمعون زعيقي لما أنادي

رجالة ، آه ، أي نعم ، رجالة ... شايبين ولكن برضه كالأولاد

قال شاعر النيل حافظ بك إبراهيم :

لا تَلُم كَفّي إذا السَيفُ نَبا ... صَحَّ مِنّي العَزمُ وَالدَهرُ أَبى

قال حسين شفيق المصري:(*)

زفلط السيف بكفي عرق ... سال كالماء إذا ما سرسبا

عرق بلل أثوابي ولو ... لاه كان الثوب فوقي هلبا

وكأني لحمة مسلوقة ... أوقد الدهر عليها الحطبا

واذا بالريح فيها شعلة ... لخلخت أكتافنا والركبا

هات حدثني عن الثلج عسى ... برد القلب - حديثا عجبا

ليس لي في لوح ثلج مطمع ... قطعة منه تنيل المأربا

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٥، الصادر في٢مايو ١٩٢٨م.

غـــير أن الـــثلج أغلـــوه فلـــو ... نلـت شـيئاً منـه نلـت الكوكبـا
في احـــترام الباشـــا للـــثلاج كـــم ... طأطـأ الـرأس لـه وأحـدودبا
وبجـــور الـــثلج أضـــحى كعبـــة ... تـذهب النـاس إليهـا موكبـا
والثيـــاب البـــيض صـــارت مطلبـــا ... فـارفعوا للـترزي هـذا الطلبـا
مـــن يشـــأ عـــزاً ومجـــداً باذخـــاً ... حاكيـاً فـيها يضيء الشـهبا
فليشـــع في كـــل حـــي أنـــه ... تخـذ الـترزيَّ أمـاً أو أبـاً
عنـــده كـــل قـــماش أبـــيض ... يجعـل الحـر لـدى اللـبس هبـا
إن في الصـــهد لنـــاراً أحرقـــت ... حـاجي والـرمش ثـم الشـنبا
ليتنـــي أغـــدو مـــن الأســـماك في ... بركـة أجعلهـا لي مكتبـا

قال عمر بن الفارض :

قلبـــي يُحَـــدّثني بأنّـــكَ مُتْلِفِـــي ... روحـي فِـداكَ عرَفْـتَ أمَ لم تَعْـرِفِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

علشـــان مـــا اني أذوب صـــبابة ... تتـدلعين فبزيـاداك تعطفـي
إشـــمعنا غـــيري تســـمحين بقربـــه ... وأنا الذي إن رمت قربك تكسفي
ردي عـــليّ بـــلاش بغـــددة بقـــى ... وأريني عـدلك يـا بديعة وانصفي
إن الأرســـتقراط في شرع الهـــوى ... مـا لـوش معنى والنبـي فتبلشفي
أو فـــاعلمي إن الجـــمال إذا بـــدا ... أغـوى وهـاتي ملايـة وتلفلفي

---

(*) مجلة الفكاهة العدد، ٧٣ الصادر في ٨أبريل ١٩٢٨م.

دنـا لـو تكـونين ابنتـي يـا هـذه ... وأراك في هـذا التـبرج أختفـي

والله أرمـي روحـي عنـد محطـة ... ليدوسـني الترمـاي قبـل الموقـف

أو لـيس بأفـاً مـن يكـون أبـاً لمـن ... تمشي كمشنيك وهـو لم يسـتنكف

يـا هـذه غطـي ذراعـك إن ذا ... عيـب ومـش حلـواء دنتـي تقـرفي

قد كنت أضحك حين قلت جميلة ... أيـن الجـمال بقـى يـا بنـت الأخنـف

إن الجـمال هـو التحشـم حيـنما ... تمشـين في أدب بغـير تكلـف

مهما صبغت الوجه فهو مكرمش ... روحي اغسليه بلاش سوء تصرف

كرمشت وجهك بالصباغ مع الصبا ... اشحال لو عجزت روحي تشطَّفي

إخـص عـلى مخـي دنـا زعلتهـا ... بقسـاوتي وبغلظتـي وتعجـرفي

هـذا هـزار كلـه لا تـزعلي ... دنـا مـن هـواك ملهلـب لا أنطفـي

شـوفي عيـوني مـن سـهادي حمـرة ... ومـدامعي مـن جمعـة لم تنشـف

قال عنترة بن شداد العبسي :

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ ... وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ما لي أرى البنت قـد شـالت ملايتهـا ... هـل راجـل هـي لكـن مـا لـه شـنب

نعـم هـو الحـر والـدنيا ملهلبـة ... وإننـا كلنـا في نارهـا حطـب

اشـمعنى يعنـي مـرات المـرء عاريـة ... وهـو مكسي أمـا هـذا هـو العجـب

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣٦، الصادر في ٣ أغسطس ١٩٢٧م.

عريانة ملط خالص وهي طالبة ... رفع الحجاب فقولوا لي فين الأدب
ويا خليليّ قولا لي حكومتنا ... بأي شكل إليها يرفع الطلب
بدي تشوف الحواري كلها قرف ... فيها جراثيم إن شافت فتى تثب
وللذباب مزازيك منظمة ... لعزرئيل على تنغيمها طرب
وفي الشوارع بياعون عندهمو ... من الفواكه ما فيه لنا العطب
السواد يأكل منها فهي تقتله ... والست هانم في الموسكي كما يجب
والشمس ترقع في رأس الجعيص ولا ... ظل ولا شجر من تحته كنب
بل الجناين ما حدش بيدخلها ... من غير قرش ومنها لست تقترب
والرش في الصيف ممنوع فسكتنا ... فيها تراب وفيه تغطس الركب
والكنس يارب لا تورينا عفرته ... تعمي العيون وفيها السل والجرب
ماذا يغيظك منا يا حكومتنا ... وليه كدا تقتلينا ليه إيه السبب؟
إن الضرائب منا تأخذينهمو ... عشان صحتنا اللي رايحه تنشطب
فراقبي الله فينا إننا غنم ... وأنت راعي وديب الموت مرتقب

قال السيد عبد المحسن الكاظمي :

إلى كم تجيل الطرف والدار بلقع ... أما شغلت عينيك بالجزع أدمع

قال حسين شفيق المصري:(*)

أفتش في الديوان عن واحد له ... نفوذ لتوظيفي وفكري موزع

يقولون لي هل من وسيط تجيبه ... شفاعته عند الرئيس بتنفع

فهل كانت الليسانس لما أخذتها ... شهادة تلطيم بها أتسكع

أليس حراماً إنني بشهادتي ... أدور على أبوابكم أتلطع

وغيري عشان محسوبكم متوظف ... أراه عليكم دائماً يتدلع

بغير شهادات ولا فهم عنده ... بليد وفي أشغاله يتلكع

ولو لم يكن محسوبكم كان حقه ... يكون حماراً أزرقاً يتبردع

نعم أنا في كشف الطبيب نخستك ... ولكن أما هذا الأفندي أقرع

وكم من جهول غيره ومهزّإ ... قفاه خليق بالكفوف تطرقع

قضى عمره في المدرساء بلية ... وفارقها والعقل منه مفرقع

أراه غداً بالمحسوبية فالحاً ... ويمشي قيافا بيننا يتشخلع

دا ماهش كدا دي مش أمور لطيفة ... دي حال تخلي العقل م الرأس يطلع

على إيه شهادات بلاشي مدارس ... وهمٌ طويل بالبلاء مرصع

وشوفولكو شغلاً غير هذا فانه ... بقى شيء مالوش في الدواوين موضع

إذا كنت ذا عقل فكن ذا صناعة ... أو اسرح بفجل حين يمضغ يبلغ

أرى طالب التوظيف ليس براجل ... ومن كان ذا شغل فذلك مجدع

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في ٨أبريل١٩٢٨

قال أبو الطيب المتنبي :

لا خَيلَ عِندَكَ تُهديها وَلا مالُ   فَليُسعِدِ النُطقُ إِن لَم تُسعِدِ الحالُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

اشحال لو كنت ذا مال تفرقه   على الأرامل والأيتام اشحال
إذن لكنت حبيب الناس لو نظروا   إليك م الحب ع الأكتاف تنشال
أنا الظريف اللي قولي كله عجب   كأنه لولؤ نقاه غربال
اشقلب الناس بالتنكيت من ضحك   مسخسين على أثوابهم با ...
ولي إذا جد جد الناس واختلفوا   فصل المقال وأحكام وأمثال
رأيي صحيح إذا الباشا يخالفه   فذلك الباشا مهما كان زبال
قولي فصيح حمار السكه يفهمه   فيرتقي دغري بغلا شكله عال
وكل هذا ولا نش حاجه ياولدي   إذ كل مالي ملاليم ونكلال
يأيها الرجل المزجى مطيته   إلى الجزيرة والتمبيل شغال
إنزل عن الجحش ما هذا الزمان كدا   هذا الزمان شياكات وجنتال
اصرف فلوساً وفخفخ في ديارهمو   يمدح فضائحك الوسخاء جرنال
وكن تقياً نقياً صالحاً ورعاً   وكن فقيراً يقولوا دنت بطال
العلم سطر مدير البنك ينشره   ع البنكنوت ومحرومه جهال
فخد علومي وآدابي وفلسفتي   وهات فلوساً ويكفيني في ده ريال

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٥، الصادر في١١ يوليو ١٩٢٨م.

علـم ولادك جمـع المـال يـنفعهم وقت الشدائد دي الدنيا دي أنـدال

قال كعب بن زهير:

بانَـت سُـعادُ فَقَلبـي اليَـومَ مَتبـولُ مُتَـيَّمٌ إِثرَهـا لَم يُجـزَ مَكبـولُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ضاعت فلوسي عليها قبل ما ذهبت وكـان مـالي بـه لا يـنهض الفيـل

ياما اشـتريت بيوتـاً مـا لهـا عـدد وكـل يـوم شراء ثـم تسـجيل

وكنـت صـاحب أطيـان أؤجرهـا وكـل يـوم مـن الإيجـار تحصـيل

فبعـت هـذا وهـذا واتلهيـت عـلى عينـي وهـذا مقـامي الآن مقلـول

ومـن يفلـس يكـن في النـاس مهزأة وللكفـوف عـلى خديـه تطبيـل

إذا رأى دائنـاً يـأتي يطالبـه يكـش حتـى تـراه عرضـه طـول

مـا سـابه واحـد إلا لصـاحبه كـأنما هـو في الأصـحاب فوتبـول

أيـن الأتمبيـل يجـري بي يفسـحني هـل جزمتـي الآن في رجـلي أتمبيـل

أنا الذي كنت "باشـا" في مجالسـكم فهـل نسـيتم وليـه بـس التبهـديل

لو كـان يصحو أبي من موتـه ورأى حـالي لـداخ وولى وهـو مسـطول

لولا سعاد ولولا الخمر ما ذهبت لي ثـروة ثـم قـالوا أنـت مخلـول

ويلعنـون أبي اللـي باسـوا جزمتـه لان لابـن أبي جهـل وتغفيـل

يـا ليتـهُ كـان ربـاني وعلمنـي بـدال مـال أضـاعته الأضـاليل

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣٧، الصادر في١٠ أغسطس ١٩٢٧م.

لا شـك إن أبي المرحـوم خلفنـي ... وكـان إذ ذاك قـد أعـماه منـزول

يـا قـوم لا تحسبوا الأمـوال نافعـة ... أولادكـم بعـدكم فالمـال حيـزول

وعلمـوهم يصـونوا المـال بعـدكمو ... وينقضي الـدهر وابـن العز جنتيـل

قال جرير بن عطية الخطفي :

أَقِـلِّي اللَّـومَ عـاذِلَ وَالعِتابـا ... وَقـولي إِن أَصَـبتُ لَقَـد أَصـابا

قال حسين شفيق المصري:(*)

أفسـتانان في شـهر وهـذا ... علـيَّ الثـوب مـن عـامين ذابـا

تريـد ملابسـاً في كـل يـوم ... وقـد مـلأت ملابسـها الـدلابا

وهـذا البـالطو ألبسـه زمانـاً ... طـويلا حتـى شـعر البـالطو شـابا

ياستي يـا عيني يـا روحي قولي لي ... أمـا تـدرين أنـا (نـاس غلابـا)

دنـا مـاهيتي يـا دوب تكفـي ... ألم نعقـل وقـد شـفنا العـذابا؟

ولـيس أبي ولـيس أبـوك باشـا ... فـلا تتعنطـزي وتقـولي بابـا

ألـيس أبـوك غلبانـاً كحـالي ... وفي الأعيـاد مـا أكـل الكبابـا

وكـان أخـوك يـمشي وهـو حـافي ... وبالقبقـاب مـا عـرف الشـورابا

وأمـك في الملايـة كـل يـوم ... تـنط كأنهـا صـارت غرابـا

فلايميهـا ودينـك وارحمينـي ... مـن المصـاريف تقّلـت الحسـابا

أراني كلـما سـددت بابـاً ... فتحـت علـيَّ يـا بنبـاء بابـا

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٦٠، الصادر في ١٨ يناير ١٩٢٨م.

لأجلــك صرت نصــاباً وأخشــى  إذا ظبطـــوني ودوني النيابـــا
عشــان مــاذا الــزواق وقــد كبرنــا  وعجزنــا ولا مــا احنــاش شــبابا
أشــخلعة وشــعرك صــار قطنــاً  وهــل لا يعــرف النــاس الخضــابا
كســـفتيني فضـــحتيني ده وشي  مــن الكســفات يلتهــب التهابــا
يــاريتني لم أشــفك ده كــان زفتــاً  نهــارك يــوم مــا كتبــوا الكتابــا

قال الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيــرَةَ إِنَّ الرَكــبَ مُرتَحِــلُ  وَهَــل تُطيــقُ وَداعــاً أَيُّهــا الرَجُــلُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

شالوا العـزال وراحـوا كلهـم سـحراً  إلى بجــور لــه مــن تحتــه عجــل
يجــري ويــنفخ دخانــاً فتحســبه  ســحائباً بعضــها بــالبعض متصــل
وقــد يصــفر أحيانــاً فيطربنــي  كأنــه (ســامي شــوا) حــين يشــتغل
يــا رايحــين وروحــي في بريمكمــو  هــل في البريمــو لجسـمي عنـدكم أمـل
قــالوا قطعنــا بســابورتاً نــروح بــه  إلى أوربــا عشــان الجــو يعتــدل
في مصر حــر شــديد لا يطــاق ومــا  في مصر سهل (عـلى كيفنـا) ولا جبـل
ومصر كــالمش لا يلتــذ آكلــه  أمــا أوربــا فســمن طعمــه عســل
بهــا التيــاترات فيهــا كــل راقصــة  أخـوك لـو شـافها في الـدنس يختبـل
وهل خلقنا لغير الهلس مونشيرامي؟  وهــل لمــن جــد إلا الفقــر والفشــل

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٢، الصادر في ١١ أبريل ١٩٢٨م.

خليـك أنـت في مصر غـير منتقـل ... إن المفلـس مقـرون بـه الكسـل

وهـل يعـيش بـلا أنـس وفرفشـة ... إلا الحمار الـذي ضـاقت بـه السبل

نعـم تضيع فلـوس ثـم ارجـع مـن ... أوربـا يهـري حشـاي الهـم والزعـل

أعـيش مـن سـلفيات منوعـة ... والـدين لـو كـان حملا يـبرك الجمـل

ومـن يكـن راهنـاً أرضـاً فقـد ذهبـت ... ويـنقضي مـن حيـاة الثـروة الأجـل

يـاريتني ابقـى هنـا في مصر بـس أنـا ... نـفسي أروح كعمـول لـه عمـل

والله لـو كـان لي عقـل لأرجعنـي ... لكننـي رجـل مـن طبعـه الهبـل

قال عمر بن الفارض :

هو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهَوى سهلَ ... فـما اختـارَهُ مُضْـنى بـه ولـه عقْـلُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تطـالبني أسـماء أن اشـتري لهـا ... فسـاتين مـن تفصيلها يجمـل الشـكل

وأن أشـتري سـيارة لركوبهـا ... أفسـحها فيهـا ولـو عطـل الشـغل

فقلـت لهـا إن التنـزه بـايخ ... إذا كـان لا يـمشي الفتـى ولـه رجـل

فقالـت سـخيف الـرأي أنـت وهكـذا ... يكون الفتى جلفاً إذا استحكم البخل

ولا والنبـي ياسـت لسـت بباخـل ... عليـك ولكنـي كـما يعلـم الكـل

فـلا أنـا ذو مـال ولا أنـا باشـة ... ولا أنـا نصـاب ولا صـنعتي النشـل

أأركـب في التمييـل ويحـك بعـد مـا ... تعـودت ع (الكـارو) يجرجـره بغـل

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٧،الصادر في ١٦ مايو ١٩٢٨م.

دنـا لـو أرى مـثلي ومثلـك مـرة ... ف سـيارة أقضي بـأنهمو هبـل

عـلى إيـه كـدا دحنـا ولـو تـزعلين لا ... فـارس ولا ملـك ومأكلنـا الفجـل

أفنجصـة مـن غـر مـال وشـمخة ... ونحـن كـما تـدرين لـيس لنـا أصـل

أمـا كنـت يـا أسـماء حافيـة وهـل ... نسيت اختشي يا ادلعدي وبلاش جهل

لهـو الحـب نهـب في الفلـوس وبلصـة ... منـيش بقـى م العشـاق إنهمـو هبـل

عشـان مـا أنـا مفتـون بحبـك مغـرم ... تقـولين لي هـات هـات وهـذا هـو القتـل

فيـا تجعلـين الحـب لله خالصـاً ... يـا أسـلوك والـلي الحـب يفلسـه يسـلو

ده مش حب ده شغل الأونطة فـارجعي ... عن الخطف أو روحي بقى دنا حااختـل

قال النابغة الذبياني:

كِلِينـي لِهَـمٍّ يـا أُمَيمَـةَ ناصِـبِ ... وَلَيـلٍ أُقاسـيهِ بَطـيءِ الكَواكِـبِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تلكـع لـيلي في المسـير كأنـه ... محب مشي من عند إحدى الكواعب

فبـت ألالي مـن صـداع أصـابين ... وأخلـع أضراسي بعـض المراتـب

فيـا لـك مـن ليـل كبحـر مطمطـم ... عليه سريـري مثـل إحـدى المراكـب

ولكننـي في مركـب مـن يخشـها ... يشوف البلاوي جتني من كل جانب

وكـم في ميـاه النيـل مـن ذهبيـة ... تهيص بهـا الأحبـاب ويـا الحبايـب

بعـود وقـانون ودف مشـخلل ... يتابعـه الرائـي بهـز الحواجـب

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٩، الصادر في١١ يناير ١٩٢٨م.

حوالي خوان للزجاجات فوقه ... صفوف وجيش الأنس خير محارب

رجال ونسوان وخمر ومزة ... وليس لهم من عاذل أو مراقب

وقد خلعوا عن وشهم برقع الحيا ... ولو أن فيهم بعض أهل المناصب

وفي ساعة الحظ اللي زي دي لا ترى ... تكبر باباش أو تصاغر حاجب

وفي البر فتيان وفي البر نسوة ... لهم نظرات شكلها مش مناسب

وألفاظهم ما أقدرش إني أقولها ... يلغمط ذقني عيبها وشواربي

ومن لم تكن من حظه ذهبية ... لقلة مال هاص برضو بقارب

نعم إنهم صاروا بعيدين عن هنا ... ولكن أهذا منعه غير واجب؟

وللهلس ناس يرمحون وراءه ... حفاة على الرجلين فوق العقارب

وما زال في أرض الجزيرة كل ما ... عهدناه من هلس وصرف مكاسب

فان كنت ذا مال فإنك آمن ... هناك أو ارجع قبل ضرب الشباشب

قال الشريف الرضي (١):

بكر العارض تحدوه إلى الدار النعامى ... فَسَقاكَ الريّ كل الريِّ يا دار أماما

---

(١) وكذلك مهيار الديلمي

بَكَرَ العارضُ تحدوه النُّعامى ... فسقاكِ الريُّ يا دارَ أماما

- وكذلك عماد الدين الأصفهاني

بكرَ العارضُ تحدوه النُّعامى ... سُقيتِ الغيثَ يا دارَ أماما

قال حسين شفيق المصري:(*)

لا أراهـا عنـدما أسـعى إليهـا وهـي في الـدار لأني أتعـامى

وأبوهـا وأخوهـا عـن يمينـي وشـمالي كغفـيرين أقامـا

سـألاني عـن مجيئـي قلـت شـوقي لكـما قـد هـام بـالنفس هيامـا

ولـو الأمـر بيـدي يـا سي فهمـي لغـدا راسـهما تحـت الترامـا

وإذا جـاءت لتلقـاني ببيتـي وجـدت فيـه مـن الأهـل زحامـا

فتعـالي تجـديني في انتظـار عنـد ذاك الحلـواني مـع مامـا

أمـك الحسـناء تلقـى عاشـقيها عنـده في سـاعة الـعصر تمامـا

وأراهـا وتـراني كـل يـوم فهـي تخشـاني إذا قلـت الكلامـا

وإذا الأم مشـت في مسـخراء فهـي لا تمنـع م البنـت غرامـا

لا يـزج البنـت إلا أمهـا في سـكة الهلـس إذا مـا الأب نامـا

يـترك الزوجـة والأولاد لـيلا سـاهراً في حانـة بـين النـدامى

كـل مـا يـدري مـن الـدنيا طنـاشي أو خريسـتو يمـلأ الكـأس مـداما

ويزيـد الطـين طينـاً فوقـه وحلـة ع الـرأس لـو شـم جرامـا

يلحـس العقـل فـلا يـدري بشيء ويظـن البيـت قـد صـار برامـا

ويـرى العصـفور تيسـاً بقـرون ويـرى الجـاموس في الغـيط حمامـا

إخص ع الدنيادي دي الدنيادي هلس يامـا شـفنا مـن بلاويهـا ويامـا

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٨٠، الصادر في ٦ يونيو ١٩٢٨م.

قالت السيدة عائشة التيمورية :

إن سالَ مِن غَرب العُيونِ بُحور  فَالدَهرُ باغ وَالزَمان غَدور

قال حسين شفيق المصري:(*)

تمثال نهضة مصر غير كويس  إياك يدهسه يا خويا بجور
بنت مسلوعة برش كالح  ما فيه إلا ذلك المناخير
وبجنبها أسد يشابه نعجة  مدقوقة في عينها مسامير
مش عارفين تريد ماذا هذه  من ذاك إذ قالت له بونجور
هل رمز مصر البنت أو هذا الذي  تدعوه إني حائر محيور
إن قيل إن البنت رمز فهو في  هذا المكان كأنه طرطور
بقى دا الذي قلتم عليه إنه  فن جميل ما لهوش نظير
إيكو على بختي فبختي مائل  ما فيه تبديل ولا تغيير
يا دهوتي يا نايبتي يا ادلعدي  يادي الكسوف ودي الكلام كتير
ضاعت فلوسك يا بلاد وأنت في  غلب ونيل المال فيك عسير
ياليتهم عملوا بدال دا ورشة  للنسج فيها قطنة وحرير
أو مصنعاً للكبرءوت فانه  نار ومنها يا عيوني نور
أو دار أيتام تلم عيالنا  وبلاش تشريد ولا تخسير
المال يعمل كل شيء يا أخي  بس احنا ناس عقلنا مقشور

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٢، الصادر في٢٠ يونيو١٩٢٨م.

بل ربما ناس رأيهم غير الذي ... ابتديته وأنا اللي عقلي صغير

لكنني أعلنت رأيي وهو لي ... حق فلا تزعل به ماي دير

قال بهاء الدين زهير:

رَسولُ الرِضا أَهلاً وَسَهلاً وَمَرحَبا ... حَديثُكَ ما أَحلاهُ عِندي وَأَطيَبا

قال حسين شفيق المصري: (*)

تحدثني عن زينب وبناتها ... أحاديث منها بطن حبي كركبا

أزينب في شرخ الشباب وعمرها ... يزيد عن الستين غير سني الصبا

إذا ما رأت صغرى البنات تبرجت ... غدا صدرها من غيرة متلهبا

وإن أبصرت كبرى البنات وعاشقاً ... يغازلها هزت من الغيظ شبشبا

تقول بناتي ليس فيهن حلوة ... لتأخذ منهن الفتى المتصببا

وتجري إلى الحمزاوي تطلب خلطة ... تسمنها حتى ترى البغل أرنبا

وتأكل حنتيتاً إذا الكلب شمه ... أصاب الصداع الكلب منه فهبهبا

وكم زعق الجيران من خبث ريحها ... وكم نشرت في الحي من ريحها الوبا

وورَّمها الحنتيت حتى غدت به ... كجاموسة بيضاء عضتها عقربا

وصارت كبالون ولكن مريضة ... ويا قبح ذاك الوجه حين تكببا

فيا هذه ورمت نفسك ليه كدا ... وأين الخنازير الوحاش من الظبا

نعم في السمان الحسن والظرف كله ... إذا كان هذا خلقة مش تكسبا

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٣، الصادر في٢٧يونيو١٩٢٨م.

ولا فـيش فـيهم ريحـة وحشـة كـدا    تعكـنن أهـل الأرض شرقـاً ومغربـا
فيـا زوجهـا إخـص عليـك مغفـلا    إذا شـاف طينـاً قـال أبصر كوكبـا
إذا المـرء لم يملـك زمـام مراتـه    تعثـر في تهليسـها وتشـقلبا

قال عنترة بن شداد العبسي :

حَكِّـم سُـيوفَكَ في رِقـابِ العُـذَّلِ    وَإِذا نَزَلـتَ بِـدارِ ذُلٍّ فَارحَـلِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ارحـل عـن الـدار التـي أصـحابها    لا يطعمونـك مـن لذيـذ المأكـل
بئس الطعـام الفـول وهـو مـدمس    مهمـا تحـاول بلعـه لا ينـزل
أأصـوم ويحـك ثـم آكـل وحلـة    إن الصـيام لـه طعـام فلـي
زرنـا تجـد في بيتنـا مـا تشـتهي    مـن كـل مطبـوخ وكـل مخلـل
عملـت لنـا بـالأمس عبلـة كفتـة    طبـاخ باشـا مثلهـا لم يعمـل
وكبـاب عبلـة لا تقـل حـاتي ولا    مـاتي وكـل منـه ثلاثـة أرطـل
ويسيل دمعك لو تفوتك دمعة    خلطت بها مستردة من خردل
يـا آل عـبس لـن يبـوء بخيبـة    رجـل إذا حضر الفطـير يـبص لي
إن الكنافـة لـو تمثـل شخصـها    بـين الصـنوف نتشـتها في الأول
وإذا سـلاطين الخشـاف تجهـزت    فاشمر لها الأكمام واشرب وانجلي
وإذا عزمتـك للفطـور فبعـدها    فاعزمني واصرف في العزومة وابذل

(*) مجلة الفكاهة، العدد ١٧ الصادر في ٢٣ فبراير ١٩٢٧م.

وعـلى الملوخيـا لنـا اذبـح وزة — وكـما عملـت مـن المآكـل فاعمـل
أو فالـذي حضر الوليمـة ثـم لم — يـولم سـواها فهـو كالمتسـول
لا تسـقني مـرق الفـراخ بذلـة — بـل فاسـقني بـالعز مـاء الفلفـل
مـرق الفـراخ بذلـة لا أشـتهي — والطـرشي في عـز آراه يلـذ لي
ويلي عـلى الفقـراء في رمضـان لـو — شـموا طعـام الأغنيـا ياشـيخ عـلي
القصـد سـيبك فالعزومـة جهـزت — فتعـال كـل مـا تشـتهيه وادع لي

قال أبو الحسن التهامي :

حُكـمُ المَنِيَّـةِ في البَرِيَّـةِ جـاري — مـا هَـذِهِ الـدُنيا بِـدار قَـرار

قال حسين شفيق المصري:(*)

مـا لامـرئٍ مـن موتـه مـن مخلـص — لا بالطبيـب ولا بكديـة زار
والعـيش بحـر والأنـام مراكـب — والقلـع والمقـداف مثـل الصـاري
والـريح تقلبهـا فـتغطس كلهـا — والجـد يبـدأ دائـماً بهـزار
ولـدي العزيـز قضـت عليـه لبـوة — كانـت تحـز عليـه كالمنشـار
زوَّجتـه منهـا أُريـد هنـاءَه — ورميتـه في حفـرة مـن نـار
نوَّامـة للظهـر ثـم يجيئهـا — تكـس تـروح جنينـة الأزهـار
ويكـع أجرتـه جنيهـاً كـاملاً — والـدم يطرشـه مـع الـدينار
فـإذا أتـى ليـل تقـول لـه بنـا — هيـا إلى متنيهـة الكسـار

---

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣١، الصادر في ٢٩يونيو ١٩٢٧م.

وتروح في السواريه كشكش بعده ... ويكع برضو أجرة البنوار
ويدوب من خجل إذا بصوا لها ... فيروح يشرب خمرة في البار
راحت فلوسك يابني وشحطت ... ورهنت أرضك بعد بيع الدار
ورأتك لا شيء لديك فشلقت ... لما تخسع راتب الجزار
مهما تلاطفها تدق خناقة ... وتلم أهل شوارع وحواري
وإذا نطلقها فشغل محاكم ... فيها البلاء بيادة وسواري
من ذاك مات ابني وراح فريسة ... لجنون إسراف كسبع ضاري
عيب على دفني عزائي بعده ... روحوا وخلوني بقى في مراري

قال أبو عبادة البحتري :

بَاتَ نَديماً لِيَ حَتّى الصَباح ... أَغيَدُ مَجدولُ مَكانِ الوِشاح

قال حسين شفيق المصري:(*)

لم تغتمض عيني ولا عينه ... حتى سمعنا م الديوك الصياح
فيا لها من ليلة لم يكن ... فيها لنا إلا البكا والنواح
نبكي على عهد الجنيه الذي ... إذا ذكرناه نرى الدمع ساح
كان جنيهاً ذهباً خالصاً ... حصانه المرسوم صعب الجماح
أصفر رناناً له لمعة ... إذا بدت للعين فالهمُّ راح
كان إذا رنّ رقصنا له ... وما على ذي شيبة من جناح

(*) مجلة الفكاهة، العدد٧٦، ٩الصادرفي مايو ١٩٢٨م.

وِلَّى ووِلَّى الأنـــس مـــن بعـــده | وغـــاب عنـــا زمـــن الانشراح
أنظـــر إلى بـــوزي تجـــد طولـــه | مـــترين مـــن همـــي الـــذي لا يـــزاح
مكلضـــم كـــأنني راكـــب | عـــليَّ عفريـــت ثقيـــل المـــزاح
والبنكنـــوت الهلـــس أصـــل الـــذي | أصـــاب أحشـــائي مـــن دي الجـــراح
لـــو لهلبـــت نـــار عـــلى طرفـــه | رأيـــت ريـــح الفقـــر في الجـــو فـــاح
أو وقعـــت مـــن فوقـــه ميـــة | فقـــد مضـــت عنـــك الليـــالي المـــلاح
لـــيس الجنيـــه البنكنـــوت الـــذي | تـــرى جنيهـــاً لـــو تشـــور الريـــاح
لكنـــه مـــن ذهـــب لـــو فتـــى | يمســـه يـــزول عنـــه الكســـاح
ردوا إلينـــا عهـــده إنـــه | ألـــذّ مـــن خمـــر بـــماء قـــراح

قال أبو الطيب المتنبي:

لا خَيـــلَ عِنـــدَكَ تُهـــديها وَلا مـــالُ | فَليُســـعِدِ النُطـــقُ إِن لَم تُســـعِدِ الحـــالُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تظـــن أنـــك باشـــا إذ تخـــاطبني | وأنـــت في نظـــري يـــا بـــأف زبـــال
مـــن إمتـــى صرت عظيـــا دنـــت مســـخرة | إلام عياشـــة والأب شـــيال
جـــاك الـــبلا دنـــت كحيـــان وعمـــرك مـــا | كســـبت قرشـــا ولا جاءتـــك أشـــغال
ولســـت صـــاحب علـــم تســـتعز بـــه | ولســـت ذا ضـــيعة والأصـــل بطـــال

(*) مجلة الفكاهة، العدد٦٦، الصادر في٢٩ فبراير ١٩٢٨م.

وكل ما فيك من جهل ومفخرة جوازة حلوة بحبوحة عال

فالست تعطيك مالا حين تصرفه تهز طولك مروعا وتختال

ووظفتك ولولاها لمت ولم تجد وسيطاً ولم تسعفك آمال

عشانها أنت في الديوان منجعص ولو تسيبك م الديوان تنشال

فقل لي بالله هل هذا تفاخرنا به وعندك م الأخلاق مثقال

إذا تعنطز إنسان وليس له أصل فمن حقه صفع وإذلال

إن الذين من النسوان عيشتهم ناس هلافيت أنذال وأرذال

إخص على رجل لولا قرينته لقارنته من الويلات أهوال

إخيه إخيه ع اللي لا حياء له فذاك سمعته زفت وأوحال

إتفوه إتفوه ع اللي شاب وهو بلا عقل وكل بني الأيام دي عُقّال

يا رب خلصني من دي الناس إنهمو صم وليس تفيد الصم أقوال

قال أبو تمام الطائي :

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

وليس مشي الفتى والشمس تحرقه مثل الجلوس بلا شغل على الكنب

والمرء بالشغل أهل للكرامة لا بمال أمّ توفت أو بمال أب

والمال من عرق الشغال لذته أضعاف لذة مال جا بلا تعب

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣٣، ٦الصادر في يوليو ١٩٢٧م.

والمـال إن كـان ميراثـاً فلـيس لـه ... فخـر وفخـرك في المـال اللـي مكتسـب

والشـيب فيـه وقـار حـين تحفظـه ... مـن السـخافة والتهلـيس والكـذب

ومـن يشـب وهـو هـلاس فلـيس لـه ... عنـدي مقـام وخـير منـه أي صـبي

كـأن شـيبته البيضـاء لـو نفشـت ... تسـمو إلى ليفـة الحـمام في النسـب

إخص على الشنب اللي الخمر تلمسه ... مع المشيب اللـي نـاوي ينـده الـتربي

وإيـه بقـى اللـي صـغير السـن يعملـه ... وأنـت في هيصـة قـد غصـت للركـب

يـا قـدوة السـوء عصيت الـولاد عـلى ... آبـائهم في زمـان الـدرس والطلـب

والـواد إن فـات سـن المدرسـاء ولم ... تكـن لـه دبلـماء العلـم والأدب

فإنـه مثـل جميـز يـدور بـه ... بياعـه في آوان التـين والعنـب

وللنسـاء عقـول لا أخـاف إذا ... ما قلـت مـن حجـر أو قلـت مـن خشـب

مـش كلهـن فـلا يغضـبن إن طلعـت ... مني عفـاريتي مـن غيظـي ومـن غضـبي

فـإن مـنهن مـن ترمـي الفلـوس بـلا ... وعي وعي لتـأتي بطبـع الحسـن في العلـب

وفي الـبلاد رجـال لا حيـاء لهـم ... إن لم أبهـدلهمو عيـب عـلى شـنبي

قال ابن سناء الملك :

سِوَايَ يَخَافُ الدَّهْرَ أَو يَرْهَبُ الرَّدى ... وغـيرِي يَهْـوَى أَنْ يَكـونَ مخلَّـدَا

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـئمت حيـاتي بعـد طـول تجـاربي ... ففـي جزمتي مـا غـاب منهـا ومـا بـدا

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٢، الصادر في٢٣نوفمبر١٩٢٧م.

أرى الناس أشكالاً فمنهم خواجة | إذا شافه البيك المفرنج قلدا
وفيهم أفندي تمشيخ خادعاً | وشيخ على شان الفلوس تأفندا
ويجلس فلاح بلبدته على | نيو بار منفوخاً بوجه تجلمدا
وذي لحية بيضاء من تحت عمة | إذا شفتها قبلت كتفيه واليدا
وتسأله أن يدعو الله دعوة | تخش بها دار النعيم مخلدا
وتدخل في البيراء تلقاه قاعدا | يسف ويهذي بالمزاح معربدا
فلا تنخدع بالزي فالزي باطل | ولا حق إلا أن تعض وتزغدا
أترفع شأن المرء وهو منافق | إذا زعموه عابداً متزهدا
وتخشى جباناً إذ معاه عصاية | وتأمن لصاً في الظلام تلبدا
وما قيمة الدنيا إذا كنت كانزاً | فلوساً وتمشي بالقميص مهربدا
نعم إن تحويش الفلوس كويس | ولكن على قدر اللزوم مهش كدا
ففرفش ومن بعد التفرفيش ان بقت | فلوس فحوّش كي تغيظ بها العدى
وشف مثلما شاف الأنام كيوفهم | ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
فلله حق حين تدفعه له | يبيض ما صيرت بالجهل أسودا
فنم آمناً تحت اللحاف مكلفتاً | إذا ما سحاب في السماء تلبدا

قال ابن هانئ الأندلسي :

ما شِئتَ لا ما شاءَتِ الأقْدارُ | فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

لي مبلغ عند ابن فردة صرمة ... ومعي به سند فلا إنكار

فإذا ذهبت إليه يضرب موعداً ... وعلى كدا لا ينفع المشوار

وإذا تضايق حين ألعن خاشه ... طس اليمين وتكثر الأعذار

لو كان في فقر لكنت وربنا ... سامحته لكنه بنكار

وإذا رفعت قضية قالوا لها ... رسم وجيبي ملوه أصفار

وشهادة الفقر اللي تعفي منه لو ... أحضرتها فالعار ثم العار

يعني فلوسي عنده ضاعت علي ... شان الرسوم وكم فلوس طاروا

فالمال مالي وهو يأكل لحمة ... وطعامي فول فوقه زيت حار

ليه الرسوم على القضايا يا أخي ... والعدل يشري إنني محتار

قال ابن هانئ الأندلسي :

فَتكاتُ طَرْفِكِ أم سيوفُ أبيكِ ... وكؤوسُ خمرٍ أم مَراشفُ فيكِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

يابنت ذي الرأس الطويل قفاؤه ... أكذا يكون البص م الشبابيك

شاغلت سكان العمارة كلهم ... بالقفش والتقليس والتضحيك

يادي الندامة من نساء بلادنا ... يهلسن هلساً ليس بالمسبوك

(*) مجلة الفكاهة، العدد، ١٧٠، الصادر في ٢٤ فبراير ١٩٣٠م.
(*) مجلة الفكاهة، العدد ٤٥، الصادر في ١٥ أكتوبر ١٩٢٧م.

أوربـا تضـحك بمـن سـخاف عقولنـا ... مـــن مشـــينا في الخـــبص كـــالمكوك

ونســـاؤنا يـــدخلن كـــل تيـــاترو ... يســـهرن فيـــه إلى صـــياح الـــديك

ويخضـــن في وســـط الرجـــال بجاحـــة ... ووقاحـــة للغمـــز والتمحيـــك

ونســـاءُ أوربـــا يفقـــن ســـباحة ... إســـحاق حلمـــي وهـــو زي أخيـــك

متكلـــبظ مـــتجعلص مـــتفعلص ... مـــن أكلـــه مكارونـــة عـــلى ديـــك

ونســـاء أوربـــا يطـــرن شـــطارة ... في الجـــو مجتـــازات لطلانطيكـــي

أمـــدام كـــوري وهـــي في رديومهـــا ... مـــا بـــين تحقيـــق ودفـــع شـــكوك

كنفيســـة أو عيشـــة أو زينـــب ... موحوســـة في طـــبخ ربـــع فريـــك

والبنـــت تصرخ جنبهـــا والـــواد في ... حـــال وكـــل أمورهـــا عـــاديكي

لكنهـــا يـــاروحي في تواليتهـــا ... وجبينهـــا المـــتقشر المـــدعوك

كـــل الـــذي أخذتـــه عـــن أوربـــا لم ... يخـــرج عـــن البيليبـــا ولـــبس الشـــيك

ياســـتي أوربـــا وديـــني مـــش كـــدا ... مـــا تـــزعليش منـــي بـــلاش تباتيـــك

هل خش عقلك أن أوربا(وي)(نـو)؟ ... أتاريـــك مـــش رح تفلحـــي أتاريـــكِ

# الكاتب :

**أ.د. مصطفى رجب :**

١-عمل بالسلك الجامعي :معيدا فمدرسا مساعدا فمدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فوكيلا ، فعميدا لكلية التربية بسوهاج من [١٩٩٥-٢٠٠١] كما عمل عميدا للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان [١٩٨٩-١٩٩٢]

٢-عضو اتحاد الكتاب المصريين ، والمجالس القومية المتخصصة برياسة الجمهورية بمصر ولجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

٤-رئيس جمعية الثقافة من أجل التنمية ورئيس تحرير دوريتها العلمية المحكمة [الثقافة والتنمية ]

٥-رئيس مجلس إدارة جريدة [ رسالة الجنوب ] المرخصة من المجلس الأعلى للصحافة بمصر.

٦- يكتب في عدد من الصحف والمجلات العربية من أكثر من ثلث قرن وله أعمدة ثابتة في بعضها.

٧- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا وأربعة دواوين شعرية .

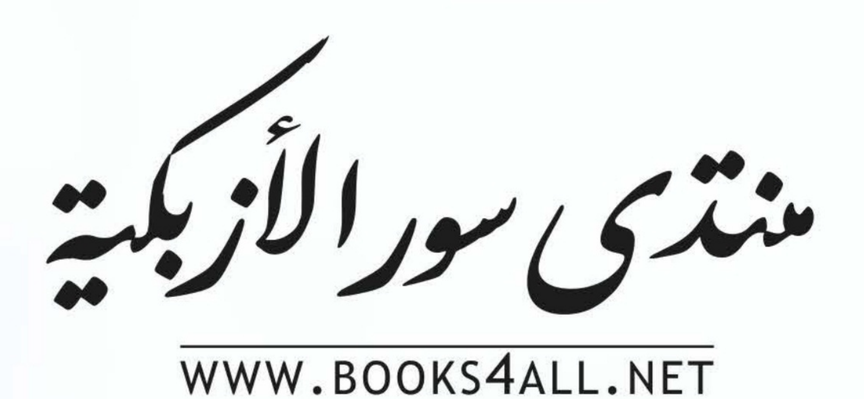
٨- يعمل حاليا أستاذا ورئيسا لقسم أصول التربية بجامعة سوهاج - ورئيسا لنادي الأدب المركزي بمحافظة سوهاج – ونائبا لرئيس فرع اتحاد كتّاب مصر بجنوب الصعيد.

العنوان الدائم للمراسلة البريدية : مصر - سوهاج – كلية التربية

البريد الالكتروني : mostafaragab 1999@yahoo.com

الهاتف في مصر : ٠١٠١٩٩٨٣٧٧ - فاكس ٠٩٣٤٣٩٦٧٠١

الهاتف في القاهرة : ٢٤٢٦٤٧٦٢


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET